٨

الخزانة التاريخية

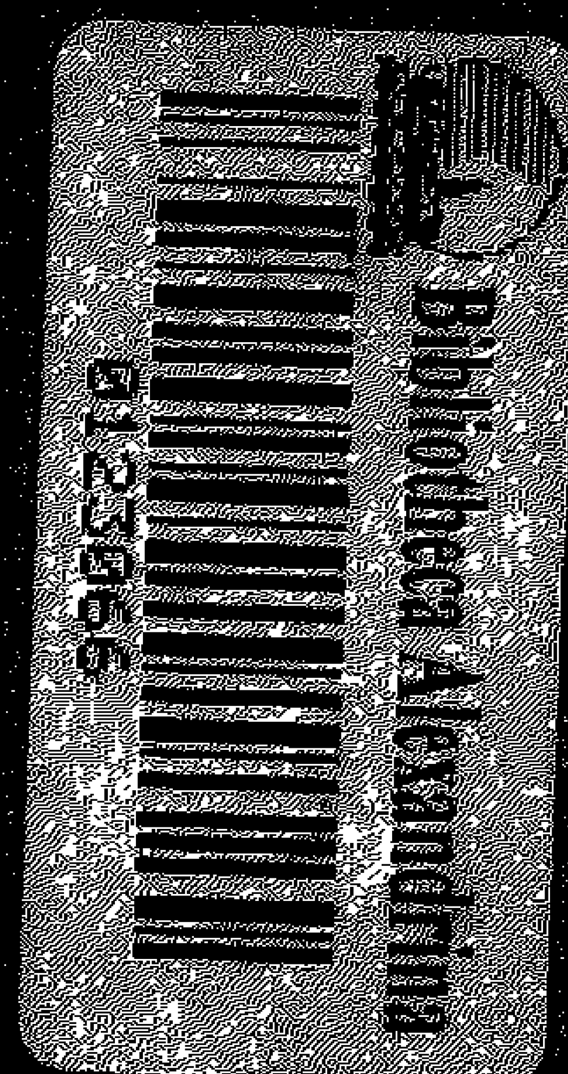
نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل
الطرابلسي

كتاب

سوسنة سليمان

في أصول العقائد والأديان





کتاب

سوسنهٔ سلیمانی

احتفظنا في النص بلغة وفواصل طبعة ١٨٧٦.
العناوين للمؤلف؛ ترقيم الصفحات تغيّر.

ضبط النص ووضع الفهارس
انطون بشارة قيقانو

طبعة ثانية ١٩٨٧
منشورات دار لحد خاطر — ص.ب.: ١٦٦٠٢٠ — بيروت، لبنان.

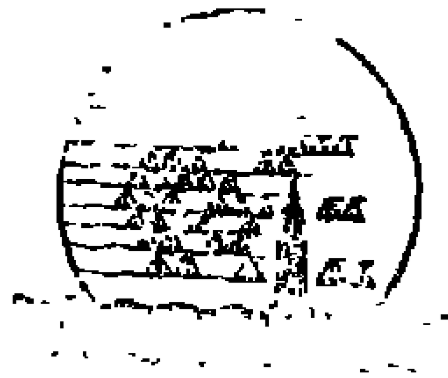


الخزانة التاريخية

نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل
الطرابلسي

كتاب

سوسنة سليمان



في أصول

العقائد والأديان



مقدمة

في حالة الانسان ومراتبه التمدنية وروابط الائتناس البشري السياسية والادبية

حالة الانسان. اذا صرفنا النظر عما اختلفت فيه الاراء البشرية من جهة خلقة الانسان وما كان عليه من الخلق الاصلي وتأملنا بمجرد حالته الراهنة نجد ان الاصل فيه والحالة هذه الساذجية والتجرُّد عن الزينة وعدم علم الصفات التي يعبّر عنها بالوجود على اصل الفطرة ويحقق لنا الاختبار بان المعارف تطرأ عليه الى ان يصل الى درجة الكمال وهباً واكتساباً اذ انه كلما تباعد عن الحالة الاصلية وبرع في الاختلاط والمعاشرة وقوي في اسباب التانس والتعيش وترقى في الصناعات وانواع العمران والتمدن زاد تأدبه وظرفه وعظم تمدنهُ ولهذا قسم بعضهم الناس باعتبار كيفية تعيشهم وتأدبهم وعدم ذلك الى ثلاث مراتب. المرتبة الاولى مرتبة الهمل المتوحشين والمرتبة الثانية مرتبة اهل الخشونة المتبربرين والمرتبة الثالثة مرتبة اهل الادب والظرافة والمعرفة المتمدنين.

المرتبة الاولى. مثال المرتبة الاولى الهمل الذين هم دائما كالبهائِم السارحة لا يعرفون الحلال من الحرام ولا يقرأُون ولا يكتبون ولا يتخذون لهم صناعةً ولا يعرفون من انواع العمران شيئاً وانما تبعثهم الوجدانيات على قضاء شهواتهم كما تبعث البهائِم فيزرعون بعض شيء او يصطادون لمجرد سدّ رمقهم.

ومثال المرتبة الثانية الناس الذين يتأنسون ويتعيشون ويعرفون الحلال من الحرام ويعرفون الكتابة والقراءة ويتمسكون بشريعة غير ان التأنس الخاص باهل الامصار ليس عندهم منه شيءٌ حيث لم تكمل عندهم وسائط حسن المعايش والصنائع والعمران فلا يحسنون مثلاً بناء البيوت بل يتقون الحرّ والبرد بما دون ذلك وانما يحسنون تربية الحيوانات وزراعة الارض.

ومثال المرتبة الثالثة الناس ارباب العمران والسياسات والعلوم والشرائع والصنائع الذين كملت عندهم الادوات والآلات والحِيَل في انواع المعيشة وهذه المرتبة تتفاوت في فنونها وحسن حالها وتقليدها الشريعة وترقيها في الصنائع وانواع الرفاهية فتسمَّى مرتبة التمدن وفي مبدأها يقال لها مرتبة نصف التمدن. وقد تُطلَق مرتبة نصف التمدن على ما قبلها وهي المرتبة الثانية.

ثم ان روابط هذا الائتناس البشري على الاطلاق تقسم الى قسمين وهما روابط ادبية وروابط سياسية فمتى اجتمع قوم تحت رابطة من الروابط الادبية يُقال لهم شعب او ملَّة واذا اجتمعوا تحت رابطةٍ ما سياسية كانوا دولةً بصرف النظر عن الاتفاق في الروابط الادبية والعكس معهود في القسمين.

اما الروابط السياسية او المدنية فهي الشرائع والاحكام واجتماع عدة من الناس مطيعة لاحكام واحدة تتألَّف منها الدولة والمملكة على ما ذكرنا متنوع بتنوع الحكم فالحاكم اما ان يكون دمقراطياً او ارستقراطياً او مونرخياً او مختلطاً فاذا كان الحكم صادراً من الامة المحكومة نفسها من غير واسطة فهو دمقراطي نسبةً الى الدمقراطية يعني الجمهورية اي حكم الجمهور واذا كان الحكم صادراً من عدَّة حكام من الملَّة مستخرجين من كبارها وصدورها فهو ارستقراطي يعني صادراً من امراء البلاد وكبارها واذا كان الحكم في يد واحدٍ فقط فهو مونرخي يعني ملوكياً وحكم الملك اما ان يكون مقيداً اذا كان الملك يحكم بقوانين المملكة وكان يمنعهُ اتباع الاحكام عن ان يخرج منها الى هوى نفسهِ فحينئذٍ يكون الحاكم مقيد التصرف واما ان يكون مطلق التصرف اي فاعلاً مختاراً اذا كانت ارادتهُ فوق قوانين المملكة يعني اذا كان يمكنهُ هتك حرمة القوانين من غير معارض واصول هذين الحكمين او الثلاثة يمكن ان تجتمع فيتحصل منها حكم مركب عظيم النفع او قليلهُ.

واما الروابط الادبية التي اخرناها عن السياسية لبسط الكلام على ما هو منها موضوع كلامنا هنا فهي اللغات والاديان وحيث قد تقدم الكلام فيما مرَّ على اللغات فلا حاجة لاعادتِهِ هنا اما الاديان فهي التي سنبسط عليها الكلام اذ ان كل الامم تقرُّ بوجود الالوهية أيًّا ما كانت ولئن كانوا ليسوا جميعاً مصيبين في معبودهم بل بعضهم مصيب واكثرهم مخطىءٌ.

انواع الاديان

الاديان الموجودة الآن على وجه الارض هي البراهمة والبوذية واليهودية والنصرانية

والاسلامية وهذه الاديان كلها تقرُّ بوحدانية الاله واما ما عداها من الاديان فانه قائلٌ بالتعدد ومع ذلك فان الجميع الاَّ ما ندر يعتقدون خلود النفس ويرجون الثواب والعقاب وانما يختلفون في الصفات والكيفيات والطرق الموصلة الى السعادة الابدية ويمكن انقسام هذه الاديان اجمالاً الى قسمين وثنية اي جاهلية وكتابية.

فصلٌ

في اسباب هذا الانقسام وبدء ظهور العبادات الجاهلية والكتابية

لا يخفى انهُ لما نشفت الارض من مياه الطوفان لم يكن فيها اكثر من ديانة واحدة بين العالم الموجود وقتئذٍ وهي عبادة الخالق عزَّ وجلَّ وكان التقرُّب اليهِ منحصراً في الصلاة وتقديم القرابين من اطهر الحيوانات والطيور واجودها فقط ولكن بعد ان تفرَّق بنو نوح على سطح الارض بزمنٍ يسيرتاه الناس في قفار الجهل وتركوا عبادة واجب الوجود الذي لم تكن تراهُ ابصارهم بل كانت معرفتهُ تنتقل اليهم شفاهاً من السلف الى الخلف وابدلوها بما هو واقع تحت ابصارهم من الاجرام السماوية كالشمس والقمر وباقي النجوم التي اتخذوها الهة من دون الله في بداءَة ضلالهم ولا زال الحال على هذا الى ان اختلفوا في مذاهبهم وافترقوا الى ثلاث فرق اولى مع فروعها وهي المجوس والصابئة واليهود.

الفرقة الاولى المجوسيَّة

اما المجوس فهم اقدم هذه الطوائف واصلهم من بلاد فارس اعتقدوا اولاً بوجود الهين احدهما نور ومبدأ الخير كله ويسمونه اورمزاد او يزدان والثاني ظلام ومبدأ الشر كله ويسمونهُ اهرمان او اهرمن وهما بحسب اعتقاد الجمهور متماثلان في الازلية والقوَّة لكن بما ان بينهما معاندة كان الغالب اهرامان متى كثرت الشرور في العالم واورمزاد متى كثرت الخيرات وكان الانسان منهم حين يصلي يطلب الخير لنفسهِ ولاحبائهِ من اورمزاد واذا طلب الشر لاعدائهِ يطلبُه من اهرامان الذي لبغضهم لهُ كانوا يكتبون اسمهُ مقلوباً هكذا نامرها

ثم انقسموا اخيراً على ما ذكرهُ ابن خلدون المغربي الى ثمان فرق تقرُّ بنبوة ابرهيم الخليل وهي الكيومرتية اصحاب كيومرت الذي يقال انهُ آدم والرزوانية اصحاب رزوان الكبير والزرداشية اصحاب زرداشت بن بيورشت الحكيم والثنوية اصحاب الاثنين الازليين (وقد مرَّ ذكرهما) والمانوية اصحاب ماني الحكيم (وسوف يأتي ذكرهُ في الكلام على النصارى) والمزركية اصحاب مزرك الخارجي والبيصانية اصحاب بيصان القائل بالاصلين القديمين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشر خرج على ابيه وانهُ تولد من فكرةٍ فكرها في نفسيه فلما خرج على ابيهِ الذي هو الاله بزعمهم عجز عنهُ ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من انكر الشرائع والنبوات ويحكمون العقول ويزعمون ان النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل.

وقال آخرون ان اوَّل من شرع في ابطال القول بالهي النور والظلمة واخذ يعلمهم بوجود اله واحد فقط هو زرداشت الذي سبق ذكرهُ وكانت وفاتهُ في سنة ٤٨٧ قبل التاريخ المسيحي فانه ألَّف لهم كتباً تحتوي على ١٢ مجلَّداً وفي كل مجلد منها ١٠٠ مجلد ومن جملة ما فيها ان هذا الاله الواحد قد خلق ملاكين ملاك النور وملاك الظلام وان الشرور التي توجد في العالم هي صادرة عن طبيعة المخلوقات اللازمة كالظلّ الذي يصدر عن الاجسام ضرورةً وان هذه الشرور لا تزال حتى انتهاء العالم حينما تقوم الاموات ويدان كل واحدٍ بحسب اعمالهِ وان ملاك الظلمة واتباعهُ يمضون حينئذٍ الى مكان ظلمة وعذاب ابدي واما ملاك النور واتباعهُ فيمضون الى مكان نور وسعادة دائمة حيث لا يتبعهم شرٌّ الى الابد. وحيث لم يكن للمجوس هياكل قبل عصرهِ وكانوا يسجدون للشمس والنار على التلال او بين الشجر تحت الجوّ اما الشمس فلانها على زعمهم مسكن الله واما النار فلمشابهةٍ بها للشمس في الحرارة والنور فامرهم زرداشت المذكور ان يبنوا الهياكل لكيلا يمنعهم مزاج الفلك عن العبادة في اي وقتٍ كان وان المشرق يكون لهم قبلةً والصلوات تكون في اوقات الطلوع والزوال والغروب وجدد لهم بيوت النيران التي كان منوشهر اخمدها وادَّعى بانهُ صعد الى السماء حيث نظر الله في سحابةٍ لامعة وسمع صوتهُ وانهُ جاءَ عند نزولهِ من السماء بشيء من النار الموجودة هناك وذلك هو النار المقدسة التي يحفظونها دائما على مذابحهم مشتعلة وعندما يسجدون للشمس في وقت شروقها كان لا بدَّ من وجود هذه النار امامهم وكانوا يحفظونها نهاراً وليلاً بكل حرصٍ ولا يجوز للكهنة ان ينفخوها بافواههم فان فعل ذلك احد وجب ان يميتوهُ ولا تقرب الكهنة المذبح بدون برقعٍ على وجوههم لئلاَّ يفسدوا النار بانفاسهم ولا يجوز لهم ان يشعلوها بمروحةٍ ايضاً وما يستعملونهُ لها من الوقود

لا بد من انهُ يكون حطباً نظيفاً مقشوراً وان انطفأت وجب ان يجددوها من نار هيكلٍ آخر لا من النار الاعتيادية ورتب لهم عيدين ايضاً وهما النوروز ومعناهُ اليوم الجديد وجعلهُ في الاعتدال الربيعي والمهرجان ومعناهُ الخريف وجعلهُ في الاعتدال الخريفي.

وحيث انهُ قسم كتبهُ هذه الى ثلثة اقسام قسم منها في اخبار الامم الماضية وقسم في حدثان المستقبل وقسم في نواميسهم وشرائعهم وهي تحتوي على امور كثيرة اخذها من كتب موسى النبيّ مشترع الديانة اليهودية مثل العشور للكهنة والحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة ولئن كان غايرها ايضاً في اشياء كثيرة جوهرية منها اجازتهُ للانسان ان يتزوَّج ببنتهِ او اختهِ او امهِ وان الذي يتزوَّج بامهِ تكون اولادهُ اقدس من غيرهم وقد فعل ذلك كثيرون من اهل فارس لا سيما ملوكهم ورؤساؤهم لكن لما اخذ اسكندر المكدوني سلطة فارس ابطل هذه العادة الوحشية قال كثيرون من كتبة الافرنج وغيرهم ان زرداشت المذكور كان تلميذاً لدانيال النبي وان هذا الظن يوافق جميع ما كتب عنهُ في كتب المؤرخين القدماء وانهُ كان يؤلّف كتبهُ هذه في مغارةٍ ويسميها كتب ابرهيم (يعني ابرهيم الخليل) ولكن عرفت عند غيرهِ بكتب زند وقال ابن خلدون المغربي ان بعض اهل الكتاب يقولون ان زرداشت كان خادماً لبعض تلامذة ارميا النبي فخانهُ في بعض امورهِ فبرص ولحق باذربيجان وشرع بها في دين المجوسية واما علماء الفرس فيقولون ان زرداشت المذكور من نسل ملوك منوشهر وان نبيًّا من بني اسرائيل بُعِثَ الى كيستاسف ببلخ فكان زرداشت المذكور وجاماسب العالم ايضاً الذي هو كذلك من نسل ملوك منوشهر يكتبان بالفارسية ما يقولهُ ذلك النبي بالعبرانية وقال ايضاً ان زرداشت جاء بكتابٍ ادَّعاهُ وحياً وان كيستاسف المذكور وضع هذا الكتاب في هيكل باصطخر ووكَّل بهِ الهرامزة ومنع العامة من تعليمهِ ويُسمَّى ذلك الكتاب تستاه ثم فسَّرهُ زرداشت وسُمِّي تفسيره زند ثم فسَّر ثانياً وسماهُ زندية فكانت هذه اللفظة اصلاً لكلمة زنديق لان هكذا عرَّبتها العرب واختصت في عرف الشرع بمَنْ يظهر الاسلام ويبطن الكفراه.

اما سبب تسمية هذه الطائفة بالمجوس فهو انهُ كان اخطأ رجل منهم يقال لهُ زمردس الى كورش ملك فارس الذي تولى المملكة سنة ٥٦٠ قبل الميلاد فقطع اذنيهِ قصاصاً لهُ ثم بعد موت كورش المذكور تولّى السلطنة زمردس هذا ثمانية اشهر عندما كان احشويروش بن كورش يومئذٍ بعيداً في مصر وهو الذي يُدعَى في الكتاب المقدس ارتحششتا (عزرا ٤ : ٧) وكان السبب في توليهِ المملكة انهُ كان لكورش ابن آخر

يقال لهُ زمردس ايضاً وقد قتل سرًّا وكان زمردس هذا يشبههُ في الصورة فغشَّ الشعب بانهُ هو وملك باسمهِ على انهُ هو ثم لما ظهر للناس كذبهُ قتلوهُ وقتلوا معهُ كثيرين من قومهِ فاوقع ذلك اهانة عظيمة على المذهب كلّه وسُمِّيت اصحابهُ بالمجوس اشارةً الى عيب زمردس الكاذب لان لفظ مجوس عندهم معناهُ فاقدو الاذان لكن اخيراً صار لكثرة معارف كهنتهم مرادفاً لمعنى فلاسفة او علماء مع ان عوام الطائفة كانوا باقين في حالة الجهل.

ثم من نحو الف سنةٍ تقريباً انتقلت هذه الطائفة من بلاد العجم وسكنت في الهند بسبب ما جرى عليها من الاضطهاد ولا زالت تعبد النار هناك وخاصةً الشمس وهم يبنون مقابرهم على ترتيب يوافق اعتقادهم فيضعون اجسام الموتى على سطح برجٍ عالٍ مدوَّر وهذا السطح مبلَّط وفي وسطهِ بئر عميقة وعندما يموت احدهم يضعون رمتهُ على لوحٍ من الحجر عريانة مكشوفة للشمس وهذه الالواح الحجرية تكون ثلثة صفوف الصفّ الخارجي منها للرجال والمتوسط للنساء والداخلي للاولاد وتبقى تلك الرمم تحت حرارة الشمس وهطل الامطار الى ان تأكلها الطيور ولا يبقى الاَّ العظام فيطرحونها حينئذٍ في تلك البئر وهم يزعمون ان نور الشمس وحرارتها تطهران هذه الاجسام من دنس الخطيئة فتدخل النعيم مطهرةً مقدسة ومن ثم لم يبقَ على هذا المذهب في بلاد العجم الاَّ نحو (٤٠٠) عائلة في نواحي يزد من جنوبي خراسان في مملكة ايران ولهم هيكل على راس جبلٍ هناك يحفظون فيهِ النار المقدسة حتى الآن.

الفرقة الثانية الصابئة

اما الصابئون ويقال لهم الكلدان ايضاً فهم اوَّل من سجد للاصنام ويحتمل انهم كانوا في الابتداء مثل المجوس يسجدون للاجرام السماوية لكن لما كان لا بد للشمس من ان تختفي ليلاً وكذلك النجوم نهاراً وقد تكون احياناً مستترة كلها بالغيوم اخترعوا صوراً لتلك الاجرام لكي تكون موجودة عندهم دائماً وسموها باسماء النجوم عينها لان الاوثان المشهورة بين القدماء هي المشتري وزُحَل والمريخ وعطارد وارطاميس ويونون والزهرة ونحو ذلك ثم اخيراً زعموا بان نفوس العظماء من الاموات لها تأثير عظيم عند الله كالوسطاء بينهُ وبين خلقهِ ونتج عن هذا الوهم اصطناعهم صوراً لمن اعتقدوهُ من هذا القبيل وسجدوا لها ويقال بان اوَّل من فعل ذلك كان نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين الذي بنى مدينة نينوى فانهُ صنع تمثالاً وذلك في سنة ٢٠٥٩

قبل الميلاد واظهرهُ للناس وامرهم بعبادتهِ فاقتدوا بهِ وصاروا يعبدون ملوكهم وامراءَهم وشجعانهم واذا صحَّ ذلك فيكون نينوس المذكور هو اوَّل من انشأ عبادة الاوثان ولا يجهل احد من اهل الكتاب بان ابراهيم الخليل الذي مرَّ ذكرهُ فيما سبق كان من هذه الطائفة هو واجداده كما يتضح مما يأتي في الكلام على اليهود.

قال ابن خلدون المغربي ان الصابئةَ هم القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الحنفا مناظرات وحروب مهلكة وتوَّلدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم اصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب واصنامها التي عُمِلَت على تمثالها اما الحنفاء فهم القائلون بان الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ومنها ما وجودها بالفعل فما هو بالقوة يحتاج الى من يوجدهُ بالفعل ويقرُّون بنبوة ابرهيم وانهُ منهم وهم طوائف منها الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح (لعلَّ تارح هذا ابو ابرهيم الخليل) ومن قولهِ ان الحق بين شريعة ادريس (اخنوخ) وشريعة نوح وشريعة ابرهيم ومنها البيدانية اصحاب بيدان الاصغر ومن قولهِ اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وان النبوة من الاسرار الالهية ومنهم القنطارية اصحاب قنطار (لعلهُ قينان) ابن ارفكشاد ويقرُّ بنبوة نوح ومنها اصحاب الهياكل ويرون الشمس اله كل الهٍ والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالأشخاص في رأي العين وهي المدبرات السبع من الكواكب والارضية الجزئية والعالمة الفاضلة (هكذا في الاصل المنقول عنهُ).

ومما ذكرناهُ يتضح السبب الذي اوجد بين المجوس والصابئين امرين متضادَّين وهما المشابهة من جهة والاختلاف والبغض من جهة اخرى اما المشابهة فهي لكونهِ كما جاز في رأي المجوس ان يسجدوا للشمس لزعمهم بانها مسكن الله.

كذلك جاز في رأي الصابئة ان يسجدوا للاوثان لاعتقادهم بانهُ
جلَّ وعلا يسكن فيها. واما التباغض والتخالف
فهو لمجرد اتخاذ الصابئين هذه الصور والتماثيل
المذكورة لان المجوس حتى الى ايامنا
هذه لم يتخذوها ولا
سجدوا لها
م

فصلٌ

في افساد هذه البدع.الاخبار الصحيحة الواصلة الى معاصرني ظهورها بالنقل الشفاهي من اخبار خلق العالم واسنادها الى الهتهم

وكما أفسدت هذه العبادات الاختراعية ما كان متصلاً الى اصحابها بالنقل الشفاهي من العبادة اللائقة بواجب الوجود وحوّلتهُ الى الآلهة التي اخترعها البشر كذلك افسدت ما كان متصلاً اليهم بهذه الطريقة عينها او بالاخذ عن كتب الديانة الموسوية من اخبار خلق الله العالم وحولتهُ الى تلك الآلهة ايضاً كما يتضح ذلك من التقاليد الآتي بيانها وهي :

(١) التقليد الكلداني نقلاً عن بروسوس المؤرخ البابلي الذي كان كاهناً لبعل اله البابليين في ايام انتيوخوس الثاني سنة ٢٦١ أو سنة ٢٤٦ قبل الميلاد وكتب تاريخ بابل او تاريخ الكلدان الذين كنا بصددهم باللغة اليونانية وتاريخهُ قد فقد خلا بعض جملٍ منهُ حفظها يوسيفوس وغيرهُ من المؤرّخين القدماء ولم يبقَ منها غير بقياتٍ منها انهُ لما كانت الدنيا خالية خاوية خلقت مخلوقات اجسادها كبيرة ومختلفة عن الاجساد البشرية وان البعل الذي هو اله النور والهواء عندهم بدل خلو الارض وخلق الشمس والقمر والسيارات الخمس وامر الآلهة ان يجعلوا في الارض سكاناً فسكنها بعد السكان المذكورين قوم برابرة الى ان ظهر اوانز وهو مخلوق اعلاهُ كجسد الانسان واسفلهُ كجسد السمك (وعنهُ اخذ الفلسطينيون داغون الههم) وان خروجه كان من بحر الهند فاخذ يعلّم سكان الارض مبادي النظامات والمعارف وعلمهم ان يبنوا المدن والهياكل. وانهُ دامت الحال على هذا المنوال (٤٣٢٠٠) سنةٍ وانهُ خرج في تلك المدة ستة رجال نصفهم الاسفل كاسفل السمكة وعلموا اهل الارض العلوم التي تقرّرت عندهم في الكتب السبعة المقدسة وانهُ حكم الارض ثلثة غيرهم آخرهم الاله بعل وهو العاشر وان هؤلاء هم الملوك الذين سبقوا الطوفان وحكموا (٤٣٢) الف سنةٍ وان الاله بعل المذكور حذّر كسيثورس بانهُ سيهلك كل العالم بالطوفان ولذلك بنى فلكاً ودخلهُ الى ان انتهى الطوفان وذكر في جريدةٍ اخرى بمناسبة الاخبار عن وجود حجرٍ اسمهُ ساردانابولوس مكتوب باحرفٍ قديمة، ترجمها مستر جورج سمث العارف باللغة

الاشورية وان اهل العالم متعجبون من ذلك لان تلك الكتابة هي خبر طوفان قريب من الطوفان المذكور في التوراة ما نصهُ ولا يخفى ان المؤرّخ بروسوس الكلداني قرّر قبل الميلاد بثلثة قرون باللغة اليونانية تاريخ خلقة الانسان الى ان تفرّقت الاجناس وذلك نقلاً عن الكتب الدينية المنسوبة الى الاله اوانز وفي ذلك التاريخ عدد الآباء الذين سبقوا الطوفان وخبر حدوث الطوفان وبناء برج بابل وتبلبل الالسن وهذا الخبر يشابه بنوعٍ مدهشٍ الخبر المقرر في التوراة وخبر هذا المؤرّخ وخبر التوراة هما مشابهان جداً للخبر المقرر في حجر ساردانابولوس وقد قال المؤرّخ بروسوس المذكوران اسم الملك العاشر الاخير الذي سبق الطوفان هو كسيثورس ويُنسَب اليهِ ما يُنسَب في التوراة الى نوح عليهِ السلام وما يأتي هو ما قالهُ بروسوس في هذا الخصوص انهُ حدث طوفان عظيم في ايام كسيثورس (وفي بعض المؤلّفات زسوستروس) وظهر الاله كردنوس (وقيل خرونوس) وهذا الاسم هو عند اليونان ترجمة ايلو ظهر لهُ في حلمٍ وحذّرهُ قائلاً انهُ في اليوم الخامس عشر من شهر دوسيوس (وهو شهر سيوان عند اهل بابل والكلدان والعبرانيين والاسرائيليين وعند العرب شعبان) سيحدث طوفان يهلك الجنس البشري وطلب اليهِ ان يكتب تاريخ ابتداء العالم ونهايتهُ وان يدفن ذلك التاريخ في مدينة الشمس في سيبارا وان يبني مركباً ويدخل اليهِ اصحابهُ واقاربهُ وان يضع فيهِ كلما يلزم للقيام بالاود وان يدخل اليهِ من كل حيوانات الارض وطيور السماء وان يركب الغمر بدون ان يخاف فسأل الله الى اين يذهب فقال لهُ الى الآلهة وعند ذلك صلى طالباً خير الجنس البشري وبعد ذلك اطاع الامر الالهي وبنى مركباً طولهُ خمس استاديات غلوات (ثلاثة آلاف قدم) وعرضهُ استاديان (الف ومئتا قدم) ووضع كل شيء مما هيَّأ في هذا المركب وبعد ان ادخل اليهِ كل شيء ادخل امرأتهُ واولادهُ واصحابهُ وبعد ان اتى الطوفان الارض وقلّ مع مرور الزمان ارسل كسيثورس طيوراً من المركب ولكنها لم تجد اكلاً ولا مكاناً لتريح عليهِ رجليها ولذلك رجعت اليهِ. وبعد بعض ايامٍ ارسلها مرةً ثانية فرجعت اليهِ والوحل على ارجلها وجرب ذلك مرةً ثالثة بهذه الطيور ولكنها لم ترجع وجعلهُ ذلك يعرف ان وجه الارض قد ظهر من تحت المياه ولذلك فتح نافذةً في المركب ونظر منها فرأى ان المركب واقف على جانب جبل فبادر على الفور هو وامرأتهُ وابنتهُ والدليل الى الخروج منهُ وعند ذلك سجد للارض وبنى مذبحاً وذبح عليهِ للآلهة ثم غاب عن وجه الارض هو والذين خرجوا معهُ من المركب اما الذين بقوا في المركب فلما رأوا ان رفاقهم لم يرجعوا خرجوا من المركب نائحين نوحاً شديداً واخذوا ينادون كسيثورس بدون انقطاع و لم يروهُ بعد ذلك ولكنهم كانوا يقدرون ان يميّزوا صوتهُ في الهواء وكانوا يسمعونهُ يحرضهم على ان يعتبروا الديانة الاعتبار الواجب وكذلك

كان يقول لهم انهُ انتقل من الارض ليعيش مع الآلهة وان امرأتهُ وابنتهُ والدليل حصلوا على نفس تلك النعمة المعتبرة وقال ايضاً انهُ من الواجب ان يرجعوا الى بابل وان يبحثوا عن الكتابات في سيبارا بحسب الامر وانهم سينشرون ذلك بين كل البشر وان البلاد التي كانوا فيها هي بلاد ارمينية فلما سمعوا ذلك داروا وذهبوا الى بابل اما المركب الذي كان واقفاً في الجبل فبقي بعضهُ في جوريون من جبال ارمينية وكان الاهالي يأخذون عنهُ ما كان مغطى بهِ ويجعلونهُ لمضادة فعل السمّ وعوذات ولما رجعوا الى بابل ووجدوا الكتابات في سيبارا بنوا مدناً وشيدوا هياكل وهكذا اصبح في بابل سكان مرة اخرى.

(٢) التقليد الفريجي وهو ان الملك ناناكوس عاش ٣٠٠ سنة وتنبأ بمجيء طوفان وبكى على شعبهِ وصلى لاجلهم ويستبين طول بقاء هذا التقليد من حيث انهم صكّوا معاملة في مدينة افامية في ايام سيفيرس (الامبراطور الروماني) نحو سنة ٢٠٠ ب م مصوَّر عليها طوفان وعليها صورة فُلْك مربع فيهِ رجل وامرأتهُ وفوقهُ طير حامل غصناً في مخالبهِ وبجانب الفلك هذان الحرفان «نو».

(٣) التقليد اليوناني وهو ان ديكاليون ملك تساليا اخبر عن ابيهِ بمجيءِ طوفان فبنى فلكاً بهِ نجا هو وامرأتهُ واسمها فرَّة من الطوفان الذي اهلك الجنس البشري ولما نشفت المياه استقر الفلك على جبل برناس وذهبا حالاً الى هيكل تاميس ليسألا باية واسطةٍ يتجدد الجنس البشري فاجاب اله الهيكل وامر ان ديكاليون وفرَّة يستران وجهيهما ويحلاَّن منطقتيهما ويطرحان وراءَ ظهريهما عظام والدتهما العظيمة واذ استنتجا من ذلك ان والدتهما هي الارض طرحا وراءهما الحجارة والحصى التي وجداها على وجه الارض فالحجارة التي طرحها ديكاليون صارت رجالاً والتي طرحتها فرَّة صارت نساءً.

(٤) التقليد الفارسي وهو ان العالم قد فَسَد بواسطة اهريمان اله الشرّ فاقتضى غسلهُ بطوفان ماء عمومي لازالة كل الفساد فهطل المطر نقطاً كبيرة على قدر راس الثور فتغطت الارض بالماء الى علو قامة فهلك جميع اتباع اهريمان.

(٥) التقليد الصيني وهو يشير الى جبل طهارة يدعى السماء الاولى فيهِ تمتعت كل الخليقة بسعادةٍ كاملة فخلفتهُ السماء الثانية التي تقدمها انقلاب عظيم في الطبيعة فانكسرت اعمدة السماء وانهزمت الارض حتى اساسها فهبطت السماء من الجهة الشمالية وغيَّرت الشمس والقمر والنجوم حركاتها وتكسَّرت الأرض الى كسر

وانفجرت المياه المحصورة في جوف الارض بعنفٍ وغطَّت وجهها واذ عصى الانسان السماء خرب نظام الكون فانكسفت الشمس وغيَّرت الكواكب حركاتها وانزعج اتفاق الطبيعة.

(٦) التقليد الهندي قبل انهُ في ملك ساتيافرانا ملك الهند صار الجنس البشري شريراً ولم يبقَ بار سوى ساتيافرانا وسبعة قديسين آخرين واما رب الكون اذ احب الاتقياء وقصد خلاصهم من بحر الهلاك امر الملك قائلاً انه بعد سبعة ايام ايها الملك يغرق العالم في بحر الموت ويقف امامك بين الامواج فُلْك عظيم اعددتهُ لاجلك فخذ معك كل نوع من النبات الطيب وكل نوع من البزور فتدخل الفلك برفقة السبعة القديسين وازواج من كل الحيوانات فلا يكون لك نور الاَّ من لمعان وجوه اصحابك فبعد سبعة ايام صعد البحر على البرِّ وهطلت الامطار من الغيوم ولما رأى ساتيافرانا الفلك مقبلاً دخل إليه مع رفقائهِ وبعد نهاية الطوفان تعين المنو السابع ومنهُ تجدد الجنس البشري.

(٧) تقليد قبائل قارة أمريكا كان في قديم الزمان كلب تردّد الى شاطىء النهر أياماً عديدة يتطلَّع في الماء وينبح بصوتٍ كئيب واذ زجرهُ صاحبهُ تكلَّم مخبراً اياهُ بشرٍّ آتٍ على الأرض وبان نجاة صاحبهِ وعائلتهِ من الغرق بالطوفان متعلقة بطرحهم اياهُ في الماء وانهم لا يخلصون الاَّ بواسطة فلك يدخلون فيهِ فأطاعوا أمر الكلب وخلصوا وعمرت الأرض من نسلهم.

(٨) تقليد المكسيك ان نوح المكسيك تسمَّى ككسككس وامرأتهُ ذوخيكتزل خلصا بقارب ووُلِد لهما أولاد خرس وأتت حمامة حاملة السناً ووزَّعتها بينهم.

فترَى من هذه التقليدات مشابهةً من عدَّة اوجه وهي : (١) سبق الخبر عن مجيء الطوفان. (٢) كون شرّ الناس سبب ذلك. (٣) خلاص عائلةٍ واحدةٍ. (٤) كان ذلك الخلاص بواسطة فلك. (٥) ذكر جبلٍ عالٍ. (٦) ذكر الحمامة. (٧) تجديد الجنس البشري بواسطة نسل واحد وهو لا شك عين الخبر الوارد في التوراة الذي يتضح فضلهُ وشرفهُ متى قوبل مع هذه التقاليد التي افسدت بساطتهُ الاصلية البعيدة عن الاوهام الزائدة والاخبار المضحكة المضادَّة للعقل.

فصلٌ

في انتشار العبادة الوثنية المذكورة عن الصابئين

ثم من الصابئين المذكورين اخذ قدماء الفينيقيين والمصريين ديانتهم كما اخذوا علومهم ايضاً ومن مصر انتشرت العلوم مصحوبةً بهذه العبادات الجاهلية في بلاد اليونانيين والرومانيين وغيرها والظاهر انهُ يوجد في كتب الديانات الكتابية وخصوصاً في الكتاب المقدس اشارات كثيرة الى الصابئين وطرائقهم ولا سيما في العهد القديم وان اليهود وقعوا مراراً في هذه الضلالة عينها.

ولنذكر هنا ما وصل الينا من اخبار معتقدات البعض من الطوائف المذكورة كلٌّ على حدتهِ كما يأتي :

الفينيقيون كانوا يعبدون النجوم وسائر الاجرام السموية ومن اصنامهم بعل وهو اله الشمس وعشتروت الاهة الحسن وكانوا يقولون ان نجمتها السيارة هي الزهرة اما عبادة الاسلاف فتتحقق عندهم من قصة غلامٍ جميل المنظر يقال لهُ تموز قُتِل في الصيد عند نهر ابرهيم فبكوا عليهِ كثيراً وسمُّوا الشهر الذي قُتِل فيهِ شهر تموز فبقي اسمهُ الى ايامنا هذه ثم زعموا بان هذا الغلام تألَّه بعد موتهِ ولذلك اقاموا لهُ تذكاراً سنويًّا يبكون فيهِ على فراقِهِ في الشهر المذكور من كل سنةٍ (حزقيال ٨ : ١٤).

واما العرب فانهم كانوا على انواعٍ مختلفة من العبادات الباطلة ومن ذلك المجوسية التي بقيت في بني تميم الذين منهم زرارة بن عدي وابنهُ علي الذي تزوَّج بابنتهِ حسب اباحة ذلك في دين المجوس وبعد ان كانوا يعبدون النجوم كالشمس والقمر وعطارد والمشتري وغير ذلك ومنه، اسماؤهم التي هي عبد شمس وعبد المشتري ادخل بينهم عبادة الاوثان عمرو بن لحى بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد من ولد كهلان بن سَبَا الذي كان ملك الحجاز وإليهِ تنسب خزاعة عبادة الاوثان على ما نقلهُ كثيرون من مؤرخي العرب آخذاً عن اهالي البلقا من بلاد الشام وكان اوَّل ما استحضرهُ من التماثيل صنمين يقال لاحدهما اساف والثاني نائلة وضعهما على موضع زمزم ودعا الناس الى عبادتهما فاجابوهُ وذلك نحوَ سنة ٤٠٠ قبل الاسلام وسنة ٢٠٠ بعد التاريخ المسيحي ومن ثم صار لكل قبيلةٍ من قبائل العرب صنم مخصوص بل وامتلأ

البيت الذي كانوا يحجون اليهِ في كل سنةٍ لاعتقادهم بان ابرهيم الخليل وابنهُ اسمعيل بناياهُ للعبادة بالاوثان. قال بعض المؤرخين ان العرب كانوا يقرّبون القرابين في الكعبة من الغنم والابل لثلث مئة وستين صنماً موضوعاً عليها وظن بعضهم ان الاصنام بهذا العدد هي خدَّام ايام السنة من الجن وان الصنم الموضوع على الكعبة هو الشمس ولعلهُ هبل الذي هو اعظم اصنامهم وكان موضوعاً على ظهر الكعبة والظاهر انهم كما اخذوا عبادة الاوثان عن اهل الشام اخذوا كذلك التقرب اليها بذبح الادميين قرباناً كالانعام عن اهالي فينيقية ومزجوا هذه المناسك الوحشية بما كان باقياً عندهم من السنن التي كان نشرها بينهم اسمعيل بن ابرهيم الخليل كالختان وغيرهُ مما اخذوهُ عن الشريعة الموسوية واقرَّهُ اخيراً الدين الاسلامي ومع انهم اعتقدوا ايضاً بوقوع التناسل بين عالم الارواح والعالم الجسماني لم يؤلهوا من ظنوهُ متولّداً بينهما كما فعل غيرهم من الذين اعتقدوا هذا الاعتقاد بل ربما جعلوهُ بمنزلة الملائكة السماوية كهاروت وماروت اللذين يقال بانهما كانا من الملائكة وعصيا ربهما في السماء فاهبط بهما الى الارض والبسهما الجثة الانسانية ليكونا حكماً للناس ويمنعاهم عن الاغواء بالاهواء فجرى من امرهما ان اغواهما حبُّ النساء حتى ابعدهما عن رضى الحق وبما ان عنصرهما الاصلي روحي ملائكي ولهما حقيقة الاطلاع على الاجرام العلوية والسفلية فاحكما صناعة السحر وعلّماها الى حكماء بابل التي كانا مستوليين عليها او كعمرو بن يربوع الذي يزعمون انهُ متولد بين السعلاة والانسان وجرهم وبلقيس ملكة سبا والاسكندر ذي القرنين الذين يعتبرونهم من نتاج الملائكة والآدميين.

ثم لا زالت العبادات الوثنية شائعة بين العرب الى ان ابطلها الاسلام في النصف الأول من القرن السابع للتاريخ المسيحي.

والمصريون الذين قد تغلّبت عليهم العبادات الوثنية بقدر ما تغلبت عليهم العلوم فانهم بعد ان كانوا يؤسسون اعتقادهم على وحدانية الاله غير انهم لم يقيموا لذلك الاله الاحد تمثالاً ولكنهم عبدوهُ بالصمت الناتج عن شدَّة التوقير والاحترام قد شخَّصوا كل صفةٍ من صفات هذا الاله الواحد واقاموا لكل منها تمثالاً وعبدوهُ عبادة الهٍ مستقل فزعموا ان ابتاه هو الاله الخالق وعمون العقل الالهي العامل ونوم روح الله وخام مصدر التوليد وهو اب ابيهِ والالاهة موت الوالدة المولودة وهي التي ولدت نفسها واوزريس اله الخير وايسيس او ايريس امرأتهُ وتيفون اله الشر وهكذا الى ان فاقوا على من سواهم في الوساوس والاوهام واصحبوا يسجدون ليس للاجرام السماوية والاشخاص البشرية وتماثيلها فقط بل ولنهر النيل الذي كانوا يسمونهُ الاوقيانوس اي البحر المحيط

وللحيوانات والدبابات وغير ذلك ويعتقدون بان روح اله الخير المسمَّى اوزريس توجد في عجلٍ يسمونهُ ابيس ولذلك جعلوهُ من اشهر معبوداتهم بعد اوزريس المذكور التي هي ايريس وهوروس وانوبيس وكانوب وابيس المذكور وسيربيس واقنيف.

اما اوزريس فيزعمون انهُ ابن جوبيتير وينوبا وتزوَّج بامرأةٍ تُسمَّى ايوحين فهاجرت بهِ الى مصر خوفاً من يونون (امرأة جوبيتير) واسمهُ هذا كلمة عبرانية معناها روح الدنيا او مدير جميع الكائنات والظاهر انهم كانوا يعنون بهِ الشمس (باقي الاسماء المذكورة هنا سوف يأتي ايضاحها في الكلام على اليونانيين).

وحيث كان في اعتقادهم وقوع النزاع بين آلهتهم وانهُ كانت تشبُّ نيران الحروب ويقتل أحدها الآخر أو يسجنه أو غير ذلك فيزعمون بأن تيفون اله الشرّ الذي مرَّ ذكرهُ انتصر على اوزريس اله الخير وقتلهُ ثم رجع اوزريس المذكور بعد ان كان مات وتغلب على تيفون الهِ الشرّ الى غير ذلك حتى انهم نحتوا تماثيل لاوزريس المذكور وحفروا لهُ قبوراً وقبروا تمثالهُ فيها مع امرأتِه الآتي ذكرها.

واما ايريس فالظاهر انها القمر وزوجة اوزريس الذي هو الشمس واما هوروس فان بعضهم يقول انهُ ابولون وبعضهم يقول بان المصريين يعتقدونهُ ولد اوزريس وايزيس المذكورين وانهُ احبّ اولادهما اليهما وكذلك انوبيس فان بعض العلماء يقول بانهُ عطارد وبعضهم يقول انهُ كوكب الشعرى وربما سماهُ المصريون طوطاطيس وهو طوث اله الغاليين (قدماء الفرنساويين) وذكر بلوتاركه ان انوبيس هذا تغير الى صورة كلب لايزيس وانهُ سافر معها في اغلب اسفارها واما كانوب فكانوا يعبدونهُ بصورة اناءٍ كبير عليهِ صورة راس امرأة وبازي مرسوم عليهِ صورة حروف هيروغليفية وهي القلم المصري القديم وكان خدَّامهُ اشد الناس سحراً وكهانةً واما ابيس فقد اضطربت فيهِ اقوال القدماء فمنهم من زعم ان المصريين يعنون بهِ شعاع الشمس وقال آخرون ان المحقق من عبادتهم لهُ على شكل ثور انهم كانوا رأوا في مدينة منفيس ثوراً أسود في راسهِ بعض نقط فزعموا انهُ اله وعبدوهُ وسموهُ ابيس معتقدين انهَ صورة اوزريس بعثها اليهم بقصد الزيارة وانهُ قادر ان يكشف لهم عن المستقبل والغيب بحركاتهِ وكان لهُ قاعتان فاذا دخل القاعة الغربية مثلاً كانوا يقولون هذه السبنة سنة خصب واقبال وبالعكس اذا دخل الشرقية ويعتقدون ان الاولاد الذين يسيرون امامهُ في الاحتفالات العمومية يكتسبون روح النبوة فيخبرونهم عن الامور المستقبلة وكان الذين يحبون ان يسألوهُ عن امرٍ مستقبل يدخلون عليهِ ويسألونهُ عما يرغبون ثم يسدُّون اذانهم بايديهم الى ان يخرجوا من بمقامِه وعند ذلك يفتحونها فالكلام الاوَّل الذي يسمعونهُ ممن

يصادفونهُ يكون عندهم هو جواب سؤالهم واما سيربيس فقد ذكر العلماء انهُ هو واوزريس وابيس شيءٌ واحد وانما صورهم المصريون بصور متعدّدة سموا كل صورةٍ منها باسمٍ من تلك الاسماء فظن من بعدهم انها آلهة متعدّدة واما اقنيف فكان يعتقدهُ المصريون بانهُ الخالق للدنيا وحدهُ ولذلك كانوا يصوّرونهُ على صورة شخصٍ خارج من فيهِ بيضة وذلك لان البيضة كانت عندهم علامة على العالم.

قال بعض المؤلّفين بانهُ حيث كان في خرافات المصريين القدماء بان الآلهة هم اوّل من حكم بلادهم وان اولهم يسمَّى بركان حكمها تسعة آلاف سنة وان كوكب الشمس المسمَّى اوزريس وزوجتهُ المسماة ايزيس واخاها عطارد المسمي هرمس آلهة اخترعوا اصول الشرائع والفنون والعلوم فما ذاك الاَّ لزعمهم الوهية كلّ من اخترع امراً غريبا كارباب التصانيف العجيبة وغيرها الامر الذي هو احد الاسباب الاصلية في التمسك بعبادة الاوثان لان هرمس وهو المذكور هنا بانهُ اخو ايزيس هو اشهر علماء المصريين ومنار علم فلسفتهم الذي جعلهم يتفقهون في علم المساحة والفلك والعلوم الالهية ولهُ مؤلفات حفظت بعدهُ عند الكهنة وكادت تتلاشى بطول المدَّة الى ان ظهر المعلم سيغواس ومركوريوس آخر (قولهم آخر يعني غير مركوريوس الأول الذي هو هرمس المذكور ومعنى مركور عطارد) تلقَّب بالمعلم تريسنا جيسطو وارجعا العلوم المصرية الى قوتها الاولى.

وقد بلغ من اوهام المصريين ايضاً انهم كانوا يقدسون بعض الوحوش كالاسد والذئب والكلب والسنور والميمون والماعز والكبش ثم افرطوا في الوساوس حتى انهم كانوا اذا حصلت لهم مجاعة واضطروا للقوت يقدمون اكلهم لبعضهم على اكل هذه الحيوانات الاَّ في اوقات الخوف والضيق الشديد فانهم حينئذٍ كانوا يتجاسرون على ذبح نفس حيواناتهم المقدسة بل ويشتمون اصنامهم بالعيب اذا كانت لا تنجيهم. وفيما عدا ذلك كانوا يجازون الانسان الذي يقتل حيواناً منها ولو كرهاً بالموت. ومن اعجب ما يحكى عنهم في هذا المعنى بانهُ لما قصد كمبيز ملك العجم فتوح مصر اراد ان يأخذ مدينة بلوز بغتةً فوضع امام جيشهِ صفًّا كبيراً من هذه الحيوانات التي كان يعبدها المصريون فامتنعوا عند ذلك من المحاماة عن انفسهم مخافة ان يصيبوا شيئاً منها.

و لم يقتصروا على عبادة مثل هذه الحيوانات فقط بل عبدوا الهوام وادنى حشرات الارض ايضاً وآلهة كثيرة ممن كانت وظيفتهم طرد الذبان وكانوا في امكنةٍ كثيرة يقرّبون ثوراً كاملاً لاله هذه الهوام الحقيرة وكان بلعزبوب اله عقرون اله الذبان وكان لهم آلهة كثيرة اطباء كانوا يقرّبون لها اناساً احياء لاسباب تعرض لهم وقيل انهم كانوا يأخذون

هولاء الناس من الاسرائيليين ويحرقونهم على مذبحٍ عالٍ ويذرون رمادهم في الهواء لكي تنزل مع كل ذرةٍ بركة وكانوا يعبدون الظلام على سبيل انهُ اصل الهتهم غير انهم كانوا لا يجتمعون على عبادة معبود واحد بل كان التمساح معبوداً بمحل والترسة التي هي عدوّ التمساح معبودةً في غيرهِ وفي محلّ يعبدون الضان وآخر يعبدون المعز وبسبب افتراقهم الى هذه الضلالات تولّدت بينهم المشاجرات الدينية والحمية الجاهلية.

وكانوا يعتقدون بان هذه الحيوانات المقدسة عندهم تعرف البار من المذنب وتبيّن باشاراتها السارق الى غير ذلك من معرفة الغيب والمستقبل ولكل حيوان منها خادمون وخادمات والمظنون انهم كانوا من خدَمة الدين فانهم كانوا يرثون هذه الخدمة عن آبائهم وامهاتهم وكانوا يجلسون في صدور المجالس ويلبسون ما يميزهم عن غيرهم وكانوا يحنطون جثة ما يموت من تلك الحيوانات تحنيطاً متقناً ويدفنونها بكل احتفال في مدافن الآلهة عندهم حتى انهُ عندما كان يموت هرٌّ في بيت احد الاهالي كان اهل البيت يحلقون حواجبهم واذا مات كلب كانوا يحلقون شعر الرأس والجسد وكان لكل هيكل فيهِ حيوان مقدس عندهم ارض موقوفة لمعاشهِ ومعاش خدامهِ عدا ما يقدمهُ لهُ الشعب من النذور والقرابين والكفارات وكثيراً ما تنذر الام ان تعطي الحيوان الفلاني ثقل شعر ابنها من الفضة او الذهب او غير ذلك اذا سلم من مرض او رجع من سفر او حرب.

وكانوا يبنون هياكل هذه الحيوانات في وسط الحدائق وجنات الزهور وبساتين الاشجار التي تحمل الذّ الاثمار ويزينونها بالنقوش والزخارف والاعمدة الثمينة وينقشون داخلها بالذهب ويضعون فيها من الآنية الفضية والذهبية ما يكل عن وصفهِ اللسان غير انهُ اذا رفع الذي يدخلها الستار المنقوش بالذهب والمرصع بتلك الحجارة الكريمة فيرى هرًّا او تمساحاً او حية وغيرها يتمرغ على طنافس ثمينة ومفروشات فاخرة ويقتات باحسن الاطعمة وافخرها من الحلويات والاثمار واللحوم لمن كان منها مفترساً.

اما كهنتهم فكان منهم لكل كوكب من السيارات السبعة جماعة يتعبدون له مداتٍ معينة ولا تعمل ملوك مصر عملاً الاَّ بمشورتهم وهم الذين يضعون القوانين وكان كبيرهم يأتي كل يوم الى الملك ليحثهُ على استعمال الفضائل ويلعن من صرفهُ عنها وقال بعض المؤلفين انهم كانوا يصدقون بذات الاله العلية ولهم علوم سريَّة فاخرة فوق اعتقادات العامة وخاصةً السحر وفي ما جرى منهم بحضرة فرعون ومضارعتهم بعض الآيات التي عملها موسى النبي عند اخراجهِ بني اسرائيل من مصر ما يقضي بالعجب العجاب وكانوا لا يظهرون من علومهم شيئاً الاَّ للقليل من الناس لكنهم كانوا يسايرون العامة على اوهامهم لِما لهم في ذلك من المآرب وكانوا يكرهون رؤية الدم وينفرون

من بعض الحيوانات النجسة سيما الخنزير ولكراهتهم للبحر المالح كانوا ينفرون من السير فيهِ وينفرون من الغرباء ومن الاكل معهم حتى لا يأكلون طعاماً قطع بسكاكين الغرباء ويحترسون للغاية من ان يوجد قمل على ملابسهم ولا يكثرون من الزوجات خلافاً للعامة الذين كانوا يكثرون من ذلك ويتزوَّج الاخ باخته ايضاً ويزعمون ان انتفاخ الضفادع التي كانت مفرزة لالهم اوزريس الذي مرَّ ذكرهُ كناية عن وحي الهي. ويعتقدون بأن حفظ رمة الميت تكون سبباً في سعادتهم فنشأ عن ذلك شدة اعتنائهم بتصبير الاموات وتحنيطهم على وجهٍ عجيب وكانوا مع هذا ينفرون من تلك الرمم بعد تصبيرها.

وكان لا بد لاقارب الميت من تعيين يومٍ ليذهبوا بهِ بالجثة المحنطة الى منزلها الآخر وكانوا يعتقدون انهُ لا بد من ان اوزريس اله الخير المقيم في امانتي (وهي سماؤهم ويعتقدون انها وراء مغيب الشمس) يدين بمساعدة ابنهِ وغيرهِ الميت قبل ان يدخلهُ الى السعادة الابدية بالانضمام الى علَّة العلل وهي عندهم الاله الأوَّل الذي هو مصدر كل حيٍّ ومرجع كل صالح من الاحياء فان وجد ان سيئاتِهِ اكثر من حسناتِهِ يطردهُ الى العالم الذي خرج منهُ بعد ان صرف حيوة شريرة ويسلمهُ الى من يرجع بهِ الى عالم الحيوانات غير الناطقة ليكفّر بواسطة التقميص من حيوان الى حيوان عن الذنوب التي ارتكبها عندما وصل الى اعلى درجة المخلوقات وهي درجة الانسان وليتطهر من اثامِهِ بحيث يصير اهلاً لان يرجع ثانيةً ويصير انساناً وهكذا بعد رجوعه الى درجة الانسان يعود بعد موتهِ الى درجة الحيوان ما لم يعش عيشةً صالحة بحسب فروض دينهم.

وقد دامت العبادات الوثنية المذكورة في بلاد مصر الى ان لاشاها الدين المسيحي بالكلية في اوائل القرن الخامس للميلاد.

اما اليونانيون فانهم منذ اخذت بلادهم ان تتلقى الغرباء تولعت بسماع الخرافات حتى نظمتها في سلك الالهيات وادعوا ان اختراعها ليس الاَّ من منصب الالوهية وحيث كان اغلبها من الحكايات التي ابتدعها القوم لتشريف ارباب العقول وتأليه روسائهم على ما سبقت الاشارة اليهِ فقد قسموا آلهتهم الى قسمين الأوَّل في الآلهة من الدرجة الاولى والثانية والثاني في انصاف الآلهة وهم فحول الرجال الذين يعتقدونهم متولّدين بين الباقي والفاني اي بين الهٍ وبشر.

اما الذين من القسم الأوَّل فهم الفلك الذين يزعمون انهُ أقدم الآلهة واولادهُ ساترن المسمَّى كيوان وهو زُحَل والدهر وتيتان ولدتهما لهُ امهما وستا اي الارض وسبيلة وهي على زعمهم الارض الزراعية زوجة ساترن المذكور ومن اسمائها الجدة لانها ام

اغلب الآلهة ولا سيما آلهة الرتبة الاولى ووستا الصغرى وهي الهة النار وسريسة وهي السنبلة الهة المحصولات التي احدثت زراعة القمح والحد الحاجز المسمى باله الترم وهو اله الفلوات وكان تيتان ابن الفلك الذي مرَّ ذكرهُ هو الابن البكري للفلك واحق بوراثة المملكة عن ابيهِ لكنهُ تخلى عنها الى اخيهِ ساترن وكان لساترن هذا ابن يقال لهُ جوبيتير وهو المشتري يقتل اولاد عمه تيتان خوفاً من دعوى الميراث فاضطرت الارض التي هي زوجتهُ ان ولدت الاعوان الجبابرة وهم رجال طوال شداد امرهم فوق العادة فوضعوا الجبال بعضها فوق بعض ليصعدوا الى السماء ويطردوا منها جوبيتير المذكور فضربهم جوبيتير بصواعقهِ فوقعوا على وجوههم فوق الجبال غير انهم لما كانوا كثيري العدد ولا قدرة لجوبيتير على مقاومتهم التزم ان يستعين عليهم بغيرهِ من الآلهة الذين بمجرد ان نظروا الاعوان انهزموا وتشتتوا في بلاد مصر وتشكلوا باشكال الحيوانات المختلفة فكان ذلك منشأ عبادة المصريين للحيوانات على ما سبقت الاشارة اليهِ في الكلام عليهم.

ثم طرد جوبيتير المذكور اباهُ ساترن من السماء وقسم ملك الدنيا بينهُ وبين اخوتِه فاخذ هو القسم العلوي الذي هو السماء واعطى سلطنة المياه لاخيهِ نبطون وسلطنة الجزء السفلي المعبَّر عنهُ بالنيران لاخيهِ ابلوطون وشرع جوبيتير في صنع النوع البشري.

وكانت زوجتهُ اختهُ المسماة يونون وهي الهة النكاح والولادة ولها بنت تُسمَّى هيبا الاهة الصبا والشبوبية وولد يقال لهُ مارس اي المريخ وهو القاهر اله الحروب والاسلحة ثم ولدت بركان قبيح المنظر طردهُ ابوهُ من السماء فوقع على الارض وانكسرت رجلهُ ولذلك جعلهُ رئيس الحدادين الموكلين بعمل الصواعق.

ثم ولد لجوبيتير اولاد من غير يونون امرأتِه ومنهم بلاس ولدهُ من رأسهِ واراد ان يجعلهُ اله الحروب والآداب واما من اعتبرهُ حاكماً ومديراً للعلوم سماهُ باسم منيروه اي اله الحكمة ومنهم ابولون ولد من معشوقتِه لاطون غضب عليهِ فجعلهُ اله الرعاة ثم لما زال غيظهُ ردهُ الى السماء وجعلهُ موكلاً بتقسيم الانوار العلوية على العالم وهو الذي اخترع الموسيقى وعلمها للموزات بنات جوبيتير من زوجتِه منيموزينة الاهة الحافظة وولد لهُ منها ايضاً ديانة الهة الصيادين ومن اولادهِ ايضاً بخوس ولد لهُ من سميلة بنت قدموس ملك طيوة التي احترقت بصواعق جوبيتير لما اقترحت عليه ان يأتي لها على شكلهِ الاصلي وحلَّفتهُ بنهرٍ في الجنة يقال لهُ الستكس وكان الجنين وقتئذٍ في بطنها فاخذهُ جوبيتير ووضعهُ في فخذهِ الى ان جاءَ اوان وضعهِ وبخوس هذا الذي علَّم اليونانيين زراعة العنب واما جمهور المؤلفين فيعتقدون ان الاشارة فيهِ هي الى نوح

الاب الثاني للبشر لانهُ هو اوَّل من غرس الكرم بعد الطوفان العام وزعم آخرون انهُ هو النمرود المذكور في التوراة لان كلمة نمرود معناها باللغة العبرانية بكوس يعني ابن كوس.

اما اولاد ابولون ابن جوبيتير الذي مرَّ ذكرهُ فهم اسكولاب اله الطب وكان تعلمِ هذه الصناعة من ابيهِ ومن شيرون القنطوري وفيتوت واخواتهُ الهلياديات اللواتي تغيرنَ ومسخنَ بصورة شجر البان ومن بناتهِ ايضاً الاورور ويعني الفجر التي تغيرت عند كبرها وهرمها الى صورة العنكبوت.

ومن هذا القسم مركور وهو عطارد ترجمان جوبيتر ولذلك سُمّي هرمس اي ترجمان وهو اله التجارة ومن وظيفتهِ قيادة ارواح المذنبين الى النار واخراجهم منها عند استيفاء العذاب.

ومنهُ ايضاً وينوس وهي الزهرة الهة خاصية التناسل والتولد التي يتولد منها المواليد الثلاثة وهي متولدة من زبد البحر ولدت ولداً يُسمَّى قوبيدون غير ان المسميات بالزهرة كثيرات فقد ذكر المؤرخون بان اقدم زهرة هي بنت الفلك والاهة النار وهناك زهرة ثالثة وزهرة رابعة وزهرة خامسة علوية وهي الاهة المودة الصادقة وزهرة تسمى وينوس معاشرة للبشر والاهة المحبة الشهوانية واخراهن واحدة تسمى ابوستروفيا معناهُ التي تصرف القلوب عن صدق المودة.

ومَن اولاد الزهرة آلهة المواليد الثلاثة المذكورة ابرياب اله الرياض وهمنة اله الافراح والاعراس ولها بنات يسمين شارتيات او اللطائف وهن اغليا وتاليا وانفروزينه.

اما ويغوس الهة العشق فمن جلسائها بيسوا وسوادة الهة الفصاحة المشهورة بانها الهة الفسق.

ومن اولاد نبطون اله البحار الذي مرَّ ذكرهُ اوقيانوس ابو الانهر الذي ولد منهُ ايضاً الحورالهات البحار او عرائس البحر اللاتي هن الهات الأنهر والعيون وبعضهن الهات الغابات والكلا والهات الجبال.

وكان نبطون قد ألَّه جماعةً من الهة البحر ايضاً وهم اغلوقوس واينو وابنها ميليسرت وسمى اينو لوقوثة وميليسرت بلمون حيث ان من عادتهم تغيير اسم كل من تألَّه عندهم كما غيروا اسم رومولوس باني رومية حين تألَّه الى كرينوس وسميلة الى ثيونة ومن جملة هذه الآلهة ايضاً ايولة التي كانت سرايتها المعدَّة لحبس الارياح على زعمهم موضوعة في الجزائر الايولية بقرب سيسيليا ومن الغيلان البحرية سيلا وكالبدة اللذين كانا مقيمين

في بوغاز صغير يفصل سيسليا من ايطاليا وكان في هذا البوغاز الغيلان السيرينية التي كانت تستميل بحسن غنائها كل من مرَّ عليها من المسافرين حتى يقعوا طرباً على كثبان الرمل والصخور وكان نصفها الاعلى بصورة النساء والاسفل بصورة السمك.

واما ابلوطون اله النيران السفليات كانت زوجتهُ بروزربينة بنت السنبلة وكانت انهر النيران ثلاثة وهي اخرون وكوسيتة وفلجتون وبها أيضاً بحيرة الستكس وكان حاجب النيران كلباً لهُ ثلاثة رؤوس يسمى قربيرة او ثربيرة وكان خازنها يسمى قارون وكان موكَّلاً بها ثلاثة زبانية وهن القتو وميجير وتيسيفونو وكان تحت حكم ابلوطون البركات اللواتي لكلٍ واحدة منهنَّ ركة غزل عليها بعض الاحيان صوف ابيض وتارةً اسود فيغزلنَ منهُ خيوطاً بمقدار اعمار الناس فمتى انقطع خيط الانسان انقطع اجلهُ وعند ذلك يأخذ عطارد ارواح الموتى التي اتى بها قارون الى الشاطىء فيوصلها الى قضاة النيران فيحاسبونها ويبعثون اهل الجنة للجنة المسماة عندهم اليزة واهل النار للنار المسماة طرطروس وهناك يتعذبون اما بالرباط مع الحيات والافاعي واما بقطع اكبادهم وكلما انعدمت عادت كما كانت او بصبِّ الماء في دنٍ مخروق حتى يمتلىء او بحمل صخرةٍ عظيمة والصعود فيها الى جبلٍ عالٍ صعب المرتقى وكلما وصلت تقع الى اسفلهِ فيعود حاملها اليها ثانيةً وبعد انقضاء مدة العذاب تحل الارواح في اجسامٍ اخرى وتشرب من نهر ليثة لتنسى ما حصل لها.

وزعم شعراؤهم ان اله الثروة والغنى يسمى بلوطوس وكان وزيراً لابولوطون وابن السنبلة واباهُ يزيون وانهُ كان سالكاً في صغرهِ مسلك العدل والانصاف فسلبهُ جوبيتير بصرهُ ولذلك انقسمت الثروة بين اهل الخير واهل الشر على حدٍّ سوا بعد ان كانت قاصرة على اهل الخير فقط وحكي عنهُ انهُ كان اعمى ذا نشاطٍ في الذهاب الى الاشرار وكان اعرج متوانياً في الذهاب الى الاخيار.

ولما جعلوا للسماء وللمياه وللنيران الهة جعلوا للارض ايضاً الهة منها بان وهو ابن مركور وكان نصفهُ الاعلى على صورة انسان والاسفل على صورة غيرهِ من الحيوانات. وباليسة التي كان يستغيث بها الرعاة وفونة وان بيقوس ملك اللاطينيين من جملة الهة الفلوات وبومونة الهة الثمار وفلورة اوكلوريس الهة الازهار وكانوا يتخيلون لكل عين ماء الهاً ولكل نهر الهاً وكذلك كل بيت وكل إنسان وكل طريق وكل حارة ومنعطفة لهم الهة يسمونهم لارية ولكل موضع الهاً وكانوا بمجرد اناطة التمائِم عن اولادهم ينذرونها لهولاء الآلهة وكانوا يقربون لهم الكلاب الانسية الامينة ويجعلون جلودها لملابس هولاء الآلهة واما اله كل رجل الخاص بهِ فيسمونهُ جنيًّا او عقلاً أو قريحة وان موتهُ وحياتهُ

مع موت صاحبهِ وحياتهِ ويزعمون ان لكل رجل من ذلك اثنين احدهما مبارك لونهُ ابيض والآخر مشوم ولونهُ اسود فمن غلبت منهما قوتهُ على صاحبهِ كان الرجل على منوالهِ فان كان الابيض اقوى نشأ لصاحبهِ عنهُ الخيرات او كان الاسود تسببت لهُ انواع الشرور وكانت الثعابين منذورة لهولاء العقول وكانت عقول النساء تسمى برنونات.

وزعموا ان الدهر بمعنى الحظ والنصيب والقسمة الهة انثى وان الافعال البشرية في قبضتها وانها عمياء لا تثبت الاّ على التلون وعدم الثبات.

وكانوا يجعلون لليل الهة انثى وللنوم الهاً وان من هذين الالهين ولد مومس اله الالعاب واللذات والضحك والمزح.

وكما انهم كانوا يعدون من زمرة الآلهة الفضائل والخصال الحميدة كالامانة والعدل والتقوى والصدق والاتفاق والعافية والحرية والسكون ويبنون لها الهياكل العظيمة الفاخرة كذلك بنوا هياكل للشهوات الشنيعة كالحسد والتدليس والكذب والغيبة والشقاق وشدَّة الغضب وما شاكل ذلك هذا ما كان من امر هؤلاء الآلهة اصحاب القسم الاوَّل.

واما اصحاب القسم الثاني الذين هم فحول الرجال على ما سبقت الاشارة اليهِ في ما مرَّ فمنهم برشاوس بن جوبيتير المولود لهُ من اينا بنت اكرزيوس ملك ارغوس. وهرقول اشهر فحول رجال القدماء ولد لجوبيتير ايضاً من الكمينة زوجة انفتريون ملك طيوة. وطيسة ابن ايجة ملك الاثينويين الذي كان معاصراً لهرقول ومن اقاربهِ واحب الناس اليهِ. وكستور وبولكس المعبر عنهما عند الفلكيين بالجوزاء والتوأمين. ويازون بن ايزون ملك تساليا الذي نهب صوف الذهب على زعمهم من بلاد خلشيد. وقدموس بن اجنور ملك الصوريين. واوديب بن ليوس ملك طيوة. وغيرهم كثيرون لا حاجة لذكرهم كما ان لكلٍّ منهم حكاية في سبب تأليهه يطول شرحها فاضربنا عنها هذا ما لخصناهُ مما بُني من معتقداتهم على الحكايات الخرافية التي اشرنا في ما سبق اليها.

ولليونانيين مواسم شهيرة كانوا يقيمونها في ادوار معلومة معينة اكراماً للبعض من الهتهم هذه على اختلاف مراتبها ومنها الاسرار الايليوسينية التي كان اخترعها ابركثيوس ملك اتيكا اكراماً للآلهة سريسة التي مرَّ ذكرها وكانت تقام مرةً واحدة في كل خمس سنين في مدينةٍ يقال لها ايلوسيس في شهري آب وايلول وكان لا يؤذن بدخول احد اليها الاَّ بعد ان يقدّم صلوات وذبائح عديدة للالهة ويطهّر جسدهُ ويتعهد بحفظ الاسرار

المزمع ان يتسلمها. ومنها ايضاً الملاعب الاولمبيقية التي كانت تقام مرَّةً واحدة في كل اربع سنوات بمدينة اولمبة من اقليم المورة اكراماً لجوبيتير وبها كان يؤَرّخ اليونانيون وابتداؤها في سنة ٧٧٦ ق.م. ومنها الملاعب البيثكية اكراماً لابولون على قتلهِ ثعباناً عظيماً. ومنها الملاعب النيمية التي كانت تقام في مدينة نيميا من بلاد المورة مرة في كل سنتين اكراماً لهرقول احد انصاف الآلهة وقد مرَّ ذكرهُ لقتلهِ اسداً في الغياض بقرب المدينة المذكورة. ومنها الملاعب البرزخية التي كانت تقام في برزخ كورنتوس مرةً واحدة في كل اربع سنين اكراماً لنبطون اله البحار واعظم كل هذه الملاعب هي الاولمبيقية التي كانوا يجرون فيها كل نوعٍ من المغالبة والمصارعة والمسابقة وكان الغالب فيها يكلَّل باكليل من اغصان الزيتون الاخضر ويكرم اكراماً لا مزيد عليهِ وكل من اراد الدخول فيها يستعدُّ لذلك بامتناعهِ عن الاطعمة الغليظة وانواع المسكرات وكل ما من شأنهِ ان يضعف الجسم. واما سائر المناسك وغيرها من معتقدات هذه الامة فقد يُعرَف بعضها من اخبار الرومانيين الآتي ذكرهم لكونهم اخذوا ذلك عنها وتلقنوهُ منها.

وكان لكلٍّ من هذه المعبودات عندهم كهنة خصوصيون لخدمتهِ في الاحتفالات المختصة بهِ على طرقٍ مختلفة فان كهنة وستا مثلاً كانوا يسمون باللغة اللاتينية غلية نسبةً الى غلوس اسم نهر في فريجيا وذلك لانهم كانوا اذا شربوا من هذا النهر عربدوا وضرب بعضهم بعضاً بالسلاح وهاموا وتمايلوا برؤوسهم وتناطحوا كالغنم وكانوا يقرضون شعورهم من امام ويلبسون ملابس النساء. وكانوا يشهرون مواسم سبيلة مع الغاغة وإختلاط الاصوات والطبل والمزمار وغير ذلك من آلات اللهو واما في رومية فكان يشهرها نساءٌ رومانيات في هيكل بمحلٍّ منفرد يسمى اوبرتوم يعني المحل المختفي ولا يرخص لرجلٍ في دخولهِ واما كهنة المرِّيخ (مارس) فكان يقال لهم السليانيون فكانوا يعدون ويجرون في رومية عدة ايام مع الوثوب ويحملون اتراساً مقوَّرة وكذلك كان لبخوس نساءٌ يسمين بخوسيات يحملنَ اتراساً في ايديهنَّ في اوقات مواسم بخوس وينشرن شعورهنَّ ويصحنَ صياحاً خارجاً عن العادة ويشتد هيجانهنَّ في بعض مواسمهِ المسماة ارجية فيهمنَ في الجبال لا سيما جبال روم ايلي لابسات جلود النمورة وحيوانات البر وفي ايديهنَّ مصابيح وعلى هذا فقس.

وكانوا يتقرَّبون الى هذه المعبودات بالذبائح في هياكلها ومنها ما كانوا يضرمون النار فيهِ دائماً وتكون سدنتها من العذارى اللاتي يحفظنها دائماً حتى اذا طُفِئَت بالصدفة عوقبنَ اشد العقاب وكانوا يجددونها كل سنةٍ في شهر مارت (اذار) وكانت ذبائحهم

غالباً لهذه الاوثان من الحيوانات المعاكسة لوظيفة ذلك المعبود مثلاً كالخنازير التي من شأنها قلع سيقان الزروع وافساد البزور فكانوا يذبحونها لسريسة الهة محصولات الارض وكانوا يقربون الى ديانة قرباناً من الادميين لا سيما من الذين تنكسر سفنهم جهة بحر بنطس ويتقرَّبون الى بخوس الذي يعتقدون انهُ اول من اعتصر النبيذ بذبح التيوس لان من دأبها اتلاف شجر العنب وينذرون لهُ بنات القسوس لاعتقادهم بان لهُ خاصية ابطال ابخرة النبيذ ويتقربون الى الهة الطرق والحارات بذبح الكلاب الاهلية ويلبسونهم جلودها. ويتفاءَل لهم كهنتهم من مجرَّد نظرهم الى امعاء الحيوانات التي يقربونها الى هذه المعبودات في اوقات الحروب وغيرها وكانوا يفعلون بحسبما يخبرهم الكاهن عن دلائلها.

واما ما ذهب اليهِ فلاسفتهم الذين اخذوا في الظهور بينهم والبحث في ما وراء الطبيعيات منذ القرن السابع قبل التاريخ المسيحي وكان مصدرا لبعض المذاهب التي سوف ياتي الكلام عليها فجميعهُ مذكور في المقالة الاولى من هذا الكتاب ولذلك نقتصر هنا بالاشارة الى محلاَّتِه لمن احب مراجعتهُ فهو مصرح في آراء تاليس المليطي اوَّل الفلاسفة عندهم وانكسفوراس الذي ترأس على مدرستهِ بعد موت انكسيمينس وسقراط خليفة انكسفوراس المذكور وارستيب رئيس الفرقة القيروانية وتلميذهُ ثيودور وافلاطون واضع الاكاديمية القديمة وارستطاليس رئيس الفرقة الثانية من تلامذة افلاطون وفيثاغوروس رئيس قسم الفلاسفة المعروف بالايطالياني وبيرهون رئيس الفرقة المشككة اعني التي لا تجزم بحقيقة شيءٍ من الاشياءِ.

ثم منذ اخذت الديانة المسيحية في الظهور اخذت كذلك هذه المعتقدات او بالحري الخرافات اليونانية في الملاشاة الى ان زالت من بينهم بالكلية في اواسط القرن السادس للميلاد.

والرومانيون الذين قد ذكرنا في ما سبق انهم اخذوا عن اليونان قد كانت عبادة جوبيتير وغيرهُ من الهة تلك الامة داخلة ضمن دائرة ديانتهم وكانوا يعتقدون بالهٍ خصوصي لكلِ نوعٍ من الفضائل والرذائل والقِوَى الجسدية والعقلية وكل شيء مأديًّا كان او جوهريًّا من العالم المنظور وغير المنظور هكذا ايضاً لكل وادٍ وجبلٍ ونهرٍ وجدول عدا من الّهوهُ من علمائهم وابطالهم وخلاصة الامر انهُ لم يفتهم شيءٌ من طرق تعبدات قدوتهم في ذلك اعني اليونانيين المذكورين ومباديها وزد عليهِ ايضاً بان جميع انواع العبادات الوثنية كان استعمالها جائزاً في عاصمة بلادهم.

وكانت هياكلهم الكثيرة جميلة البناء مزخرفة باظرف المنحوتات ومملوة من التقدمات التي كانوا يقدمونها لِما في تلك الهياكل من الآلهة وذكر بعضهم ان عدد اكبر هذه الهياكل واشهرها ينوف عن (٤٠٠) وكان الكهنة هم الذين يخدمون فيها ويقدمون الذبائح من الثيران والغنم وسائر الحيوانات وكان لهم هياكل اخرى برسمِ الآلهة التي من الطبقة الثانية وهي اقلُّ ظرفاً من الاولى ويسمونها البيوت المقدسة فضلاً عما يوجد من المعابد في البيوت اذ انهُ كان لا بد لكل عائلةٍ غنية من معبدٍ خاص بها لاجل عبادتها الخصوصية.

وكانت وظائف امناء دينهم ذات اهميةٍ عظيمة لان روساء الكهنة كانوا موجلين بتقدمة ذبائح بشرية سوف يأتي الكلام عليها في فصلٍ مخصوص لتلك الآلهة ويعتنون بالطقوس الدينية ولذلك كانوا ينتخبون من اعيان الاهالي.

وكان لهم ايضاً جمعيات اخرى من اصحاب التنجيم والمبصرين لاجل تفسير الاحلام والالهامات والمناظر الغريبة والانباء عن الامور المستقبلة وكانوا يستندون في ذلك على هيئة السماء وهيئة امعاء الحيوانات والطيور كما كان يفعل اليونانيون ايضاً ومن اطَّلع على اخبار اسكندر المكدوني يرَ ان هذا الرجل العظيم ما كان يتحرك بحركةٍ قبل ان يستشير اصحاب هذه العمليات الذين كانوا يصاحبونهُ في جميع غزواتهِ وفتوحاتهِ وهكذا كان الرومانيون يعتقدون بذلك كل الاعتقاد فكان المنجمون في رومية يفسّرون للشعب ارادة الآلهة من جهة اشهار الحرب او عقد الصلح حتى انهُ لم يكن احد يجسر على مناقضتهم بل ولا يباشر احد من عامة الناس عملاً مهمًّا قبل ان يستشيرهم ويأخذ رأيهم فيهِ ولذلك كانت وظيفة المنجمين عندهم ذات اهميةٍ كاهمية وظيفة الكهنة حتى ان كثيرين من خواص ارباب المجلس العالي كانوا يجتهدون في الحصول عليها نظير كاتون وشيشرون المعدودَين من فلاسفة الرومانيين وافراد الرجال في الذكاء فانهما كانا من جملة ارباب هذه الصناعة ولئن كانا في حقيقة الامر لا يعتقدان صحتها.

وكان الرومانيون كاليونانيين ايضاً في كونهم يحرقون اجساد موتاهم وابتداوا في هذه العادة منذ ايام المشيخة الاخيرة ومن ثم سَرَت الى سائر اقطار المملكة واستمرَّت الى ان دخلت الديانة المسيحية وحيث زعموا بان هناك شخصاً يسمى شارون موكلاً بارواح الاموات ولعلهُ قارون على ما ذُكِر في خرافات اليونان التي سبقت تفاصيلها وهو لا يحملها ويعبر بها نهر الموت بدون اخذ رسمٍ معين فكانوا يضعون قطعةً صغيرة من النقود في فم الميت ليعطيها الى الوكيل المذكور وكانوا يحملون امام النعش تماثيل الميت وتماثيل اسلافهِ وعند نهاية احتفال الجنازة وتشييعها الى المدفن يرش الكهنة جميع

الحاضرين بالماء ويصرفونهم لكن لمَّا أُدخِلَت عادة حرق الاجساد على ما ذكرنا صاروا يطرحون الجسد على الحطب المرتب على شكل مذبح ثم يدور الجمهور حولهُ بكل هدوٍّ على صوت الآلات الموسيقية وحينئذٍ يتقدم احد الاقرباء بشعلةٍ ويضرم النار في ذلك الحطب وهم يلقون الاطياب في اللهيب وعند النهاية يطفئون الوقيد المذكور بالخمر ويجمعون الرماد ويضعونهُ في آنيةٍ ثمينة يلقونها في مدفن العائلة واذا كان الميت من العساكر فيطرحون سلاحهُ والغنائِم التي يكون قد سلبها من العدو في ذلك الموقد لتحرق مع جثتهِ.

وحيث ان تعاظم الزيغان عن حقيقة العبادة شمل القرابين ايضاً واوقع في نفوس الاقدمين الاعتقاد بان ارواح الاموات يسرُّها سفك الدم وتفاءَلوا في ذلك الى ان صاروا يتودَّدون الموتى بذبائح من النفوس البشرية وخاصةً العبيد والاسرى الذين كانوا يأتون بهم ويذبحونهم على قبور ساداتهم كما يفعل الآن هُمَّل افريقية بل وصار احياناً يأتي بعض الاصحاب ويقدمون انفسهم للذبح من تلقاء ذواتهم حبًّا بالمفقودين فقد جرت حوادث نظير هذه بين قدماءِ الرومانيين ايضاً لكنهم اخيراً إبطلوها عندما ابتداوا يتمدنون واقتصروا هم وغيرهم من الذين كانوا يستعملونها نظيرهم ثم عرفوا شناعتها على ذبح ما كان يميل اليهِ الميت في حال حياتهِ من الحيوانات فقط ولا زالوا على هذه الحالة الى ان اخذت عبادتهم الوثنية في الملاشاة منذ تنصُّر القيصر قسطنطين الاوَّل سنة ٣١٢.

والجرمانيون الذين كانوا يعتقدون بانهم آمة اوكتونية اي متولّدة من الارض ولذلك كانت الارض اوَّل الهتهم ويسمونها بلغتهم هرثة وكانوا يزعمون ان لهرثة هذه ولداً يسمى تويست فسموا باسمهِ مصحفاً اذ تلقبت قبيلتهم توتونية نسبةً لهُ كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار ويتودَّدون المريخ اله الحرب وهرقول اله القوة وعطارد اله السرقة وذلك لكون خرافات اليونانيين لم تكن مجهولةً عندهم غير انهُ لم يكن لهم في بداءة الامر هياكل ولا اصنام وان كانوا في ذلك اشبه بالمجوس الذين سبق الكلام عليهم.

ثم لا زالت القبائل الجرمانية وغيرها من سكان شمالي اوروبا تتدرج في ابطال هذه المعتقدات واعتناق الديانة المسيحية شيئاً فشيئاً منذ القرن الثاني للميلاد الى ان كان آخر من قبل هذه الديانة الشعب البروسياني في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد.

والروسيون الذين كانوا على انواعٍ من العبادات الباطلة والمذاهب المختلفة فكان قوم منهم يعبدون الاوثان وقوم يقولون بوجود الاصلين اصل الخير واصل الشر وربما كان لا فرق بينهم وبين دين المجوس القديم اذ انهُ كثيراً ما كان يفحش الاخ باختهِ والاب ببنتِه ويولدون منهم الاولاد ومنهم من كان يترجى الغرباء ان يدخلوا على نسائهِ وبناتهِ

لاعتقادهم ان الغرباء احسن منهم شكلاً وجنساً وبنيةً ويرون في ذلك اصلاحاً لعيوب تركيب نسلهم ومنهم من كان يعبد ما هو ضروري لمعاشهِ كجلود الضان وجلود الدبّ وغير ذلك ومنهم من كان يعتقد بوجود الهٍ ووجود الشياطين ايضاً ولذلك كان يوجد عندهم سَحَرة وعرَّافون يؤَوّلون الاحلام ومنهم من كان يحلُّ قضاء جميع شهواتهِ وانما يحرّم سنّ المدية والبلطة في السفر وانقاذ الغريق او الجار من الهلاك لزعمهِ ان في ذلك معارضة للقضاءِ والقدر وكان من العادة عندهم قتل البنات خوف الفضيحة والعار كما كان عند جاهلية العرب ايضاً واحياناً يقتل الاولاد والديهم متى شاخوا وعجزوا ليتخلصوا من الاهتمام بالقيام في امر معيشتهم وكانوا يحرقون جثث موتاهم الى غير ذلك من الامور التي داموا عليها الى ان دخل الدين المسيحي بينهم على عهد الملك لولدمير الكبير الذي تولى المملكة سنة ٩٧٥م.

والبريتانيون اي قدماء الانكليز الذين كانت ديانتهم من اردإ العبادات الوثنية وكثيراً ما كانوا يقدمون ذبائحهم البشرية لالهتهم التي كانوا يعبدونها وهي الصخور والحجارة وينابيع المياه وشجر السنديان وهذا الاخير كانوا يخصونهُ بوقار غريب اكثر مما سواهُ مع نباتٍ آخر ينبت على قاعدتهِ وبالاجمال كانوا اشبه بعبَّاد الفتيش الذين سوف يأتي الكلام عليهم.

وكانت كهنتهم منقسمة الى ثلاث مراتب اخصها المعروفة بالدرويد حيث كانت معتبرة عندهم بان لها حق المناظرة على كل اعمال الرعية وكان لرئيسها السلطة والتصرُّف المطلق في كل الاشغال ولا زالت كذلك الى زمن نيرون القيصر الروماني المشهور الذي امر بقتل اربابها بعد ان استولى على البلاد واما الرتبتان الاخريان فكانت احداهما مختصة بنظم الاشعار وانشادها على القياثير والثانية كانت تشتغل بالدرس العقلي للفلسفة والاعمال الطبيعية وكل علم او حرفةٍ من شأنها ان تذهل الشعب وتجعل لها حرمة عظيمة في عينيهِ ولذلك اعتبر الشعب اصحاب هذه الرتبة انصاف الهة ممتازين بمواهب سماوية خصوصية ولا زال الحال على هذا المنوال الى ان تنصَّرت برثا زوجة الملك اثلبرت وبعدها زوجها المذكور وذلك في سنة ٥٩٦ ب.م. ومن ثم اخذت الديانة الوثنية المذكورة في الملاشاة و لم يمض الأ اجيال قليلة حتى عمت الديانة المسيحية تلك البلاد جميعها.

والغاليون اعني قدماء الفرنساويين وقد كانت ديانتهم شبيهة بما هو المعروف في عصرنا هذا عن ديانة الهنود الذين مرَّ ذكرهم وستأتي تفاصيلها ولهم عقائد بعضها

مليح وبعضها قبيح ومذهبهم يُعرَف بالدرويد نسبةً الى كهنتهم اذ كانوا يسمون بهذا الاسم نظير كهنة البريتانيين المذكورين وكانوا يعتقدون بالثواب والعقاب بعد الموت وعند موت رب العائلة يحرقونهُ ويحرقون كذلك معه كل ما كان عزيزاً لديهِ حتى ومن الحيوانات ويطرحون معهُ ايضاً بعض مكاتيب زاعمين بانهُ يأخذها معهُ ويوصلها الى اقاربهم المتوفين ويزعمون بان من قتل نفسهُ لاجل صديقٍ لهُ فانهُ يلاقيهِ في العالم الآخر ويزعمون بان الآباء هم بمنزلة ارباب وملوك فللرجل حق التسلط المطلق على امرأتهِ واولادهِ والتصرف في حياتهم جميعاً وكانوا يحرصون على تربية الاولاد وعمل الخير وان كل من اقرض صاحبهُ مالاً في هذه الحيوة يستوفيهِ في الحيوة الآتية وكانوا يعتقدون تناسخ الارواح ويقيمون احتفالاتهم الدينية بين احراش السنديان و لم تتلاش هذه العبادة من بينهم الاَّ منذ تنصَّر ملكهم اقلويس الاوَّل ابن شلدِريق في سنة ٤٩٦م. بواسطة زوجتهِ اقلوتيلدة بنت اخي غنديود ملك البرغونيين.

فصلٌ

في ما اشتهر من هياكل الطوائف المذكورة ومعابدها بوجه الاجمال

لا يخفى بانهُ لا يزال حتى الآن باقٍ شيءٌ من الآثار الدالة على عظم هياكل هذه الطوائف والمعابد التي كانت تصطنعها لالهتها الوثنية بصناعة عجيبة تذهل الناظرين ومنها هيكل بِلوس في بابل وهيكل فولكان في مصر وهيكل المشتري في ثيبس من نواحي مصر وهيكل ديانة في افسس وهيكل ابولون في مليطوس وهيكل المشتري المدعو اولمبوس في اثينا وهيكل ابولون في مدينة دلفي وهيكلا الشمس والقمر في هالبيوس وهيكلان ايضاً في بعلبك احدهما هيكل الشمس ويُدعَى الكبير والثاني هيكل المشتري وهو اوطأُ من الهيكل الكبير المذكور بنحو (١٠) اقدام واصغر منهُ في الطولِ والعرض ايضاً وهناك اثار هياكل اخرى في مدن متعدِّدة غير انها دون ما ذُكِر وربما عُدَّ تعدادها بدون طائل.

فصلٌ

في فساد المناسك والقرابين الاصلية

وكما ان هذه العبادات الجاهلية والضلالات الردية جعلت الناس جميعاً ان يبدلوا حق

الله بالكذب ويتكلوا على المخلوقات ويعبدوها دون خالقها كذلك افسدت تلك المناسك الاصلية والقرابين المقبولة وابدلتها بمناسك رديئة وقرابين ممقوتة ايضاً حتى صار تقديم الذبائح البشرية من افضل ما تسترضي بهِ تلك الآلهة الوثنية عند جميع الامم القديمة فقد كان اهل فينيقية عند نزول الشدائد بهم يذبحون البشر لالهتهم واهل الحبشة كانوا يذبحون صبيانهم للشمس وبناتهم للقمر واهل كاسان يضحون الناس في غياض البلوط كما كان يفعل اهل انكلترة واما المصريون فكانوا ينتخبون لذلك شقر الشعور وقد اكثر اهالي فرانسا من هذه الضحايا حتى ان كثيراً ما ذبحوا مئة نفس دفعةً واحدة وكان الفرس يضحون البشر بالسيف او بالدفن احياء واليونانيون يذبحون شخصاً واحداً قبل شروعهم في الحرب واهل اثينا يذبحون كذلك شخصاً واحداً في رأس كل سنةٍ واما الرومانيون فقد استمرُّوا على هذه العادة البربرية زماناً طويلاً حتى بعد نهي الشريعة عنها وهكذا في شمال اوروبا فان هذه العادة بقيت هناك الى ما بعد التاريخ المسيحي بزمنٍ طويل واما في بلاد اميركا الجنوبية فكانوا يذبحون اولادهم عند الصلوات العامة وقد ذبح في مدينة مكسيكو قبل ان فتحها الاسبانيول الفا نفس بالف التثنية في سنةٍ واحدة وعند تجديد هيكلهم ذبحوا سبعين الف نفس ولما فتحها الاسبانيول وجدوا فيها برجاً مبنيًّا من مئة وستة وثلاثين الف جمجمة وكان اكثر ذلك من اسرى حروبهم قدموهم ذبائح لالهتهم وكيفية تقديمهم هذه القرابين هي انهم يطرحون الشخص على حجر كبير ويمسكهُ الكهنة من كل جانب ثم يأتي عظيم الكهنة بالحلة الكهنوتية المزخرفة فيشقُّ صدرهُ ويخطف قلبهُ ويرفعهُ الى جهة الشمس ثم يطرحهُ عند اقدام الصنم غير ان هذه العادة بطلت من تلك البلاد منذ استوطن النصارى فيها وهكذا كل المحلات التي ضاء فيها نور الانجيل بحيث لم يبقَ من ذلك شيءٌ الى الآن الاَّ في بعض جنوب اسيا اذ يرفهون الصبيان الحسان لاجل التقدمة وفي افريقية يذبحون مئاتٍ في الوقت الواحد كما سوف يأتي الكلام على ذلك.

الوثنية الحاضرة

والسبب في هذه البقية التي ذكرناها هو ما لا يخفى من وجود نحو ثمان مئة مليون والحالة هذه من بني البشر في العالم الموجود الآن يعبدون الاوثان منها نحو ست مئة مليون كلها فروع من ديانة الصابئين التي سبق الكلام عليها.

ومنها دين البراهمة الهنديين. ودين البوذية الذي يظهر ان ما بينهُ وبين دين البراهمة من الارتباط والتعلق يؤذن بانهما من مبدأ واحد وهذا الاخير هو منتشر ومتنوع الى عدَّة فروع احدها رئيسهُ يقال لهُ اليلما ومقامهُ في مدينة لاسا من بلاد تيبت. ومنها فرع آخر في بلاد الصين ايضاً يُسمَّى دين فرع ومنها فرع يسمى الشمالي وهو موجود في بعض بلاد اسيا. ومنها فرع يسمى سينتو موجود في بلاد يابونيا ويمكن ان يضاف الى هذه الفروع دين السيبك في بلاد الهند ودين كنفرة في بلاد الصين وهذه هي الاديان التي يقال بانها وان تكن مشتملة على عدَّة آلهة الاَّ انها غير مقصودة بالذات. اذ تقول بوجود الهٍ اعلى مقصود بالذات دون غيرهِ كما سبقت الاشارة الى ذلك.

واما الشرك اي عبادة عدَّة آلهة فقد ذهب اكثرهُ من غالب البلاد المتمدنة والموجود منهُ الآن دين الفتيشة الذي هو ابشع كل الاديان الجاهلية القائلة بتعدد الآلهة. والفتيش
هو الشيء الذي لهُ روح او خالٍ عن الروح تعبدهُ الامم اصحاب
عظائِم البدع وهذا الدين موجود تحت اشكال مختلفة
عند كثير من الهمل المتوحّشين المتعمّقين في
الجهالة مثل سودان بلاد
افريقية
م

فصلٌ

في ما اطَّلعنا عليهِ في بعض المؤَلَّفات والجرائد من اخبار معتقدات هؤلاء الامم ومناسكهم

الكلام على البراهمة الهنديين

تقول النشرات الاخيرة ان عدد سكان الهند يبلغ نحو مئتي مليون من النفوس البشرية يوجد بينهم جانب عظيم من الاسلام اما من النصارى فلا اكثر من مئتين وخمسين الفاً من الانجيليين يسكنون في الاقاليم الشمالية التي تحسب قلعة الخرافات والقسم الاكبر والاكثر فهو من هولاء البراهمة وهو نحو (١٥١) مليوناً من النفوس.

قال الامام المقريزي ان اهل الهند القائلون بعبادة الاصنام ويزعمون انها موضوعة قبل آدم ولهم حكم عقلية واحكام وضعها الشلم اعظم حكامهم والمهندم قبلهُ والبراهمة قبل ذلك فالبراهمة اصحاب برهام اوَّل من انكر نبوة البشر ومنهم البردة زهاد عباد رجال الرماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية واصحاب الرياضة التامة واصحاب التناسخ وهم اقسام منها اصحاب الروحانية والبهادرية والناسوتية والباهرية والكابلية اهل الجبل ومنهم الطبسيون اصحاب الرياضة الفاعلة حتى ان منهم من يجاهد نفسهُ حتى يسلطها على جسدهِ فيصعد في الهوا على قدر قوتهِ وقال غيرهُ من مؤلفي الاعصر الاخيرة من العرب ايضاً انهم يبغضون وينفرون في بلادهم من فرقتين يسميان الباريا والبوليا حتى انهُ لا يمكن لهاتين الفرقتين ان تختلطا بهم وهما ملزومتان بان تنعزلا وحدهما عن غيرهما واذا قرب واحد منهما من احد البراهمة فانهُ لا يبعد عليهِ قتلهُ وكذلك هما ايضاً تنفران من بعضهما بعضاً. وللهنود جميعاً بغضة عظيمة لغيرهم من النصارى والاسلام حتى انهم يحكمون بنجاسة من شرب من اناء شرب منهُ مسلم او غيرهُ وقيل انهم في ذلك يخالفون غيرهم من عَبَدة الاوثان الذي لا يبغضون احداً ويرون جميع الأديان بعين واحدة.

اما السبب في تسمية البراهمة بهذا الاسم فهو نسبتهم الى بَرهَم كبير الهتهم وسوف

يأتي الكلام عليهِ وهم أوّل طوائف الهنود واشراف الجنس الهندي جميعهُ يشتغلون بالشرائع والفلسفة ولهم فيها كتب مشهورة عندهم منها كتاب يُسمَّى الصاشة أو الشَسْتَر وكتاب آخر يسمى الويدام أو الفيداس. حكى بعض الكتبة بمعرض قصةٍ كتبها عن رجل من هذه الطائفة انهُ جال من نحو سنتين اي في سنة ١٨٧٠م في شوارع بنارس وهي المدينة المقدسة عندهم ينادي ويقول ان مؤلفاتهم الدينية المدعوة الفيداس لا تصادق على عبادة الاوثان مطلقاً وان الكتب المسماة البوراناس التي تعلم بها لا تستحق الاعتبار وانهُ اجتمع على هذا البرهمي علماء المدينة لكنهم عجزوا عن الردّ على براهينهِ حتى آل امر احد الاغنياء في مدينةٍ يقال لها فقراباد انهُ هدم جميع هياكل الاوثان المبنية في ارضهِ وطلب البعض من الامراء والاشراف الى دعاة الانجيل ان يرسلوا لهم معلمين ومعلمات لاجل تعليم النساء والاولاد.

ثم ان الدين البرهمي ولئن كان يعلّم بوجود اله واحد فان لهم الهة اخرى كثيرة يسجدون لتماثيلها اما اعظمها فهو ذاك الاله الواحد الذي يسمونهُ برهم وقد مرَّ ذكرهُ ويزعمون انهُ في الغالب يكون نائماً وقد يستيقظ في بعض الاحيان ويقول: برهم موجود. او انا موجود. ثم يعود الى النوم وفي احدى هذه اليقظات اشتق منهُ ثلثة الهة اقامهم نواباً عن نفسهِ يسكنون في السموات العليا وهم بَرْهَمَة وَوَشْنَو وسِيْوَى وآلهة كثيرة اخرى لكنها تسكن في السماوات السفلى وسوف يأتي الكلام على ذلك. واشتق منهُ ايضاً جميع دقائق الهيولى في الارض والشمس والقمر والنجوم. وكانت هذه الدقائق يومئذٍ عديمة الترتيب فخلق برهم بيضةً كبيرة ودخل فيها ومعهُ هذه الدقائق جميعها فاقام يرتبها داخل هذه البيضة اربعة آلاف وثلث مئَة الف مليون من السنين ثم خرج من البيضة ولهُ الف راس والف عين والف يد واخرج معهُ الدقائق وفصل بعضها عن بعض فحصل من ذلك الكون الظاهر وهو عندهم اربعة عشر عالماً منها سبعة تحت ارضنا وستة فوقها.

اما الارض عندهم فهي مسطحة مستوية ومركبة من سبع جزائر متراكزة الوسطى منها مسكن البشر ويحيطها بحر مالح. والثانية تحيط بالبحر المالح ويحيطها بحر من عصير قصب السكر. والثالثة يحيطها بحر من العَرَق. والرابعة يحيطها بحر من السمن الصافي المكرر. والخامسة يحيطها بحر من اللبن الرائب. والسادسة يحيطها بحر من الحليب. والسابعة يحيطها بحر من الماء العذب. واما العوالم السفلية فهي مقام المخلوقات الشنيعة الكريهة والعلوية مقام الآلهة.

ويعتقدون ان هذا العالم لهُ اوَّل وآخر وان هذا الاله يملأه بذاتهِ وان آدم وحواء لما تجاوز نعيمهما الحد حكم عليهما ان لا يعيشا الاَّ من شغلهما وكسبهما. وان الارواح بعد الموت تتناسخ فتمرُّ من جسدٍ الى جسدٍ آخر والذي يعاقب على ذنبهِ تنتقل روحهُ الى جسد احد الحيوانات المسكينة واذا تمَّ عقابها بقدر جرمها طهرت وانتقلت من ذلك الجسد واجتمعت بجسمها الاصلي وعاشت معهُ في نعيم ابدي وهذا الاعتقاد هو الذي يمنعهم عن ارتكاب الذنوب واكل لحم الحيوانات والاَّ فما الذي يمنعهم عن ارتكاب الرذائل حال كونهم ينسبون الى الهتهم الآتي ذكرها كل انواع الشرور كما يتضح من الكلام عليها.

ومن هذه الآلهة النواب الذين اقامهم برهم على ما ذكرنا في ما مر واولهم برهمة وهو عندهم الخالق ويصورونهُ غالباً باربعة اوجه واربعة اذرع باربع ايادٍ وفي يدهِ الاولى جزءٌ من الفيدا وهو كتابهم الذي ذكرناهُ قبلا. وفي اليد الثانية ملعقة وفي اليد الثالثة مسبحة وفي الرابعة اناءٌ فيهِ ماءٌ للتطهير.

والثاني وشنواوفشنو وهو الحافظ يصوّرونهُ غالباً باربعة اذرع واربع ايادٍ وفي يدهِ الاولى بوق صدفي وفي الثانية حلقة يزعمون انهُ عند ادارتها تخرج منها نار آكلة لا يمكن مقاومتها وفي الثالثة نبُّوت وفي الرابعة غصن حندقوق.

والثالث سيوى اوسيفا وهو المهلك ويصوّرونهُ غالباً كذلك لهُ اربعة اذرع باربع ايادٍ وفي يدهِ الاولى صولجان وفي الثانية حبل لايثاق المذنبين والاثنتان الاخريان فارغتان ولهُ عين ثالثة في جبهتهِ وحيَّات معلَّقة باذنيهِ وقلادة في عنقهِ من رؤوس البشر المتقطعة.

ويزعمون بانهُ لا يدخل السماء حيث يسكن هذا الاله الاخير من الالهة غيرهُ الاَّ نحو عشرين الهاً فقط يدعونهم الالهة السموية.

اما الالهة الذين هم بدرجةٍ ادنى من الالهة المذكورين فهم نحو ثلاثة وثلاثين مليوناً يسكنون السموات السفلى ويتلوَّنون بكل الالوان والهيئات وهم متدرّبون على كل نوعٍ من الشرور كالقتل والسرقة والكذب والفحشاء وبالجملة كل ما يخطر في عقول البشر من الذنوب والرذائل غير المحدودة ويملك عليهم ملك اسمهُ هِنْدَرا ملك السماء ولهُ الف عين لكن ليست كلها في رأسهِ بل مفرّقة في كل جسمهِ وكل عضو من اعضائهِ حتى يرى كل شيء وهو يركب فيلاً كبيراً ولهُ أربع أيادٍ ماسكاً في اثنتين منها صاعقتين ولهُ قوس معلقة على كتفهِ وهو متقدم لمقاتلة اعدائهِ ويكون دوام ملكهِ مئة سنةٍ من سني الالهة ثم من يقدِّم بعد ذلك مئة راس من الخيول ذبيحةً يملك عوضاً عنهُ. حكي

انهُ في قديم الزمان دعا احد الفلاسفة جميع الالهة الى وليمةٍ عظيمة فحدث ان الملك هندرا المذكور رأى في الطريق وهو آتٍ الى تلك الوليمة ستين الف قُزُم من كهنة برهم واقفين على الطريق امام موضعٍ داست فيهِ بقرة فتجمع قليل من الماء في اثر رجلها و لم يقدر هولاء الستون الف كاهن القزام القصار القامة ان يعبروا ذلك الاثر فضحك الملك هندرا عليهم ولذلك غضبوا منهُ واتفقوا على تولية ملكٍ آخر ليحاربهُ ويأخذ منهُ الملك فخافهم هذا الملك وطلب المساعدة من برهمة فخلصهُ منهم وابقى لهُ السلطة على الالهة المذكورين.

وحيث انهم يعتقدون بأن هؤلاء الالهة لا بد لكل واحد منهم ان يتجسد بهيئة من الهيئات كما اشرنا كانوا دائما يترقبون ظهور الهة متجسدة كالاله الذي يسمونهُ ديبو ويزعمون انهُ عاش منذ خمس مئة سنة وينسبون اليهِ العجائب منها انهُ ذهب للحرب راكباً على حائطٍ مبني من الحجارة العظيمة وانهُ علم جاموساً حفظ الكتب عن ظهر قلبها وما اشبه ذلك ومنذ مدةٍ ادَّعى قوم منهم بان الجنرال نَكَلْسن الانكليزي المشهور بالشجاعة والمهارة في العسكرية هو اله متجسّد واخذوا في عبادتهِ وتقديم ذبائح لهُ ولبسوا لاجلهِ برانيط عوضاً عن الطرابيش ثم اتوا بذلك الى خيمتهِ فامر بطردهم الى خارج فزعموا بان هذا الاله غضبان عليهم بسبب خطاياهم ولذلك طردهم ومن ثم ابتداوا ينوحون ويضربون انفسهم بعصي ويقرعون صدورهم لكي يسترضوهُ. فلما قتل الجنرال المذكور في الحرب قال الفورو العظيم رئيس هذه العصابة الغريبة انهُ لا يقدر ان يعيش في عالم ليس فيهِ نكلسن ولذلك قتل نفسهُ لكي يتبعهُ الى عالم الغيب وهكذا فعل انسان اخر غيرهُ من الطائفة المذكورة واخيراً تلفت هذه الفئة لسبب اختلال عقول البعض منها ووقوعهم في مرض الجنون وقبول اخرين منهم الديانة المسيحية. وحكي في بعض النشرات ايضاً بمعرض ذكر الحيات الموجودة في هذه البلاد وبلاد افريقية انهُ يوجد منها جنس افرادهُ كبيرة ومخيفة في الغاية ومنها ما يبلغ طولهُ نحو ثلثين ذراعاً حتى انها تفترس الخيل والبقر وبني ادم والفيل ايضاً وفي بعض البلاد تخرج من اوجرتها وتدخل القرى والبيوت فصودف ان مبشراً في بلاد الهند المذكورة وجد في بيتهِ حية كبيرة سامَّة فقتلها واذ بعد ذلك بقليل اتى جيرانهُ اليهِ بغيظ شديد واخذوا يوبخونهُ بكلام قاسٍ ولما استخبرهم عن السبب الذي اغاظهم اجابوهُ بكونك قد قتلت الهنا الذي نعبدهُ وبماذا تقدر ان تهيننا باكثر من ذلك ثم يقول الكاتب ان عدد الذين يعبدون الحيات كثيرٌ جدًّا ولربما يظنون بهم انهم اولاد الحية القديمة وانهم من سكان السماء.

ولهذا السبب عينهِ يحاذرون جدًّا من ان يقتلوا اي حيوانٍ كان خصوصاً البقر خوفاً من ان يكون حالاً فيهِ اله من هذه الالهة ويعتقدون ان اكبر الكبائر في القتل خمسة انواع اذا تعمَّدها الانسان لا يسامح اصلاً الاولى قتل احد البراهمة. الثانية قتل ملك. الثالثة قتل امرأة. الرابعة قتل صاحب. الخامسة قتل بقرة. وان قتل البقرة اعظم جرماً من قتل ما عدا الاربعة السابقة. حكي ان رجلاً من الاشراف في الهند كبير طائفة منهم تحترز اكثر من غيرها من ان تكون سبباً في موت احد الحيوانات حتى انهم يصفُّون الماء التي يشربونها ثلاث مراتٍ حذراً من وجود بعوضةٍ فيها سأل احد دعاة الدين المسيحي ماذا يأكل حتى يجد راحةً لضميرهِ فقال لهُ الداعي المذكور اظنك لا تقتل حيواناً مثل بقرة او شاةٍ اخرى غيرها فاجابهُ حاشا لي من ذلك فسألهُ ايضاً هل لا تشترك ابداً في نتائج ذبحها فقال كلاَّ البتة فاجابهُ كالمستعجب اذاً الحيوان الذي من جلدهِ اصطنع حذاءك لم يزل حيًّا فضحك الحاضرون وسكت الهندي خجلاً.

واعجب من ذلك ما روتهُ احدى الجرائد عن جماعةٍ من الاساكفة في مدينةٍ يقال لها بنكلور من بلاد الهند لم يكن لهم اله يعبدونهُ فاتفقوا وعملوا زوج صرامي كبيرة جدًّا ووضعوها على مذبحٍ من الحجارة وصاروا يبخرونها ويسجدون لها والظاهر انهم فعلوا ذلك بناءً على مبدأ من الاعتقادات الوثنية في عبادة ما يضرُّ وينفع اما الضار فللوقاية من شرهِ واما النافع فلشكرهِ وحمدهِ على صنيعهِ

م

فصلٌ

في ما يروى من اخبار معابد هذه الامة ومناسكها

لا يخفى بان الهياكل المعدة للعبادة البرهمية في هذه البلاد هي كثيرة لا يمكن حسبانها ومنها ما هو ذو غنى مفرط ومزخرف زخرفةً عظيمة ولذلك لا نذكر منها الاَّ اثنين الواحد لنكتة وجدت فيهِ والثاني لفرط غناهُ اما الاوَّل فهو يوجد على نحو (٥) اميال من مدينة احمد اباد وهو على صورة البيت الحرام في مكة وفيهِ تمثال الكعبة ولعلهُ هو الذي يقول عنهُ ابن خلدون المغربي بانهُ كان لآدم ابي البشر في سرنديب من جزائر الهند لكنهُ لم يقطع بصحتهِ والثاني موجود في مدور الكائنة جنوبي الهند ويحيطه سور طولهُ من الشمال الى الجنوب (٣٧٣) ذراعاً ومن الشرق الى الغرب (٣٢٠) ذراعاً وعلى الابواب ابراج علو الواحد منها (٧٠) ذراعاً ومن هذه الابراج برج قد نقش عليهِ من اعلاهُ الى اسفلهِ اصنام ذكوراً واناثاً وداخل السور مقدار (٥٠) بيتاً مخصصة للعبادة بعضها كبير جدًّا وكلها مبني من حجارة جلمودية واحدها مسقوف بالبلاط الصمّ ومركن على (١٠٠٠) عمودٍ حجري وفي سنة ١٨٦٨م ابتدأ الاهلون في ان يشتغلوا في تصليح وتزيين بيتٍ منها على مصروف (١٧٠٠) كيس وخدَّام الهيكل الذين يلازمونهُ دائماً هم (٧٣٦) شخصاً منهم (٤٠) امرأة للرقص امام الآلهة ومصروف هذا الهيكل يتحصل من خراج (١٥٠) قرية موقوفة لهُ ويبلغ سنويًّا ٥٥٨٧٥ كيساً على ان ما عدا ذلك من هذه الهياكل المنتشرة في كل البلاد اكثرهُ خراب لا يعتني الاهلون بترميمهِ واعادتهِ مع انهم من جهةٍ اخرى تراهم يجددون هياكل غير ما ذكر مع السخاء الكلي ومصاريف بنائها يجمعها الكهنة من الشعب. وعداءً عنها يقيمون ايضاً دككًا في الغابات العظيمة والاحراش تكون كالمصاطب العالية تحت الاشجار المظللة ويوضعون عليها اوثانهم وهناك يقدمون لها الصلوات وانواع العبادة كما في الهياكل.

ولهم ايضاً مدن يحتسبونها مقدسة بجملتها ويحجون اليها ويقصدون زيارتها منها مدينة بنارس موطن البراهمة وفيها كثير من الهياكل والمساجد يأتون اليها من اقطار الارض ويزعمون ان من مات بها خلص لا محالة وفيها كما في بقية مدن الهند كثير من القرود

المكرسة لالهٍ على هيئة قرد كبير كمدينة اوديان او اودجان وهيكل يغرنوت بالقرب من مدينةٍ يقال لها كوتك.

اما ترتيب عبادتهم اليومية في هذه الهياكل فهي ان ياخذوا ما فيهِ من الاصنام ويغسلوها في الحمَّام ويدهنوها بالطيوب ومن ثم يصلي الكهنة لها والنساء تغني وترقص امامها.

ويعينون لها اعياداً خصوصية في كل شهر يجرونها مع الاحتفال العظيم وقد يجتمع في البعض منها احياناً نحو مئة الف من الزوار ومن هذه الاعياد عيد زواج اله الالهة. وعيد آخر يأخذون بهِ الآلهة بافخر الملابس تتلألأ عليها حجارة الماس والياقوت وغيرها ويحملونها على ظهور الافيال والناس يغنون امامها مع رنّ آلات الطرب والرقص والوف من المشاعل ويذهبون بها الى بحيرةٍ تبعد مسافة ساعةٍ عن الهيكل لكي تتنزه في مركبٍ على الماء مع انوارٍ وصواريخ لا تحصى عدداً. وفي عيدٍ آخر يجرون الاصنام بعربانةٍ في شوارع المدينة بالتهليلات والاغاني ايضاً. يحكى انهُ في عيد راما الذي هو من اشرف الآلهة عندهم يحمل عبادهُ رماحاً وبعضهم سيوفاً وبعضهم اقواساً ونبالاً ووراءهم ثمانية من الرجال حاملون هودجاً داخلهُ ثلاثة تماثيل من النحاس الأوَّل منهم هو راما والثاني امرأتهُ والثالث اخوهُ وهذه التماثيل ملبسة باللباس الثمين المزين بالجواهر والزهور وبالقرب من التخت يمشي خدَّام حاملون مراوح وسعوف نخل ليمنعوا الذبان والغبار عن الآلهة والبعض كانوا يخشخشون بالاجراس وغيرهم يضربون الطبول ويصرخون لاجل إلهاء وفرح الآلهة والبعض كانوا يصفقون قائلين ياناربنو يا جوفندو ياهوري استمعوا لنا واحفظونا وكانوا يطوفون بهِ القرى لكي يجمعوا دراهم من الشعب ويعملوا بها وليمة للاصنام.

ولهذه الامة سخاءٌ وافر ايضاً في تقديم ما يلزم لهذه الولائم يحكى انهُ في احد الهياكل بالقرب من مدينة كلكوتا يقدم يوميًّا للاصنام نحو مئة راس من التيوس والكباش مع عدد من الجواميس وكل يوم سبتٍ واثنين يذبحون عدداً مضاعفاً وفي الاعياد الكبرى يذبحون الوفاً وفي عيد دوركا السنوي يقدم البعض من العيال المعتبرة الف راس من الضان عن العائلة ومنذ مدَّة قدم الراجا ملك نوديا شمالي بنكالا خمسة وستين الف راس من الحيوانات حتى انهُ لم يمكن لجماهير الزوار ان ياكلوا لحومها كاملها فرموا كثيراً منها في النهر وفي وقت عيدٍ لالهٍ آخر ارسل هندي غني تقدمة لهيكل ذلك الاله ستة عشر الف رطل من المحالي ومثلها من السكر والف بدلة من الجوخ وقدرها من

الحرير والف صندوق أرز. وهندي اخر قدم سبعة آلاف وخمس مئة كيس عدا عن الفين وخمس مئة كيس كان يقدمها في كل سنة. وكذلك الفقراء يقدمون بقدر طاقتهم يحكى عن عائلةٍ فقيرة توجهت لزيارة احد الهياكل فكان الاب حاملاً دجاجة والولد الصغير راكباً على كتفهِ حامل نارجيلة (جوزة هند) والى جانبهِ ولد آخر ماشٍ بيدِهِ ثلاث موزات والوالدة حاملة صحن فواكه وزهور.

ومن اغرب الغرائب ما يحكى عنهم في ما يكابدونهُ ويتجلدون لاحتمالهِ طوعاً باختيارهم من العذابات الاليمة تكفيراً لخطاياهم وارضاءً لالهتهم فان من البراهمة المذكورين من لا ملبس لهُ اصلاً. ومنهم من يطرح نفسهُ في الاوحال والاقذار. ومنهم من يُرى في الشمس الحارَّة جدًّا ولذلك يسمونهم فلاسفة متقشفين بل ولا يبالون من الموت ايضاً حتى ان كثيراً منهم قتل نفسهُ مفتخراً لمحض الرياء والسمعة ومع ذلك لا يحسب هذا شيئاً بالنسبة للامور التي تفوق الاحتمال فان منهم من يمكث واقفاً على رجليهِ او متكئاً على شجرةٍ مدَّة سنوات لا يرقد اصلاً ومنهم من يشبك يديهِ ويضعهما على رأسهِ دائماً والناس تلقمهُ الطعام كالاطفال. ومنهم من لا يستعمل رجليهِ ابداً فيرقد دائماً ولا يتحول عن موضعهِ الاَّ بظهرهِ. ومنهم من يحلق شعر رأسهِ ويربط رجليهِ في غصن شجرة ويبقى مقلوباً بحيث يرتفع راسهُ مقداراً يعيّنهُ لذاتِه عن الارض ولا يترك هذه الحالة حتى ينبت شعر رأسهِ ويصل الى الارض. ومنهم من يكابد العذاب على ارجوحة دينية وهو انهُ يلقي ذاتهُ بوجههِ الى الارض فيعلق رجال الارجوحة في لحم ظهرهِ صنارتين من الحديد ويربطونهما على طرف سارية الارجوحة التي تدور على رأس عمود عالٍ وهكذا يديرون السارية فيبقى المتعلق فيها سابحاً في الهواء ودائراً معها واذا صرخ من شدَّة الاوجاع لا يسمع صراخهُ لشدة ضجيج الطبول والصنوج التي يضربونها ويقال ان البعض يبقون معلقين خمس دقائق والبعض نصف ساعة وقليل من يحتمل العذاب اكثر من ثلاث ساعات ويقال ان انساناً واحداً تعلق في يومٍ واحد ثلاث مرات فمُدِح وعظم قدرهُ من الجميع لكونهِ على زعمهم محا كل خطاياهُ.

ومنهم من يقدم ذاتهُ ضحيةً لمعبودهِ بطرحهِ نفسهُ تحت عجلات عربة ذلك المعبود في يوم عيدهِ عندما يطوفون بهِ في الشوارع والاسواق. حكي انهُ في يوم عيد الاله المدعو جاكانوث (اي رب العالم) الذي لم يزل من اعظم الاعياد عند الهنود كان يحضر الوف من الناس من كل جهات الهند وكان يبلغ عددهم احياناً الى ست مئة الف نفس .وكانوا يضعون هذا الاله في مركبة عظيمة ثقيلة ويجرونها فيقع تحت عجلاتها عدد وافر من جهلاء الزوار يقدمون ذواتهم قرباناً لاجل ارضاء ذلك الاله. ونظيرهُ

ما يعتقدونهُ بنهر الكنك من تطهير الخطايا ايضاً ولذلك يحملون من كان منهم مريضاً لا يُرجَى برؤهُ الى هذا النهرويتركونهُ على شاطئهِ لتجتذبهُ الامواج ويغرق فيهِ ويزعمون انهُ اذا مات على هذه الحالة يدخل النعيم بغير حساب فاذا اراد المريض ان يرجع الى بيته ويتداوى يحتقرهُ اهلهُ ويبغضونهُ ولا يقبلونهُ ولو كان عزيزاً عندهم قبل ذلك ويطردونهُ معتقدين انهُ ليس هو اهلاً لمثل هذه الميتة الفاضلة ويقال بان كثيراً من هؤلاء المرضى يصرخ بشدَّة صوتِه ويرجو اهلهُ ان يتركوا لهُ حياتهُ فلا تاخذهم عليهِ شفقة اصلاً بل يغطسونهُ في النهر ويملأون فمهُ بالطين حتى يموت سريعاً ويقال ان بعض قرى بنغالا عمرت من المرضى الذين قدروا ان يخلصوا ذواتهم من الغرق فيهِ. وفي عيد اله هذا النهر السنوي يحضر القوم الى الهيكل من الاطراف البعيدة وكلٌّ منهم يعطي تقدمةً من الدراهم الى الكهنة ثم بعد ذلك ينزلون الى النهر لاجل الاغتسال بمائِه فيطهرون من خطاياهم وتطهر قلوبهم ايضاً ويوجد هناك اناس يحملون ماء هذا النهر في جرارٍ يطوفون بها ليبيعوها في اقاصي البلاد ومنهم من يملأها من انهر اخرى ويدَّعي انها من نهر الكنك غير ان بعض المعلمين المعتبرين عندهم يقولون ان قوة هذا النهر الروحية ستزول بعد سبع وثلاثين سنة. ومن قبائلهم قبيلة تسمى الكومد تعبد الاهةً قاسية دموية وهي عندهم ملكة كل الالهة واصل كل البلايا والشرور ويزعمون انها تقتلهم اذا كانوا لا يقدمون لها ذبائح بشرية ولذلك اعتادوا ان يسرقوا بعض المساكين او يشترونهم بالثمن وفي اليوم المعين للذبيحة يجتمعون من كل الجهات مزينين باحسن اثوابهم وعليهم ريش الطواويس وجلود الضباع ويضربون الطبول ويغنون ويفرحون وفي وقت العصر يقوم كاهنهم ويأخذ الذبيحة ان كانت رجلاً أو امرأة او صبياً او بنتاً ويربطها بعمود موضوع في وسط الميدان وحول هذا العمود يوجد جمهور من الكومد بايديهم سكاكين وخناجر منتظرين الاشارة حتى متى صارت يركضون على ذلك المسكين ومن كان منهم يقطع اوَّل قطعةٍ من جسدهِ يكون لهُ الفضل على غيرهِ.

وجميع الاديان الوثنية من دون استثناء تخفض شأن النساء وتحتقرهنَّ وتحتسبهنَّ كالعبيد لرجالهنَّ واخوتهنَّ وفي كتاب الهنود المسمَّى بالشَسْتَر انهُ لا يجوز للخنازير والكلاب والنساء وغيرها من الحيوانات النجسة ان تدخل هياكل الآلهة. وايضاً ان النساء رذيلات وعديمات الصدق كانهنَّ اكاذيب متجسدة ولذلك لا يسمح لهنَّ ان يقرأن الكتب الدينية ويزعمون ان السبب الوحيد لوجود المرأة هو لكي تكون خادمة ومستعبدة للرجل. وفي الكتاب المذكور ايضاً اذا ارادت امرأة ان تتطهر فلتغسل قدمي رجلها وتشرب الماء لان نسبة الرجل للمرأة هي نسبة الاله للانسان اذ هو الهها وكاهنها

ودياناتها. ولما كان من عوائد الهنود الفاحشة في الرداءة حرق جثث موتاهم في النار فقد تزايد هيجان تخيلاتهم الكثيرة بحرارة طبيعة قطرهم فتولد منها عندهم من جنون الاوهام الفاسدة ما جعل النساء يلزمنَ انفسهنَّ بان كل من مات زوجها تحرق نفسها معهُ وهي حية طائعة مختارة. قال بعض المؤلّفين ان المرأة تفعل ذلك اكراما للالهات لكي تخدم زوجها في العالم الآخر. وقال آخرون ان علة ذلك هو كونهم يعتقدون ان برهمة الذي يرون انهُ ابن الاله (وقد مرَّ ذكرهُ) نزل من السماء وصار بينهم وتزوَّج بعدَّة نساء فلما مات حرقت احب نسائهِ اليهِ نفسها معهُ لتلحقهُ الى السماءِ فصارت هذه الحادثة سُنَّةً متَّبعة بينهم. وان من العادة عندهم ان اقدم زوجات الميت هي التي تفعل ذلك فان ابت الاولى فعلت الثانية. قال بعضهم انهُ رأى هناك رجلاً مات وكان لهُ من الزوجات سبع عشرة فحرقنَ انفسهنَّ مع جثتهِ. وفي اختلاف عوائد الامم ان هذه العادة كانت جاريةً عند قدماء السلاو وفي بلاد اسوج وهي الآن باقية ببلاد الهند وذلك ان الرجل اذا مات وخلَّف زوجةً فانها تدخل شيئاً فشيئاً الى الموقد الذي تنحرق فيهِ جثة زوجها وتقاسي موتها باحتراقها معهُ ففي مملكة قلقوطا يهلك كل سنة نحو ثمان مئة امرأة بهذه العادة القبيحة. ثم ان اقدام النساء على الموقد يختلف باختلاف الجسارة وعدمها وقوة الاعتقاد وضعفهِ فمن النساء من تثب على الموقد بفرحٍ وتحضن بحميةٍ جثة زوجها في النار ولا تضجر ابدا حتى تحترق معهُ ومنهنَّ من هي ضعيفة القوة والاعتقاد ولا تدخل الموقد الاَّ بدلائل برهمية وبترغيب الابوين لها في ذلك ثم حين دخولها في النار تضرب الآلات وتوهج النار الموقدة بالدهن الخالص فاذا صرخت الزوجة في النساء لا يسمع صوتها لدوي الآلات والنار وهذا الامر عندهم من القربات فيسمون هذه القربة سوطة ومعناهُ باللسان الهندي قربة مستحبَّة تصدر عن الايامى. وهي دليل على ان الاعتقادات الباطلة والعوائد العاطلة تتحكم في النساء. ثم ان اصل معتقد الهنديين لا يوجب ان يهلك الانسان نفسهُ وانما جرت العادة بذلك لان البراهمة يسنون لهنَّ تلك القربى ويرغبونهنَّ فيها ويقولون لهنَّ انها وسيلة الى اعلى درجة في الجنة لهنَّ وللازواج الاموات وقيل ايضاً ان مما يؤكد عندهم فعل هذه العادة هو ان بنات الهند تتزوَّجن حديثات السنّ ويتعودنَ على مفارقة الاهل والعيشة تحت تربية الزوج فاذا فقدنَ الزوج كان لا سند لهنَّ ولا حمى فتدعوهنَّ الضرورة الى العود عند الوالدين والصيرورة تحت ايديهما وكفايتهما مع انهُ لا شفقة للوالدين عليهنَّ ولا عدل في حقهنَّ ففي هذه الحالة اذا رغبهنَّ البراهمة وحرضوهنَّ على الاحتراق استسهلنهُ واثرنهُ على الحيوة والقينَ انفسهنَّ في الموقد طمعاً في ان يعشنَ عيشةً اخرى هنية لا تنغيص فيها ولا نكد وقد وعدهنَّ البراهمة بان كل امرأةٍ احترقت مع زوجها فلها بعدد كل شعرةٍ من رأسها

تمتع الف سنةٍ بالعيشة المرضية فلذلك كان كثيرٌ من النساء يقدمنَ على النار من غير خوفٍ ولا حزن بعد هبة حليهنَّ وتوديعهنَّ لاحبابهنَّ انتهى. فالعجب كل العجب من هؤلاء الناس الذين يتغالون في اجتناب قتل النفس ولو بهيمة ويحرقون الاحياء على رؤوس الاشهاد. ويقال بان الانكليز قد ابطلوا هذه العادة منذ استيلائهم على تلك البلاد واذا فعلوها فلا يكون الاَّ في المحلات البعيدة بحيث لا يراهم احد وفي بعض النشرات المطبوعة في سنة ١٨٧٠ م ان الخرافات قد اخذت في الزوال من بلاد الهند في هذا العصر الحاضر ومال تسلط الكهنة الى الاضمحلال حتى انهُ قد انعقدت جمعية خيرية بين البراهمة لاجل ابطال هذه العادة الوحشية وتم اوَّل زيجة ارملة هندية في شهر حزيران سنة ١٨٦٩م بحضور جمهور من الروساء والذوات المعتبرين.

واما زواج الاولاد في صغر سنهم على ما ذكر هنا فهو من عوائد بعض القبائل البربرية العديمة النظام وفي بلاد الهند التي نحن بصددها يزوّجون البنات في السنة السابعة والصبيان في السنة التاسعة. حكى بعض الكتبة انهُ منذ مدة تعين عرس كاد ان يبطل بواسطة صراخ العريس والعروس لانهُ لما قام الكاهن البرهمي ليعقد للعروسين هرب العريس وكان ابن تسع سنين ليفتِّش على امهِ واذ لم يجدها اخذ يبكي ويصيح فلما سمعت العروس التي كانت ابنة سبع سنين فقط بكت ايضاً واخذت في الصراخ فامرهما الكاهن ان يسكتا فلم يسمعا منهُ فخرج واتى بعصا قائلاً اسكتا او اضربكما فخافا منهُ وسكتا. ولا يخفى ما في هذه العادة من المضرَّات التي تهدم اساسات التأديب والتهذيب في العائلة وفي الهيئة الاجتماعية ومن نتائجها الرديئة ما يحكى عن قتل البنات في كثير من قرى هذه البلاد وقد تحقق ذلك من الفحص الذي اجرتهُ الحكومة الانكليزية منذ بعض السنين في حالة اهالي الهند المدنية والادبية فوجدت مقاطعة فيها ست وعشرون قرية لم توجد فيها بنت واحدة عمرها ست سنين لان قبل ذلك كانوا دائماً يقتلون البنات وقلما وجدت بنت في اكثر الضياع وان وجد فتكون نسبتهنَّ الى الصبيان كنسبة الواحد الى عشرة وسبب ذلك هو لنجاتهنَّ من العيشة الشاقة وتوفير مهورهنَّ عند الزيجة ولو بقي الحال على هذا المنوال لكان انقطع الجنس البشري من تلك الاراضي.

وللبراهمة طرق احتيالية في اكتساب الاموال يساعدهم عليها تمرُّنهم على احتمال المؤلمات في العبادة وسخاء الشعب وتعلقهِ بالخرافات ومن ذلك ما رواهُ بعضهم عن انسانٍ وثني في الهند كان متعبداً جدًّا واراد ان يجعل ابناءَ بلده ممنونين لهُ ويكتسب لذاتهِ فضلاً

واستحقاقاً بواسطة بناء بركة ماءٍ عظيمة في تلك الاقاليم الحارة العطشانة ومع انهُ كان ذا ثروةٍ كافية لهذا العمل اراد ان يزيد فضلهُ باستعطائهِ المبلغ اللازم لاجل بنائها من الاهلين ولذلك اصطنع قفصاً من الحديد ثقيلاً ولبسهُ في راسهِ ونذر انهُ لا يخلعهُ حتى يكون قد جمع اموالاً كافية لبناء البركة فمضى عليهِ عدَّة سنين وهو على تلك الحالة وصار معتبراً عند الاهالي ومعدوداً من الاولياء حتى ان الكهنة مع انهم ممنوعون عن معاشرة مثلهِ لكونهِ من رتبة ادنى من رتبتهم صاروا يعدُّون حضورهُ بينهم شرفاً لعظم فضيلتهِ واخيراً باع من ارزاقهِ ما اكمل بهِ بناء البركة فاجتمع الاهالي وخلعوا عنهُ الاراكَنْدَام اي القفص الحديدي والبسوهُ اكاليل وتشاكيل من الزهور علامةً لشكرهم لهُ ثم اخذوا منهُ القفص المذكور ليعلقوهُ في احد الهياكل كما هي العادة عندهم تذكاراً لهُ.ويحكى انهُ لما مرض ملك كلابور مرضاً شديداً دعا الكهنة اليهِ ليصلوا لاجلهِ اولاً بالاجرة فكان يأخذ كل واحدٍ منهم روبيًّا بالنهار اي اثني عشر غرشاً ثم لما اشتدَّ بهِ المرض ورأوا ان موتهُ قريب وليس لهُ اولاد الزموهُ ان يجعل ابن اختهِ وليًّا لعهدهِ وبعد ذلك امروهُ حسب تعليم كتاب الشستر ان يضع نفسهُ في ميزانٍ مع امرأتيهِ لكي يزنوهم بالمعاملة فكان وزنهُ في عملتهم ما يوازي خمس مئة ليرا ووزن امرأتيهِ الف ليرا فاخذوا منهُ حينئذٍ هذا المبلغ الذي هو الف وخمس مئة ليرا ووزعوهُ فيما بينهم مدعين ان الصلاة والوزن لا تنفعان ما لم تصل الدراهم ليدهم فصودف بان الملك اصبح في اليوم الثاني ناقهاً فنادى الكهنة قائلين ان الميزان هو الذي شفاهُ لكن بعد قليل رجع اليهِ المرض بشدَّة ومات.

ومن خرافاتهم يزعمون بانهُ يلزم الاطباء ان يستشيروا بعض الوحوش قبل ان يصنعوا الادوية اللازمة لمعالجة المريض لكي يخبروهم عن المرض والعلاج المناسب لهُ وان حضور الوحش المنتخب من الطبيب لا يكون الاَّ ليلاً بحيث لا يراهُ احد وقد يكون اسداً ونمراً وذئباً او فيلاً او نسناساً الى غير ذلك.

وحيث ان البعض منهم يعتقدون ان كل خيرٍ هو من الهتهم وان رئيس الآلهة لا يعتني الاَّ بالامور الكبرى واما الحوادث الصغرى كالامراض الاعتيادية والخسائر وما اشبه ذلك فهي تحت سلطان وتدبير الالهة الادنى فلكي يرضوا هذه الالهة فيمنعوا عنهم الامراض والخسائر وباقي المصائب يستعملون وسائط عجيبة منها ان كل شاب عند بلوغهِ السنة العشرين من عمرهِ يلتزم ان يختار لذاتهِ دواءً يسمونهُ بلغتهم واكون وهذا الواكون يكون اما من جلد ارنب او جلود بعض الطيور او تصاوير على الخشب او الحجر او خرزات مخيطة على جلد او تصويرات دبب وذئاب وحيات وجواميس وتنانين

غريبة او اشياء اخرى حسب ذوقهِ واختيارهِ ثم يلف هذا الواكون بلفائف من الجلد ايضاً ويضع معهُ شلّة شعر من شعر بعض اصحابِه المتوفين وقطعة تنبك ويجعل الكل في كيسٍ من الجلد مزين بالخرز والالوان الظريفة ويعلقهُ على رقبتهِ لكي يحفظهُ من المصائب والشرور والامراض واذا مرض احد يضعون هذا الواكون فوق راسهِ او تحت مخدتهِ ولكنهم يعتقدون ايضاً بان هذه الذخائر والاثواب والاكياس لا تقتدر من ذاتها ان تشفي المريض بل هي واسطة لاجل جبر خاطر الآلهة الصغرى لكي تتوسط بينهم وبين رئيس الآلهة.

الكلام على البوذيين

لا يخفى ان بلاد الصين تحتوي على ممالك كثيرة واسعة جدًّا وسكانها ينوفون عن (٤٠٠) مليون من النفوس البشرية فيكونون نحو ثلث سكان الارض ويعادلون عدداً اهالي اوروبا واميركا الشمالية والجنوبية معاً ومع استقامة مملكتهم التي لها لحد الآن اكثر من (٣) آلاف سنةٍ وكل حكمتهم واختراعاتهم التي ذكرناها تلخيصاً في المقالة الاولى من هذا الكتاب فهم وثنيون ولئن كانوا يعتقدون بوجود الهٍ واحدٍ غير منظور كما سبق القول اذ انهم يتخذون الاوثان كالهنديين ويتقرَّبون بالذبائح للكواكب السماوية وفي عبارة بعضهم ان هذا الشعب لا يعرف والحالة هذه غير عبادة الاصنام حتى ان المسيحيين قد وجدوا صعوبات عظيمة في الشرح عن الديانة المسيحية بلغة اهالي البلاد حيث لا يوجد فيها كلمات توافق التعبير عنها لكون هذه اللغة صارت مستعبدة بجملتها الى الوثنية نظير قلوب اصحابها.

واعظم الديانات الوثنية المتسلطنة في بلاد الصين واعمّها الآن هي الديانة البوذية ومعناها الادراك والمعرفة الا انهُ قد تفرَّع عنها عدة انواع مصدرها الامم المجاورة لهذه البلاد اضافةً على ما يوجد فيها من الاديان القديمة كدين السحرة الذين يعبدون الشياطين ويستعملون السحر وغير ذلك من الاعتقادات لكن مع كثرة هذه الانواع الموجودة لا يوجد بين اصحابها ما كان يقتضيهِ تباينها من التنافر بل كانما هي كلها لكلٍّ منهم لان الرجل الصيني لا يعتقد بشيءٍ اعتقاداً حارًّا بل يصلي في جميع معابد بلادهِ.

ويظن كثيرون من المؤلفين بان الذين ينقادون الى هذه الديانة هم نحو (٣٧٢) مليوناً من النفوس اذ انها ليست متغلبة في نفس الصين فقط بل وفي جزائر اليابان وشائعة في بلاد الهند ومملكة سيام ايضاً وهي تنسب الى رئيسها المدعو كوتامو بوذة وهو عندهم رئيس جميع الالهة.

فصلٌ

في اخبار كوتامو بوذة المذكور وتعاليمهِ

يقال عنهُ بانهُ ابن ملك مملكة كبيلا التي كانت معروفةً قديماً بين جبال هملايا في شمالي بلاد الهند ولد في سنة ٦٢٣ قبل التاريخ المسيحي وسُمّي اولاً تمام المراد ولهُ قصة طويلة ملخَّصها انهُ بعد ان ماتت امهُ رباهُ ابوهُ تحت تدبير خالتهِ ثم لما شبَّ هذَّبهُ بواسطة اشهر المعلمين والفلاسفة وازوجهُ وهو في سن ١٦ سنة خوفاً عليهِ لكونهِ كان هادي الطبع يحب الانفراد والدرس ويميل الى التنسك ووضع عليهِ حراساً لئلاَّ يهرب فمع كل ذلك وجد فرصةً للهرب ولزم جماعةً من احكم البراهمة ليتعلم علومهم لكنهُ لم يقنع بما استفادهُ منهم بل اخذ في الاختلاء بنفسهِ للتأمُّل والتفكر مدة ست سنين الى ان انكشفت لهُ معرفة الخالق وهو جالس تحت ظل شجرةٍ وان هذه المعرفة هي التي تعين الانسان على احتمال مشقات الحيوة وتنجيهِ من التقميص في صور متعددة بعد الموت على ما سوف يأتي تفصيل ذلك في محلهِ ومن ثم سمَّى نفسهُ بوذة اي المنوّر والبعض يقولون ان هذا اللقب لقبهُ بهِ تلاميذهُ بعد حين وسُمّي في بلاد الصين سكياموني اي ناسك عائلة سكيا وخلاصة الامر انهُ بعد ان انكشفت لهُ هذه المعرفة صمم على نشرها بين الناس واصلاح الدين البرهمي الذي سبق الكلام عليهِ فطاف مدينة بنارس وكل شمالي الهند وعلَّم مدة (٤٥) سنةً الى ان مات وهو في سن (٨٠) سنةً من عمرهِ فاقام لهُ تلاميذهُ ثمان قبب معابد على قبرهِ وانتهى الحال بان تغلبت تعاليمهُ على راي البراهمة وديانتهم في كل تلك البلاد التي ذكرناها فيما مرَّ اما دخولها الى الصين خاصةً فكان في سنة ٣٧٠ بعد المسيح.

ويعتقد معلمو هذه الديانة ان كثيرين يدعون باسم بوذة قد ظهروا ليخلصوا العالم ومنهم سكياموني بوذة المذكور الذي ظهر في العصر المنوه عنهُ وعند البعض منهم ان هذا البوذة هو فشنو الذي ذكر في الكلام على الدين البرهمي وهو الاقنوم الثاني من الههم المثلث الاقانيم والمجتمع في الهٍ واحد والثلثة عندهم الاله الاكبر وان هذه المرة التاسعة من تجسدهِ واعتقد اخرون انهُ ابن القمر ووكيل المريخ ولا يخفى ان برهمة يضاهي عندهم الالاهة فيرونا التي هي عبارة عن السماء وفشنو يضاهي لندرا وهو عبارة عن

الهوا وسيوا يضاهي اكني وهي عبارة عن الارض وهذه الالهة الثلثة الاولية هي التي وقعت في الاختلاف مع غيرها من الالهة الثانوية فقام عوضها الالهة الثلثة وهي التي لا تزال تشخص لهم قوة الطبيعة الاصلية السماوية والهوائية والارضية التي حملهم نفعها لهم وغير ذلك من الاعتقادات على تأليهها وعبادتها.

وكان لما شرع بوذة في اصلاح الدين البرهمي على ما ذكرنا قرَّر نظامات بسيطة وقوانين مبنية على الرأفة والحلم عوضاً عما كان من القوانين الظالمة ولذلك جعلوا تاريخهُ خرافه طويلة مقسومةً الى (١٢) قسماً الأوَّل تاريخه لما عزم وهو في السماء الرابعة ان يخلص العالم وان يختار لنفسهِ ان تلدهُ سودهودانا العذراء ملكاً على كبيلا. (٢) تاريخهُ عندما نزل من السماء بهيئة فيل ابيض ونظر كانهُ شعاع ذو الوان خمسة. (٣) ولادتهُ في وسط حدوث معجزاتٍ كثيرة من خاصرة والدته اليمنى وتبيانهُ ماموريتهُ في ساعة ولادتهِ بجدٍّ لا مزيد عليهِ. (٤) تسميتهُ باسم ثارفا ارثاسيدها اي كل الرغبة في التمام وموت امهِ بعد ان ولد بسبعة ايام واعتناء اختها بهِ واسمها براجاباني كوتاما اي العالم والبشر والسيد والحكمة ولذلك يلقب سكوتاما اي الحكمة. (٥) اختيارهُ كوبا وهي ايضاً فشنو الذي سبق ذكرهُ متجسداً لتكون عروساً لهُ وحصولهُ عليها بعد ان بيَّن قوتهُ في لعبٍ عمومي وبيَّن معرفتهُ وحذقهُ الصنائعي. (٦) خروجهُ من بيت ابيهِ بعد ان تأمَّل ببطلان الملذَّات وصيرورتهُ ناسكاً متقشفاً. (٧) احتمالهُ الآلام الشديدة جدًّا وذهابهُ الى بودهيماندا ومعناهُ عرس المعرفة وجلوسهُ تحت شجرة يجلس تحتها كل عارفٍ بالحق الذي يصير بوذيًّا. (٨) احتمالهُ تجربة مارا اله المحبة والخطية والموت ولكنهُ لا يسقط بل يصادم هذه التجارب. (٩) تذكارهُ ولاداتهِ السابقة وولادة كل الكائنات ووصولهُ الى المعرفة ولمعانهُ كالمعرفة النيّرة وعدد اسمائهِ ١٢ الف اسم ووقوف كل الكائنات على خبرِ وصولهِ وخبر التاجرين اللذين اتيا من بلادٍ بعيدة ونظراهُ قبل كل البشر وقدما لهُ عسلاً ولبناً وغيرهما. (١٠) خبر ابتدائهِ في تعليم الدين واجتماع الرجال والنساء والاغنياء والفقراء والمرضى حولهُ وايمان كثيرين من الحكام والاغنياء بهِ وبنيان مدينة سرافاستي اي مدينة السماء على شاطي نهر الكنك الشمالي في الهند وبنيان دير فيها حيث عين رسلهُ وعمل المعجزات ومضاداتهِ انتظام النساء في سلك الخدمة الدينية وقبولهُ بذلك بعد حين ومجادلتهُ الفلاسفة وغلبتهُ عليهم وعلى كل الحِيَل والشراك التي نصبت لهُ. (١١) خراب مدينتهِ واهلاك كل قومهِ قبل ان مات بمدةٍ يسيرة وموتهُ ولهُ (٨٠) سنةً من العمر وحدوث اضطرابات عظيمة في الطبيعة عند موته. (١٢) عدم اشتعال الحطب الذي جمعوهُ ليحرقوا جسدهُ بحسب عادتهم وخروج نار من صدرهِ بعد تقديم

الاكرام لرجليهِ وحرقها جثتهُ وحدوث سجس عظيم وانشقاق كبير بسبب ما وقع من النزاع للحصول على عظامهِ التي كانت بيضاء كالدرّ وكانت تتضوع منها روائح سماوية (ومن قومهِ من قال انهُ مات قبل المسيح بخمس مئة وثلاث واربعين سنة).

ومما يروون عنهُ انهُ جلس عند ولادتهِ على الارض والتفت الى جهات الدنيا الاربع فلم يجد احداً يعادلهُ مطلقاً فصرخ قائلاً انا الاعظم في الدنيا انا رئيس الدنيا انا اشرف الدنيا وهذه ولادتي الاخيرة وقال عن ذاتهِ انهُ عاش عدَّة اجيال في غير هذا العالم واعدَّ لذاتهِ كل الفضائل والامور اللازمة لهُ في المستقبل وانتقل وسكن في السماء السادسة فمضى اليهِ الآلهة وبرهم وطلبوا منهُ ان يظهر بالجسد في هذا العالم فقبل طلبهم وظهر في السنة المذكورة على الحالة الحاضرة ثم اقام (٢٩) سنةً في حالة الغنى العظيم و(٦) سنين في حالة الزهد والتقشف والسكنى في البرية ثم مضى وجلس تحت شجرةٍ قائلاً انهُ لا يقوم من هناك حتى يصير رب الكون فاخذ البراهمة يبشرون بهِ ويعظمونهُ حتى ظهر لهُ خصم يُدعَى مارايا وحضر اليهِ بعساكر جرارة لكي يمنعهُ عن تملك الكون فلما رأى البراهمة وجميع احزابه ذلك هربوا وتواروا خوفاً منهُ فغضب مارايا من ذلك وجعل ظلمةً حالكة على وجه الارض حتى لم يعد الواحد ينظر الآخر الاَّ جسد بوذة فبقي منيراً اكثر من الف شمس فتقدم اليهِ مارايا قائلا ما هي البراهين التي تثبت انك اهل لهذا المركز الذي انت فيهِ اجابهُ ليس عندي شهود ولا براهين ولا انا محتاج اليها وفي الحال امر الارض ان تظهر حقهُ وعند استماعها صوتهُ ارتجفت (١٠٠) الف مرة وابتدأت تدور فلما رأى مارايا ذلك خاف واقر بسلطتهِ واختفى مخجولاً وللحال ظهرت الآلهة والبراهمة لخدمة بوذة ومن ثمَّ صار رئيس جميع الآلهة.

وقاعدة هذا الدين الاساسية هي ان ارواح البشر والحيوانات كلها خالدة فانها كلها من مادةٍ واحدة ولا تختلف الاَّ بالنظر الى الظروف التي يصير وضعها فيها وان لا بد لهذه الارواح من ثوابٍ او عقابٍ بعد الموت ويسمون دار الخلود جوكوراكف ومعناهُ السعادة الابدية وعندهم انهُ كما ان بين معبوداتهم تفاوتاً كذلك بين ارواح البشر فسعادة كل انسانٍ تكون بحسب استحقاقهِ غير ان السعادة تملأُ ذلك المكان حتى ان كل انسان يظن ان قسمهُ منها اعظم قسمٍ فلا يحسد غيرهُ ولكنهُ يتمنى ان يكون نصيبهُ اعظم نصيب. ويسمون رئيس دار الخلود اميدا وعندهم انهُ يحب البشر ويحميهم وانهُ اب الذين يدخلون دار السعادة ومعبودهم وبدون شفاعتهِ وحدهُ لا ينال البشر غفران الخطايا ولا يتمكنون من الحصول على السعادة المذكورة وعندهم ان لا سبيل الى الحصول على رضاهُ ونوال مكافاتهِ الاَّ بالتقوى والمحافظة على نواميس معبودهم بوذة

واساس هذه النواميس عندهم خمس وصايا وهي (١) لا تقتل مخلوقاً فيهِ حيوة. (٢) لا تسرق. (٣) لا تزنِ. (٤) لا تكذب. (٥) لا تشرب مسكرات شديدة التأثير.

اما الذين يخالفون هذه النواميس ويرتكبون الآثام فلا يستحقون ان يدخلوا دار السعادة بل ترسل ارواحهم الى دار الشقاء واسمها دسيجوكف ليتعذبوا فيها ليس الى الابد ولكن بحسب ذنوبهم فانهم يعتقدون ان في العذاب تفاوتاً كما في السعادة وعندهم ان رئيس دار العذاب اسمهُ جيما وكذلك يسميهِ البراهمة والصينيون جرجيما ويزعمون ان في يد هذا الرئيس نظارة مكبرة ليرى جميع ذنوب البشر كما هي وعندهم ان العذاب لا يدوم اذ يمكن بواسطة تقوى اقارب المعذبين وفضائلهم في الارض تخفيف العذاب وافعل الوسائط لتقصير زمان العذاب صلوات خدمة دينهم والتقدمات التي يقدمونها لمعبودهم اميدا رئيس دار السعادة المذكور فان رضاهُ يحملهُ على ان يجعل رئيس دار العذاب يطلق سبيل المعذَّب فيدخلهُ الى السعادة الابدية.

اما بعد الزمان المفروض لعذاب روح أحدهم واطلاق رئيس التعذيب سبيلهُ بدون تلك الوسائط التي ذكرناها فيسمح لهُ بان يصير روح حيوانٍ صفاتهُ قريبة من ميلهِ السابق فيصير روح حية او ضفدعة او طير او حوت او حمار او فرس او اسد وغير ذلك ثم يأخذ في الانتقال من جسد حيوان الى جسد حيوان آخر ارفع درجةً منهُ الى ان يعود الى جسد انسان مرةً ثانية فان سلك سبل الصلاح والتقوى يدخل السعادة الابدية والاَّ فيعذب ويرجع الى التقميص على ما ذكرنا.

وهذه القواعد المذكورة مبنية على تعاليم هذه الديانة ببطلان الطبيعة اذ ان اخر جملةٍ نطق بها بوذة المذكور هو ان كل مركَّبٍ فانٍ والغاية هي خلاص النفوس من كل الاوجاع والهموم بمنع دوران التقميص الذي يتمُّ بمنع النفس عن ان تولد مرةً اخرى والوصول الى هذه الدرجة يكون بارتفاع الانسان عن هذا العالم حتى يصير غير راغب في الوجود. وعندهم اربع حقائق متعلقة بالالم ومصدرهِ وملاشاتهِ والطرق الموصلة الى ملاشاتهِ. الحقيقة الاولى هي ان الالم هو الولادة والعمر والمرض والموت ومصادقة ما تكرههُ النفس والانفصال عما تحب والتقصير عن بلوغ المآرب. والثانية ان مصادر الالم هي الاميال والشهوات. والثالثة هي ملاشاة كل هذه الاسباب. والرابعة الطرق الموصلة الى هذه الملاشاة وهي ثمانية اقسام. (١) البصيرة الصحيحة. (٢) الحسّية الصحيحة. (٣) الكلام الصحيح. (٤) العمل الصحيح. (٥) المركز الصحيح. (٦) النشاط الصحيح. (٧) الذاكرة الصحيحة. (٨) التأملات الصحيحة وهذه هي

قاعدة الايمان واسم هذه القواعد طرائق الحقائق الاربع وتعليمها انما يكون بادارة دولاب الايمان اما اساس ادابهم فهو مجانبة كل شرّ وعمل كل خير وترويض الافكار.

وليس عندهم خليقة فان العوالم عندهم هي من الازل في حركةٍ دائمةٍ تظهر وتتلاشى والحقيقة هي في ان شيئاً يخلق شيئاً وهذا الدوران ليس لهُ سبب ولذلك لا بداية وان اربعة اشياء لا يعرف قدرها ومقدارها (١) علوم بوذة (٢) الفضاء (٣) عدد الكائنات التي تتنفس (٤) عدد العوالم وان مَنْ يؤمن بان للارض حدًّا او بان ليس لها حدّ فقد كفر ونصف الارض عندهم هو جبل سومرو. وان من البشر من يعيش (٥٠٠) سنة وطولهم (٢٤) ذراعاً ومنهم من يعيش (١٠٠٠) سنة وطولهم ٤٨ ذراعاً. اما العوالم فمنها ما هو محاط باسوار حديدية ولكلٍّ منهم شمس وقمر وانجم وجهنم. ويقسمون ايضاً السماوات الى اقسام كثيرة وكيفيات مختلفة وان الالهة يسكنون في السماء السادسة والعشرين والثامنة والعشرين وعندهم جهنمات كثيرة ويؤمنون بالجان وان الغيلان والجان والارواح تصير بشراً بالولادة.

ويزعمون ان اصل الانسان كان روحاً سموياً ولما شرب من ماء هذا العالم اشتعلت فيهِ الشهوات وشعر بالاحتياج الى الشمس والقمر اللذين لم يطلعا الاَّ عند ذلك وهكذا استخشن الانسان شيئاً فشيئاً واشتدت فيهِ الاميال والطمع واختراع التملك وهذا اتى بالكسل والبخل والحرب والسرقة وغير ذلك الى ان وصلت الدنيا الى ما وصلت اليهِ واقل حيوة يعيشها الانسان هي (١٠) سنين واكثرها (٨٠) سنةً وهكذا يبتدي الدور من العشرة وينتهي في الثمانين عشرين مرةً وهي مدة دوران الخطية.

ثم بعد ان مات بوذة عقد تلاميذهُ مجامع ومجالس كثيرة وكتبوا كتباً ورسالاتٍ فانتشبت بين تابعيهِ حروب كثيرة دموية بسبب اختلاف الآراء.

فصلٌ

في اخبار كونفوسيوس وتلميذهُ منسيوس

وبعد زمنٍ قليلٍ من وفاة بوذة المذكور ايضاً ظهر احد فلاسفة الصين المعتبرين يسمى باللغة اللاتينية كُون فُوتس ومعناها الاصلي المعلم المحترم اذ يقال لهُ بلغة الصين كون

فوشو ويُعرَف بكونفوسيوس وفي الكتب العربية كنفزة ولد في مملكة لوا الصغيرة التي هي الآن بعض ولاية كنتون من الصين في ١٩ حزيران سنة ٥٥١ ق.م. وهي السنة التي تسلطن فيها قورش ملك مادي وفارس فتكون ولادتهُ قبل موت بوذة ببضع سنين وقيل ان ولادتهُ كانت في سنة ٥٤٩ ق.م. وعلى كل حال يكون معاصراً لعزرا الكاهن الاسرائيلي المشهور وقد توفي ابوهُ ولهُ من العمر ثلث سنوات فاهتمت امهُ بتعليمهِ وتربيتهِ والظاهر انها غرست فيهِ ميلاً شديداً الى محبة الادب كما انها اهتمت بتعليمهِ ولما بلغ السبع عشرة سنةً من عمرهِ انتظم في سلك الخدمة السياسية ثم استعفى منها لما بلغ من العمر اربعاً وعشرين سنةً ليقوم بواجبات الحداد على امهِ المتوفاة مدة ثلث سنوات وفي تلك المدة انصب كل الانصباب على درس التآليف القديمة فحركهُ ما رآهُ فيها من الآداب الى محاولة ترجيع العادات القديمة وتعاليم الحكماء القدماء فشرع بالاستعداد للقيام بحق ذلك ولما بلغ سن الثلاثين انخرط في سلك المعلمين فذاع صيتهُ في مدة قصيرة وازداد كثيراً عدد تلاميذهِ ومحبيهِ ولكي يوسع دائرة انتشار تعاليمهِ كان يذهب من مدينةٍ الى مدينة واعظاً ومعلماً للاهلين وفي سنة ٥٠٦ق.م. رجع الى بلادهِ وتسلّم وظيفةً سياسية وتبوأ مسند الصدارة العالي ولكنهُ لم يقم فيهِ غير مدَّة قصيرة لان حِيَل اميرٍ من الامراءِ المجاورين لهُ الجأتهُ الى الخروج من الخدمة العمومية والاقامة في المعيشة الخصوصية فذهب هو وبعض تلاميذهِ الى بلاد الاميروي وصرف بقية حياتهُ في نشر تعاليمهِ ومات في سنة ٤٧٩ ق.م. وكان لهُ من العمر (٧٢) سنة وذلك قبل ولادة سقراط الفيلسوف اليوناني باحدى عشرة سنةً ولكنهُ نال حظًّا اكثر من حظ سقراط المذكور اذ انهُ اشتهر جدًّا في مدة حياتهِ وقدمت لهُ الامة اعتباراً يكاد يكون كاعتبار الآلهة ولا يزال نسلهُ الى هذا اليوم محفوظاً في رتبةٍ مفرزة عن باقي الاهلين وقال بعض الكتبة ان عبادة هذا الفيلسوف هي الآن ديانة اهل الصين الشرعية لان الحكومة الصينية مع انها تبيح التعبد بسائر الاديان لا تعطي المساعدة الرسمية الاَّ لعبادة كن فوشو فقط وفي الصين نحو الفي هيكل على اسمهِ وعلى مذابحهِ الخاصة تقدم يوميًّا تقدمات لا تحصى من الاثمار والمحالي والشاي والبخور ويذبح ايضاً اكراماً لهُ نحو ٦٠ الف ذبيحةٍ سنويًّا من خنازير وارانب وجميع المعلمين والعلماء يحترمون اسمهُ وكل ولد عند دخولِه الى المدرسة لا بد من ان يركع امام صورتهِ المعلقة على حيطانها والتلاميذ يحرقون بخوراً أمام مذبحهِ صباحاً ومساءً ويرتلون ترنيماتٍ في مديحهِ يقولون فيها يا كن فوشو يا كن فوشو ما أعظم اسمك يا كن فوشو وكذلك يكتبون على ألواحٍ من الرخام ويضعونها في كل قريةٍ هكذا «مقرُّ نفس اشهرِ العلماء القدماء او هذا لذكر رئيس عشرة الاف حكيم. او هذا لذكر كن فوشو المتألّه معلم الازمنة القديمة الاقدس» وكذلك يعلقون

صورة تلاميذهِ الاثنين والسبعين في المواضع العالية من الهياكل وجميع الولاة والحكام والمشايخ يلتزمون ضرورةً ان يقدموا لهُ العبادة يوميًّا وان يفحصوا من جهة معرفتهم بكتبهِ الخمسة التي الَّفها وشريعة المملكة مبنية على امثالهِ وشرائعهِ المدونة فيها ولا يجوز لاحدٍ ان يتلفظ باسمهِ واذا صادف احد ذلك الاسم وهو يطالع في الكتب وهو في لغة الصين كِيُوْ فلا يقول كيو بل مَوْ ويقولون ان غاية هذا الفيلسوف الوحيدة هي ان يفتح عين ربوات الاجيال وليُرعِد في اذان الوف الاجيال ويبرق على نظر الذين سوف يحيون تحت السماء.

ومع كل ذلك لم يتكلَّم هذا الفيلسوف في شيءٍ من العقائد الد.ية بل اجتهد كل الاجتهاد في تنظيم طقوسٍ مفصَّلة واقام تعاليمهُ من الحكمة الادبية فان في كتبهِ الخمسة المذكورة التي الَّفها في ما علَّم بهِ من جهة نسب الانسان الخمسة والفضائل الخمس تكلم على النسبة الاولى وهي ما بين الملك والرعية والثانية ما بين الوالدين والاولاد والثالثة ما بين الرجل وامرأتهُ والرابعة ما بين الاخوة والخامسة ما بين الاصحاب ولم يذكر بين هذه النسب النسبة الاولى والعظمى التي هي بين الانسان وخالقهِ واما الفضائل الخمس فهي المحبة والبرّ والاحتشام والمعرفة والايمان وقيل بل هي السخاء والعدل واللطف والحكمة والبساطة وكذلك لم يعطِ فيها امراً ولا رايًا بخصوص واجبات الانسان نحو الله بل يقول احترم جميع الآلهة ولكن ابعدهم عنك وقال ايضاً ملعون هو اوَّل من صنع صنماً. ثم لما مرض واشرف على الموت زارهُ صاحب لهُ يقال لهُ صي لو وطلب منهُ ان يصلي فجاوبهُ هل يليق ان اصلي. قال نعم حيث قال صلوا للالهة السماوية والأرضية فقال لهُ انني قد صليت منذ زمانٍ طويل.

ثم بعد موت هذا الفيلسوف قام بعدهُ رجل اخر على مذهبهِ اسمهُ مان فوتس وهو المعروف باسم منسيوس ولد في اثناء سنة ٤٠٠ قبل الميلاد وتوفي سنة ٢١٤ق.م. وأُنزِل منزلة استاذهِ من الاكرام قال بعض المؤَلفين ان لهذا الرجل واستاذهِ المذكور تصانيف كثيرة في الفلسفة العقلية وهي في غاية الاعتبار عند اهل الصين الى يومنا هذا واكثر قواعدهما الادبية ممدوحة عند الذين اطَّلعوا عليها من الافرنج وقد تُرجم بعضها الى اللغة الفرنساوية والانكليزية.

فصلٌ

في ما وصلت الينا اخبارهُ من معتقدات فروع الديانة البوذية المذكورة

الفرع اللاماوي وهو يُنسَب الى لاما رئيس اهالي البلاد المعروفة عند اهالي اوروبا بالتيبت وهي ممتدة من ينبوع نهر الاندوس الى تخوم الصين وعدد اهاليها ٦ ملايين من النفوس.

واصحاب هذا الدين يؤمنون بالهٍ واحدٍ وبالثالوث وبالجنة وجهنم وبالمطهر على ما سبقت الاشارة اليهِ فيما مرَّ غير ان ايمانهم غير واضح وفي اعتقاداتهم ان الروح لا ترتاح فانها عند خروجها من الجسد تنطلق الى جسد اخر.

اما معبودهم الاصلي فيسميهِ الصينيون فو ويسميهِ اللاماويون الذين نحن بصددهم لا وهو اسم ملك ولد قبل المسيح بالف وست وعشرين سنةً وانهُ كان يملك في الهند وسمَّى نفسهُ تشانتشوروسيتين وادعى انهُ اله متجسد ويزعمون انهُ عندما مات لم يمت الاَّ ليغيب مدَّةً قصيرة ثم يعود وانهُ عاد وهو لا يزال حيًّا في جسد اللاما العظيم ليتمكن القوم من عبادتهِ.

وهذا اللاما يقيم في مكان يسمى باتولي وهو قصر متسع جدًّا بينهُ وبين لاسا (٧) اميال ولا يرى الاَّ في مكانٍ سري من قصرهِ ويقال عنهُ بانهُ جالس مربع الرجلين في وسط مصابيح كثيرة ولابس من الحلى الذهبية والجواهر ما يقصر القلم عن القيام بوصفهِ والذين يفوزون بالدنو من ذلك المكان يلقون انفسهم على الارض اكراماً لهُ وهم بعيدون عنهُ لانهُ لا يجوز لاحدٍ ان يقبّل رجلهُ ومع ذلك لا تبدو حركة منهُ تدل على انهُ قد سرَّ بعملهم ولو كان فاعل ذلك احد الامراء بل ولا يمن عليهم باقل الالتفات لانهُ لا يمتع اعظم الرجال باستماع كلمة واحدة من كلامهِ واذا تمكن احد اولئك العظام من ان يفوز بالاقتراب منهُ ليضع يديهِ على راسهِ لا يكلمهُ ولكنهُ بعد الحصول على بركتهِ بوضع يديهِ على راسهِ يخرج وهو معتقد بانهُ قد نال غفراناً تامًّا وكثيرون من الهنود يذهبون الى قصره للقيام بزيارة تكفيرية واما عظماء اهالي بلادهِ فيفرغون جهدهم للحصول على شيء قليل من غائطهِ او من بولهِ فانهم يضعون الغائط في كيسٍ ويلبسونهُ

في اعناقهم ويضعون من بولهِ في مآكلهم وعندهم ان ذلك يحميهم من الامراض وقد تقرَّر ان اللاماويين الصغار وسوف يأتي ذكرهم ينالون هباتٍ كثيرة من العظماء والاعيان ليعطوهم شيئاً قليلاً من ذلك ويرفعون في قمة جبل قصرهِ شيئاً منهُ لصيانة البشر والمواشي حتى ان جميع الملوك المتدينة بدينهِ يرسلون اليهِ سفراء عندما يجلسون على تخوتهم ليطلبوا بركتهُ هذه للفوز بالسعادة والتوفيق اذ لم تنحصر عبادة هذا اللاما باهالي البلاد التي هو مقيم فيها فقط ولكنها ممتدة بين قبائل كثيرة من التتر الوثنيين حتى ان نفس امبراطور الصين وهو في الاصل من التتر يحترمهُ احتراماً دينيًّا ويبذل اموالاً كثيرة للقيام بمصاريف سفيرٍ لهُ يقيم عندهُ في بكين عاصمة الصين.

ثم ان القريبين من مركز هذا اللاما يعتقدون فيهِ بانهُ الرئيس الأَول الديني وفيهِ روح الاله على ما ذكرنا واما البعيدون عنهُ فيعتقدون بانهُ هو الله ويسمونهُ لاما كنجو اي الاب الازلي ويسمونهُ ايضاً رئيس الرؤساء ولاما اللاماويين هذا عند قطع النظر عن كونهِ المعبود وملاحظة وظيفتهِ الدينية اما عندما يلاحظونِ وجود معبودهم فيهِ فيقولون انهُ الاب السماوي ويصفونهُ بجميع صفات المعبود ككونهِ ازليًّا وعارفاً بالضمائر وفاحص القلوب وانهُ لا يموت ومتمتع بجميع الفضائل ولذلك يأتونهُ من اماكنٍ بعيدة ليعبدوهُ ويقدموا لهُ التقدمات.

وعند المتدينين من اهل تيبت انهُ عندما يموت اللاما العظيم من كبر السن او غير ذلك فيكون قصدهُ ان تخرج روحهُ من مسكن ضعيف لتدخل مسكناً اقوى وانسب لها ولذلك ياخذ اللاماويون الصغار الذين مرَّ ذكرهم في ان يفتشوا كل البلاد على الطفل الذي يكون سكن فيهِ ولهم للتوصل الى معرفتهِ علامات جسدية كما كان كهنة المصريين يفتشون على العجل المسمى ابيس وخلاصة الامر انهم يجدونهُ ويشيعون بان روح اللاما قد دخلت فيهِ وقد قال طبيب من اللاماويين انهُ عندما يطعن اللاما المذكور في السن ويصير قريباً من الموت يجمع مجلس مشورتهِ ويقول لاعضائِه انهُ اخذ في الانتقال الى جسد ولد صغير ولد قبل ذلك بمدةٍ قصيرة وانهُ بعد ان يأخذوا ذلك الولد ويربوهُ باعتناء عظيم الى ان يصير عمرهُ ست او سبع سنوات يقدرون ان يمتحنوهُ بوضع رزمة اثاث من اثاث اللاما السابق فيميز اثاث اللاما عن غيرهِ وان ذلك برهان انتقال روحهِ اليهِ.

وللاما المذكور نحو ٢٠ الفاً من الكهنة الخاضعين لهُ ولهم منازل عند حضيض الجبل بالقرب منهُ وتلك المنازل مختصة بهم وقربهم من مركز رئيسهم او بعدهم عنهُ انما هو بحسب رتبتهم الدينية.

اما اعوانهُ وهم خدامهُ فيسمون باللاماويين الصغار وسلطانهم انفذ سلطان في البلاد ولهم منازل مخصوصة بهم وهم على الغالب مفسودو الاخلاق ومع ذلك لهم المركز الأوَّل ويحترمهم الملوك والعظام وينقاد الشعب اليهم انقياداً اعمى ومنهم من يعرف شيئاً من الطب ومن علم الفلك ولهم مدارس لتعليم فروض الدين ونواميسهِ ومعاشهم انما هو بالهدايا التي ترد اليهم من جميع البلاد من اقاصي الشرق فان سلطان رئيسهم المذكور مع انهُ سائد منذ ٣٠٠٠ سنةٍ لم يضعف بل هو نافذ في امبراطورية المنغول الواسعة وفي اكثر البلاد الهندية علاوةً على بلادهِ وما يجاورها من بلاد الصين وغيرها ومع ان اهالي الصين وجزائر الهند قد اقاموا كهنةً من بينهم منذ قرون كثيرة وقد خلطوا هذا الدين بدين بلدانهم فلا تزال التيبت وأكثر بلاد التتر خاضعة لهُ في الأمور الدينية.

وحيث ان اللاما المذكور لا يقدر ان يسوس مملكتهُ الدينية نظراً لاتساعها بدون وكلا واسمهم هونكتوس ولا يكونون اكثر من مئتي رجل وليس لهم اماكن مخصوصة للاقامة فيحلُّون اينما ارادوا ويجمعون اموالاً كثيرة في زمان قصير بواسطة هدايا الذين يعبدونهم بالوكالة عن رئيسهم لاما المذكور.

الفرع البورمي وهو يُنسَب الى مملكة بورما من بلاد الهند الصينية اهلها نحو ٣ ملايين ونصف يتفقون في امر الزواج مع الصينيين فلا يكون للرجل منهم اكثر من امرأةٍ واحدة شرعية لكنهُ لا يقتصر عليها بل يأخذ من الجواري بقدر ما يشاءُ ويتفقون مع الدين البرهمي بكونهم يحرقون جثث موتاهم ثم يجمعون ما تحصل من الرماد والعظام ويدفنونهُ.

الفرع الغدامي وهو يُنسَب الى الهٍ يعبدونهُ يُسمَّى غداما ويعتقدون بالتناسخ مثل البراهمة على ان النفس بعد التقميص في الوفٍ من الاقمصة تتلاشى في الذات الالهية لكن قبل هذا التلاشي يكون قميصها الاخير جثة فيل ابيض وقال بعض الكتبة في كلامهِ على معتقدات اهالي سيام انهم يعتقدون بان في كل حيوانٍ ابيض روح رجلٍ عظيم ميت أو روح ملك من الملوك المتوفاة فعندما يرون ديكاً ابيض يكشفون رؤوسهم ويحنونها اجلالاً لها ويخصصون بالاكرام الفيل الابيض القليل الوجود في العالم لانهم يظنون ان روح ملكهم تحل فيهِ قبل ان تتلاشى في الذات الالهية ولذلك يلتزم ملك سيام ان يقتني فيلاً ابيض يسكنهُ في قصرٍ بالقرب من قصرهِ فانهم يضيفون الى ما ذكر من اعتقادهم فيهِ ان سعادة البلاد وراحتها تصدران عنهُ حتى اذا مات الفيل الذي عند الملك ينزلون الملك عن ملكهِ بعد موتهِ بسنة وقيل انهم يدفنونهُ معهُ ولذلك كان الملك شديد الاهتمام بهذا الفيل الذي يسمونهُ شنفاجي وهو لقب ملوكي معناهُ عظمة

ويكون قصرهُ المذكور فاخراً جدًّا فيهِ من الاثاث الثمين ما يقصر القلم عن وصفهِ وهو كقصر الملك اذا لم نقل احسن منهُ ويقيمون لهُ نحو ١٠٠٠ نفر خداماً واطباء من العظماء ليقوموا بخدمتهِ وملاحظتهِ على الدوام ويلبسونهُ ثياباً فاخرة ويطوّقونهُ بطوق من ذهب ويضعون على رأسهِ تاجاً ذهبيًّا مرصعاً باثمن الجواهر وانية اكلهِ وشربهِ من الذهب وكل يوم يقودونه الى الحمام فيسير جمهور غفير امامهُ ووراءَهُ المنشدون واصحاب آلات الطرب ويتسابقون الى حمل المظلات فوق ظهرهِ ولا يخرج العظماء من حضرتِه ما لم يحنوا رؤوسهم اجلالاً لهُ ويغذونهُ بافخر الحلوى والمآكل واذا مات يصطادون غيرهُ ويدخلونهُ الى المدينة فيلاقيهِ الملك ووزراء الدولة وعظماء القواد ووجوه البلاد واعيانها.

الفرع الفويّ وهو فرع او مذهب مخصوص احدثهُ فوة ملك الصين في سنة ٥٢ بعد الميلاد فسمّي دين فوة نسبةً لهذا الملك الذي اعتقدوا فيهِ الالوهية ويرون بانهُ منجي الناس من الذنوب.

الكلام على السينتويين

اما الديانة السينتوية ومعنى سينتو تابع الآلهة فان مصدرها بلاد اليابان التي هي مجموع جزائر جهة شرقي الصين في الاوقيانوس المحيط وعدد سكانها مع باقي الجزائر الموجودة هناك يبلغ نحو ٥٠ مليوناً من النفوس البشرية واعظم هذه الجزائر جزيرة اليابان المذكورة وجميعهن في الغالب يشبهن أهل الصين في الهيئة والعوائد.

قال بعض المؤلفين ان من نظام مملكة اليابان عدم التعرُّض للامور المذهبية ما دامت لا تخلُّ براحة الامبراطورية وسلامتها وهذا هو السبب في سهولة نشر الاديان الخارجية فيها مع انها اخّرت الاديان القديمة جدًّا وكان فيها اربعة اديان الاوَّل سينتو الذي نحن بصددهِ وهو الدين القديم ومؤسس على عبادة الاوثان والثاني بدسدو (اعني الديانة البوذية) وهو عبادة اصنام اجنبية اتي بها من سيام والصين وقد سبق الكلام عليها والثالث سموتيو وهو تعليم حكمائهم واهل الاداب منهم. والرابع دفيوس او كريستاندو أي دين المسيح واقدمها الدين الاوَّل واتباعهُ ليسوا باكثر من اتباع غيرهِ واهمها الدينان الاولان وهما السينتوي والبوذي فانهما اعمّ الاديان.

وذكر بعضهم ان الخواجه ميلن الفلمنكي يقول ان ما اختبرهُ من جهة ديانة اهل تلك الجزائر وتعاليمهم هو ان الديانة المسيحية كانت امتدت منذ الجيل الاوَّل حتى بلغت الى تلك الاطراف عن طريق الهند ومنها علموا طريق الفداء بواسطة ابن عذراء قدَّم نفسهُ فديةً عن العالم وتعلموا ايضاً عن الثالوث الاقدس وبعد ذلك رفضوا ما تعلموهُ حتى انهُ لم يبقَ منهُ شيءٌ انتهى كلامهُ. والظاهر انهُ لاحظ لهذه القضية من تعاليم المعتقد البوذي التي سبقت تفاصيلها لانتشار هذا الدين هناك على ما ذكرنا واما زمان دخول الدين المسيحي الى هذه الجزائر على ما هو المعروف فانهُ كان في القرن السابع عشر بواسطة خدَمة المذهب الكاثوليكي واكثرهم من اليسوعيين وانتشر بسرعةٍ انتشاراً غير مؤسس على فهم الحقائق الدينية وفي سنة ١٦١٥م عرف امبراطور اليابان بانهُ قد تداخل اليسوعيون في امور سياسية فغضب جدًّا وامر بابطال هذا الدين ونفى خدَمتهُ المذكورين وعيَّن اعظم قصاص للذين يتنصرون فرجع اكثر الذين كانوا قد تنصروا وبقي البعض منهم مسيحيين فجرى عليهم اضطهاد من اعظم اضطهادات العالم ومنذ ذلك اليوم اشتد بغض الاهالي لكل شيء نصراني غير ان مداخلات ملوك اوروبا غيرت في هذا الزمان اموراً كثيرة ولا زالت تغير.

واما الديانة السينتوية فقد ذكرنا بان مصدرها هو بلاد اليابان وهذه البلاد كانت تعبد في الازمنة القديمة الشمس والعناصر ولا يزالون يعبدون الشمس ويقيمون لها مثالاً في كل الهياكل السينتوية من الاجسام الشفافة او المرائي ومن الطقوس التي لا تزال محفوظة في هذه البلاد هي الطقوس العجيبة القديمة الهندية الموجودة في كتبهم الدينية وهي الرمز الذي كان يرمز اليهِ تقديم الخيل ذبيحةً لان القدماء كانوا يعتبرون الحصان رمزاً يرمز الى الكائن الاوَّل العمومي ولما قالوا ان هذا الكائن انما هو الشمس قالوا لا بد من ان يكون الحصان من اعوانِهِ وهكذا يقدم اليابانيون العبادات الدينية الى تن زبودلي زن وفي بعض الكتب تنسوديزين اي الى ذلك الذي يرسل اشعتهُ بواسطة اقامة حصانٍ وامثالهُ في هياكلهِ ولذلك يقيمون في كل هيكل من الهياكل السينتوية صوراً كثيرة من صور هذه الافراس المقدسة عندهم ويعلقونها على حيطان هياكلهم وهكذا كانت الشمس موضوع اعظم العبادات الدينية عند الذين يعتقدون بالتعاليم السينتوية.

ويراد بالتعاليم السينتوية العبادة الروحية لان هذا الدين ولئن كان يعلم بوجود الهٍ واحد خالق كل شيء نظير باقي الاديان التي مرَّ ذكرها وينسبون اليهِ جميع الصفات الكاملة غير انهم يزعمون بانهُ منزه عن الامور الدنيوية وقد سلمها لالهةٍ غيرهِ كما هو شأن من عداهم من الوثنيين ولذلك يعتقدون بوجود عدد لا يحصى من الارواح التي

تدير مهام العالم ويحصل المتعبدون على رضاها بواسطة الصلوة والقيام بحق حفظ بعض قوانين مما يتعلق بالسلوك والنظافة وطهارة القلب وسرورهِ ويسمونها سن وكامي ومعناهما ارواح ويسمونها احياناً بالعالين والمقدسين والعادلين والغيورين وهم دون الشمس في العبادة التي يستحقونها لكونهم معدين لاجل خدمتها المتنوعة اذ منهم من خصَّ بالسلام ومنهم من خص بالفهم ومنهم بالكلام ولذلك كانت اكثر عبادة التجار منهم لاربع معبودات وهي (١) جيسبيو الذي يزعمون ان اخاهُ تنيسوديس نفاهُ الى جزيرةٍ سكن فيها وعندهم انهُ كان يعيش يومين او ثلثة ايام تحت الماء وهو معبود الصيادين والذين اشغالهم في البحار وتمثالهُ عندهم جالس على الصخر وفي يدهِ آلة توقيف مسير القوارب والثاني داكوكو وعندهم انهُ حيثما ضرب بمطرقتهِ يخرج ماءٌ يرغب في ان يخرجهُ من الارز والمال والملبوس وغير ذلك وتمثالهُ جالس على قفةٍ من الارز وفي يدهِ المطرقة وبجانبهِ كيس لوضع ما يخرجهُ والثالث اسمهُ توسيتوكو ويعبدونهُ في اوَّل السنة ليباركهم بحيث ينالون نجاحاً وتوفيقاً والرابع فولي وهو الغنى والصحة والسعادة وهذه المعبودات اعمّ معبوداتهم واهمها وهي بعد العناصر ويسمونها واي زن اي الارواح الكبيرة. اما الارواح التي هي دون هذه فهي كثيرة جدًّا وهي على الغالب ارواح الابطال والمجتهدين الذين تألهوا باعمالهم العظيمة او صفاتهم الحميدة واشهرها عندهم واعظمها فانس مان اله الحرب وهو امبراطور اليابان السادس عشر المتأله عندهم يزعمون انهُ ولد ولادة هي معجزة ويحترمهُ كل اهالي المملكة ويصنعون لهُ صورة يتميز بها وهي انهم يرسمون صورةً تدل على شخص مهيب كانهُ نازل من السماء راكباً على خنزير عظيم الجثة وبيدهِ آلة الحرب.

وعندهم ان المعبود الاوَّل السائد على جميع المعبودات والمخلوقات ساكن في اعلى السماوات وان المعبودات الثانوية ساكنة بين النجوم ومع انهم يعتنون كل الاعتناء بعبادة المعبودات التي يعتقدون بانها تدير احوال العالم على ما ذكرنا فلا يعبدون هذه المعبودات المرتفعة ولا يقيمون لها أعياداً كما يقيمون لمن هم دونها اذ انهُ مقرّر عندهم ان معبودات مرتفعة بهذا المقدار من الارتفاع عن البشر لا تهتمُّ باحوال مخلوقاتٍ حقيرة كالبشر على انهم يحلفون بها ويكتبون اسماءَها في حلفهم الرسمي وانما عبادتهم وطقوسهم هي متعلقة بتعظيم المعبودات التي يزعمون بانها متسلمة ادارة احكام بلادهم واحوال محصولاتها وعناصرها كالماء وغيرهِ وحيواناتها اذ انهم يعتقدون بانها هي التي تقدر ان تأتيهم بالشقاء والسعادة وان تمكنهم من الحصول على امور حسنة في الآخرة بحسب اعمالهم.

وقال بعض الكتبة ان قاعدة هذا الدين هي التمتع بالسعادة في هذا العالم لانهم وان كانوا يعتقدون بخلود النفس والدينونة والمجازاة الاخيرة وبوجود الجنة وجهنم وينكرون التناسخ الذي هو اعتقاد اكثر الشعوب الشرقية الاَّ ان ذلك غير واضح عندهم لانهم اولاً لا يذبحون الحيوانات النافعة لخدمة البشر ويقولون انهُ لا يفعل ذلك غير الكنود القاسي ثانياً لا يدركون حق الادراك متعلقات الثواب والعقاب وانما يقولون ان انفسهم تذهب الى مكان سعادةٍ تحت ٣٣ سماء لمعبوداتهم وان انفس الصالحين منهم تدخل ذلك المكان حالاً اما ارواح الاشرار فتمنع عن الدخول الى ان تكفّر عن خطاياها فهذا كل ما يعتقدون بهِ من متعلقات الآخرة والثواب والعقاب.

وكما انهم لا يعرفون اماكن للعقاب غير ما ذكرنا كذلك لا يعرفون شيطاناً غير شيطانِ الثعلب اي الذي يعتقدون بانهُ ساكن فيهِ لان الثعلب في اليابان اكثر تعدياً على المزروعات والاهالي يخافونهُ اذ يعتقدون بان فيهِ شيطاناً حتى ان بعضهم يقول ان الاشرار بعد موتهم ينتقلون الى الثعالب وخدمة دينهم يسمونهُ الروح الشرير.

والمعتمد عليهِ في ديانتهم خمسة امور اولها وجود نار طاهرة عندهم علامة وواسطة للتطهير الثانية التطهير وهو اما روحي والمراد بهِ الخضوع التام الى حكم العقل واما جسدي والمراد بهِ الاحتراس من كل شيء نجساً كالدم واكل بعض اللحوم ومعاشرة السفهاء واستماع الكلام القبيح الثالثة حفظ الاعياد الكثيرة والرابعة الحج الى الاماكن التي يحتسبونها مقدسة وهي تبلغ الى ٢٢ مكاناً اعظمها المكان الذي فيهِ الاهة الشمس وهذا المكان لا بد لكل انسان منهم ان يزورهُ في كل سنة. الخامسة عبادة الالهة في الهياكل والبيوت وعند بعض المتدينين جدًّا ان قهر الجسد هو من الفروض ايضاً.

اما قوانين طهارة القلب وسرورهِ التي تكررت الاشارة اليها هنا وفي بدء الكلام على التعاليم السينتوية عندهم فهي عبارة عن الفروض الموضوعة بامر الروساء الروحيين او السياسيين واما طهارة الجسد التي ذكرنا بان المراد بها الاحتراس من كل شيء نجساً كالدم وغيرهِ فان تفاصيلها هي هذه وهي الامتناع عن مسّ الدم وعن اكل اللحم وعن لمس الموتى والذي يتنجس بشيء من ذلك لا يقدر ان يدخل الهيكل ولا ان يزور الاماكن المقدسة ولا يجوز دخول النساء الهياكل في ايام الحيض وعندهم ان النساء اللواتي يذهبنَ لزيارة ازجي (محل زيارة معروف بهذا الاسم) ينقطع حيضهنَّ وعلَّلهُ بعض الكتبة فقال ربما كان ذلك مسبباً عن شدة اتعاب السفر الطويل او من اجتهاد اللواتي ينقطع حيضهنَّ طبعاً فيرغبْنَ في ستر الامر خوفاً من العار انتهى ثم ان كل من ياكل لحم

حيوانات من ذوات الاربع يبقى نجساً ثلثين يوماً اما الذي ياكل لحم الايل فلا يتنجس والذي ياكل الطيور يكون نجساً ساعة واحدة يابانية (وهي قدر ساعتين من ساعاتنا) والاستثناء لطير البازي وطير آخر. أمَّا من يقتل حيواناً او يحضر قتل انسان او موت انسان او يدخل بيتاً فيهِ ميت فيكون نجسا يوما واحدا وهو اليوم الذي يرى فيهِ ذلك ومن اعظم اسباب التنجس موت الاقارب وكل ما كان الانسان اقرب للميت يكون تنجسهُ اعظم وعندهم اذا قصَّر الانسان في القيام بهذه الامور يخسر الطهارة الجسدية ومعبوداتهم لا تحب النجاسة ولذلك لا يسوغ لمن كان كذلك ان يدنو من هياكلهم.

اما الطلبة الذين يريدون ان يتعلموا امور الديانة ليصيروا متدينين فيلزمهم ان يتعلموها من فرقةٍ من فرق الكهنة عندهم تسمَّى ميكادو اتخذوها لتكون واسطة بينهم وبين تلك الالهة العظيمة المستحقة للعبادة التي يعتقدون بانهُ لا يمكنهم الاقتراب اليها وهذه الفرقة تنسب عندهم من حيثية السلالة الى الالاهة الخالقة المذكورة ويلزمهم ان يدفعوا اجرةً على التعليم ولا يتعلمونهُ الاَّ اذا تعهدوا بكتم ما يتعلمونهُ ولا سيما القانون الاخير المتعلق ببداية كل المخلوقات فان ذلك القانون لا يعلمهُ الكهنة المذكورون الاَّ بعد ان يتعهد الطالب بالكتابة تحت اسمهِ وختمِه بانهُ لا ينجس تلك الامور المقدسة عندهم والعالية باظهارها للعامة الجاهلة وهذا القانون في كتابهم المسمى اوداكي وترجمتهُ في ابتداء فتح كل الاشياء كان الخلود والخوا سابحين كما تسبح الاسماك في البحر للتنزه فخرج منهما شيءٌ متحركٌ وقابل التغيير فصار ذلك الشيءُ نفساً او روحاً واسمهُ كونيتوكودا تسنوميكوتو.

فصلٌ

في ما وصل الينا من اخبار معابد وَمناسك وطقوس الديانة البوذية
وفروعها والديانة السينتوية بوجه الاجمال

من المعلوم بان جميع عبدة الاوثان يتخذون تماثيل لالهتهم ويضعونها في الهياكل والبيوت والمنازل لاجل العبادة ويتقرَّبون اليها بالصلوات والتقدمات عن يد الكهنة المعينين لخدمة الدين عندهم كما يستبين ذلك مما ذكر انفاً ومن التفاصيل الآتية ايضاً وكثيراً ما يصرفون اموالاً جسيمة على اصطناع هذه التماثيل وزخرفتها وتزيينها ولها في

بلاد الصين معامل مخصوصة تصطنع فيها هذه التماثيل من الصيني ايضاً منها ما هو مختص بالعبادة ومنها ما هو لزينة البيوت ومنها ما هو لاجل لعب الاولاد لكي يألفوها ويعتادوا على محبتها في صغرهم فلا ينفرون منها متى كبروا غير ان هذه التماثيل التي للعب الاولاد لا يكرسونها كما يكرسون ما يستعملونهُ للعبادة منها وقد يكون من الاصنام المعدة للعبادة ما هو طويل هائل فقد ذكر بعضهم انهُ يوجد في مدينةٍ من مملكة سيام صنم هائل طولهُ ٥٥ ذراعاً ودائرة منطقتهِ ١٢ ذراعاً وطول اصبع رجلهِ ذراع ونصف وهو معمَّر من حجارةٍ مغشاة بالذهب وموضوع في احد الهياكل الواسعة وقد اضطرَّ الذين صنعوا هذا التمثال لصرف عدة ملايين من الاموال ومدَّة من السنين مع الاجتهاد الكلي في عملهِ.

وجرت العادة عندهم وخاصةً في بلاد اليابان أن تكون مراكز خدَمة دينهم مبنيّة في اجمل مواقع البلاد وعلى الغالب هي في المدن الكبيرة المهمة او بالقرب منها ويكون امام هياكلهم طرق واسعة على جانبيها شجر السرو وقد تكون هذه الهياكل مركبة من طبقات كثيرة لكنها ضيقة المساحة وتختلف في الزخرفة والرونق والاعتبار نظراً لما يوجد فيها من الذخائر المقدسة عندهم ومن ذلك هيكل مذبح السماء في مدينة بكين قصبة مملكة الصين موقعهُ في وسط جنينة واسعة مزيّنة وفيهِ ثلاثة مذابح معتبرة الأوَّل مذبح السماء والثاني مذبح قبة السماء وفيها تماثيل ومساجد مسقوفة بالقرميد الصيني الملوَّن بالذهب اللامع وحولهما بلاط واسع من الرخام الابيض وفيهما تقدم صلوات لاجل الطقس الجيد والمواسم الحسنة وتعبد الشمس والقمر والنجوم وفي جنوبي الجنينة يوجد المذبح الثالث وهو عظيم جدًّا واسمهُ مذبح السماء العظيم وهو محاط بفسحة بلاط واسعة ولكن ليس حولها مسجد ولا تماثيل ولا صور ولا صنم لانهُ مذبح الاله غير المنظور المسمى عندهم شِنْكتي يزعمون ان عبادتهُ تسلسلت بينهم سنة ٢٢٠٠ ق.م. فيكون ذلك بالقرب من الزمن الذي فيهِ تفرَّق بنو نوح على سطح الارض وقال بعضهم ان هذا الدين هو دين العلماء الذين لا يعتقدون الاَّ بالوهية الفلك او السماء ويتقرَّبون بالذبح للنجوم وهو دين الدولة أيضاً اه وعلى هذا المذبح يقدم الصينيون في كل سنةٍ طقوساً وذبائح عجيبة دموية لشنكتي المذكور وطريقة ذلك هي انهُ في ٢١ كانون الاوَّل من كل سنةٍ يتقدم ملك الصين باحتفال عظيم مع الوزراء والرؤساء ويمارس وظيفة رئيس الكهنة في ذلك الوقت فيقدمون ثيراناً وعجولاً محرقات لهذا الاله المجهول ويحرقون ايضاً أوراقاً مذهبة وحريراً وقطناً وبخوراً ويرتل المرتلون ترنيمات تسبيحاً لهُ.

وفي مدينة نانكين توجد قبّة قديمة جدًّا تعدُّ من العجائب علوها ١٣١ ذراعاً وهي تُقسَم الى ١٠ طبقات مبنية بالقرميد ودائرة الطبقة الارضية ٦٠ ذراعاً ثم تاخذ تستدق

شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى رأسٍ قياسهُ ذراع واحد وخارجها جميعهُ مغشّى بالصيني الخالص ومصفحة من داخل بالذهب ومملوءة اصناماً صغيرة مذهبة ولكل دائرةٍ رفٌ معلّقٌ على دائرتهِ اجراس عددها ١٢٥ جرساً وعليها ١٢٨ مصباحاً وقد تم بناؤها سنة ١٤٣٠م وكانت مدة الشغل فيها ١٩ سنة ويصعد الى قمتها بمئتي درجة من داخلها على شكل لولب وقد حسبت مصاريفها فكانت ٣٣١٣٩٧٨ ريالاً ويوجد فيها جسد بوذة الهم العظيم.

وفي مدينة كنتون كثير من الهياكل وبيوت العبادة وفي احد هياكلها قد خفظ ظفر من اظفار بوذة المذكور ايضاً.

وفي مدينة خيوي بالقرب من البحيرة الغربية يوجد هيكل فيهِ ٥٠٠ اله ولكل اله صنم مختص بهِ وهذه الاصنام مصطفة في الهيكل واصغرها على علو قامة الانسان واكثرها ملبسة بالذهب وكثيرون من الناس يقصدون هذا الهيكل لاجل العبادة.

وفي بلاد اليابان يسمون الهياكل السينتوية ميا اي القصر الملوكي والمنزل الملوكي وفي بعض النشرات معناها مسكن الارواح الخالدة ومنها اسم قصبتهم مياكو التي هي منزل امبراطورهم الروحي الذي يعتبرونهُ كانهُ الهٌ حي لابس الجسد.

وجرت عادة اليابانيين في عبادتهم التي يقدمونها في الهياكل ان يغسلوا اجسادهم ويلبسوا احسن ملابسهم وثوباً مخصوصاً بالاحتفالات الدينية ثم يسيرون برزانةٍ الى فسحة الهيكل ويغسلون اياديهم من بركةٍ توجد هناك اذا مست الحاجة الى ذلك ثم يسيرون الى نفس الهيكل وهم مطرقون الى الارض ولوائح الورع والاحترام تلوح على وجوههم ويصعدون على الدرجات المودية الى داخل الهيكل وهي واقعة امام نافذة الهيكل وداخلها مرآة من البلور الصافي فيجثون هناك على ركبهم ويحنون رؤوسهم بتأنٍّ واتضاع وتذللٍ ثم يرفعون رؤوسهم وهم راكعون ويلتفتون الى المرآة ويصلون صلوة قصيرة ويطلبون طلباتهم وبعد ان يقدموا تقدماتهم يقرعون الجرس ثلاث مرات فانهم يعتقدون بان معبوداتهم تسر جدّا بصوت الآلات الموسيقية وعندهم ان الجرس منها.

ومن عادة الصينيين انهم قبل شروعهم في شغل مهمّ يستشيرون الاصنام وذلك بطرقٍ مختلفة ولكن الاكثرين منهم يستعملون رمي قرنين في الهواء فوق رؤوسهم قدام الصنم وتكون القرون من القصب كلٌّ منهما لهُ وجهان احدهما محدَّب والثاني مقعَّر فاذا حدث انهُ عند وقوعهما الى الارض يكون الوجهان الظاهران متشابهين فتكون الطلبة مقبولة اما اذا اختلفا وكان احدهما محدَّباً والثاني مقعَّراً فلا تكون مقبولة.

وفي بلاد اموي من بلاد الصين يوجد لكل انسان اله خاص يصلي لهُ ويعبدهُ ولكن حيث ان اشغالهم كثيرة ولا تمكنهم من وقتٍ كافٍ لتقديم ما يجب عليهم من العبادة فيوكلون احد المحتاجين بذلك وقد يكون امرأة ارملة تتوكّل من قبل جيرانها وتجول من بيت الى بيت وتقدم ما يلزم من الذبائح والتقدمات لاوثانهِ الخاصة.

واذا حصل في بعض السنين قيظ فيقدمون صلواتهم وطلباتهم بطرق مختلفة طلباً للمطر واكثرها يوجهونها للتنين الصيني الذي يزعمون انهُ اله المطر يحكى انهُ في سنة ١٨٦٨م. حصل قيظ عظيم في شمالي الصين فكان الاهالي يكتبون على اوراق ملونة باحرف كبيرة ما معناهُ بلغتهم حقًّا هذا المطر جيد. يا لهُ من مطر غزير. ما اجمل هطول المطر. نطلب من السماء ان تمطر كثيراً. ثم يعلقون تلك الاوراق فوق الاسواق وعلى الحَيطان وصنع الاولاد تنيناً من التراب طولهُ ذراعان والبسوهُ اصدافاً نهرية كنايةً عن القشر الذي يوجد في جلود التنانين وعملوا لهُ سريراً من الخشب وطافوا بهِ المدينة يتقدمهم ولدان ايضاً كانهما رئيسا العمل وعلى جانب التنين ولدان اخران معهما دلو ماء وكلما جازوا على مخزن او دكان يقفون قليلاً ويضعون التنين امام باب المحل ويرشون الماء من فوقهِ على الدكان والمخزن ويرتلون لاجل المطر وياخذون من صاحب المحل دراهم جائزةً لهم ثم ينصرفون الى محل اخر وهؤلاء الاولاد الثمانية لابسون اكاليل على رؤوسهم مُن قضبان جديدة مورقة ومثل ذلك على بقية ابدانهم وكلما تاخر المطر يمنع المندرينيون اي العلماء والحكام الشعب عن ذبح الغنم والبقر وغير ذلك ويجمعون جماهير من الشعب ويطوفون في المدن والقرى ويكررون طلباتهم بتلك الكلمات المكتوبة على الاوراق التي يعلقونها لاجل المطر على ما ذكرنا.

وعند اليابانيين وغيرهم من الطوائف البوذية اعياد لتذكار كثيرين من مشاهيرهم وحفظ هذه الاعياد انما يكون بالذهاب الى الهياكل وزيارة مدافن قديسيهم وهذا من الامور التي تصلح كل الاوقات غير ان القيام بها في الاعياد من الفروض ما لم يكن الانسان نجساً فيها من ذلك ثلثة ايام يقيم الصينيون فيها احتفالات دينية مخصوصة لبوذة اولها اليوم الثامن من الشهر الثاني عندهم وهو تذكار يوم خروجهِ من بيتِه وتصميمِه على التقشف والانفراد وعندهم ان ذلك جرى قبل ان تألّه وانهُ ولد في اليوم الثامن من الشهر الرابع اما تألهُهُ وصيرورتهُ بوذة ووصولهُ الى الكمال. فكان في اليوم الثامن من الشهر الثاني عشر ويعبدونهُ في هذه الايام باحتفالاتٍ تزيد عن الاحتفالات الاعتيادية ويقيمون هذه العبادة في الاديرة الآتي ذكرها بالتراتيل والطواف في الهياكل بالاجراس وغيرها ومنها ايضاً انهم يكرسون يوماً في اخر كل سنةٍ يصرفونهُ في وداع الهتهم لزعمهم

ان في ذلك اليوم تترك الالهة الارض ويصعدون الى السماء للسلام على اله الالهة العظيم ويخبروهُ عما حدث تحت ادارتهم على الارض وياخذوا منهُ لذواتهم فرصة عشرة ايام لاجل راحتهم وفي هذه المدة يكون العالم متروكاً بدون حماية وحكم الهي بل ان الناس يحفظون فيها ذواتهم ويحكمون على انفسهم بقدر الامكان ويُسمَع في ذلك اليوم صوت البارود ورنين الاجراس والات الطرب لوداعها اما التقدمات التي يقدمونها في مثل هذه الاعياد وغيرها من دراهم او محالي او تمر او شاي الخ فتصرف على الكهنة وخدام الدين عندهم.

وكهنة البلاد الصينية ينقسمون الى ثلثة اصناف الاوَّل كهنة البوذيين والثاني كهنة التويز والثالث كهنة كونفوسيوس.

اما كهنة الصنف الاوَّل اعني البوذيين فانهم يعيشون في اديرةٍ فيها مطابخ وقاعات للاكل والنوم ومكاتب ويضعون فيها حيوانات وطيور يقدمون لها الطعام بدون ان ينتفعوا منها بشيء وعندهم ان ذلك فضيلة دينية ومن هذه الحيوانات ما يبعث بهِ الاهلون بطريق النذر ويقومون بما تحتاج اليهِ من الطعام ايضاً ولا يأكلون لحومها ولا نتاجها حتى ان بيض الطيور منها يدفنونهُ كما يدفنون ما يموت منها بخلاف الذين يموتون من الكهنة بالنفس فانهم لا يدفنون اجسادهم ولكن يحرقونها ثم يجمعون الرماد والعظام التي لم تحترق ويضعونها في اناء من الخزف يحفظونهُ في مكانٍ مخصوص لرماد الكهنة وعظامهم ويضعون في كل ديرٍ من هذه الاديرة اصناماً كبيرة يسمونها سان بو. اي الثلثة الاعزاء وتكون صفاً واحدا وهي رمز عن بوذة الماضي وبوذة الحاضر وبوذة المستقبل وهذه عبارة عن تجسدِهِ الماضي او المنتظر. ولاكثر هذه الاديرة اوقاف تعيش بها غير انها لا تكفيها فيجمعون ما يسد النقص من الاهالي الذين يزورونهم ومن النذورات وكثيراً ما يجتمع نحو عشرين كاهناً منهم او اكثر يطوفون في الاسواق يجمعون من الاهالي نقوداً او ارزاً او زيتاً وهم يرتلون اسم بوذة ويضربون طبولاً صغيرة فيعطيهم المارُّون وغيرهم ما تسمح بهِ انفسهم كفارةً عن ذنوبهم ومع ذلك يطلب هؤلاء الكهنة من الذين يعطونهم ان يشكروهم على قبول ما يعطونهم اياه اذ انهُ لخير انفسهم.

وملابس هؤلاء الكهنة تختلف باللون والهيئة عن ملابس الاهالي فان ملابسهم الاعتيادية تكون اما برشاء او بيضاء ويحلقون شعر رؤوسهم مرتين او ثلث مرات في كل شهر وكثيرون منهم يكوون بعض محلاتٍ من رؤوسهم بحيث لا ينمو الشعر فيها بعد ذلك واما ملابسهم عندما يقيمون الصلوة فتكون صفرا قطنية او حريرية يعلقون عليها مسابح واجراساً ويوقدون الشموع ويطوفون بها في معابدهم.

ومن فروضهم عند الدخول في خدمة دينهم ان يخرجوا عن طاعة والديهم وان ينذروا البتولية وان لا يظهروا ميل حب الى اقاربهم وان ينقطعوا عن مصاحبة الاهالي ولا يحق لهم ان يناموا في بيتٍ فيهِ غيرهم من الاهالي ويزعمون انهم معفون من طاعة الامبراطور غير انهم خاضعون لهُ بالخضوع لولاتِه وحكامِه ولهم رئيس عمومي يسوسهم ويؤدبهم غير ان سلطته ضعيفة فان ذلك متعلق بروساء الاديرة وهم يرتلون في اديرتهم تراتيل وترنيمات لا يعرفون معنى اكثرها لكونها هندية مكتوبة باحرف صينية وعندهم ان ترتيلها مرات متوالية من الفضائل الدينية ولذلك يحسبون عدد ترتيلهم اياها بمسبحةٍ مخصوصة واكثر صلواتهم هي كذلك غير مفهومة لانها مكتوبة على هذه الصورة.

ويدَّعون انهم لا يأكلون لحماً البتة وانهم يعيشون باكل النبات وانهم اذا اكلوا لحماً او سمكاً يخطئون واذا قيل لهم ان في الماء والنبات حيوانات كثيرة تُرَى في النظارات المكبرة ولذلك لا تقدرون ان تمنعوا عن التغذي باللحم يغتاظون وينكرون وجود تلك الحيوانات.

ويقيمون صلوات واحتفالات في البيوت يستدعيهم الاهالي اليها لاجل شفاء المرضى وطرد الارواح النجسة وغير ذلك مما سوف يأتي ايضاحهُ ولا يقومون بها مجاناً ولكنهم يأكلون عند اصحابها ويأخذون منهم رسماً دينيًّا.

واما كهنة الصنف الثاني فيعرفون بكهنة التويز واتباعهم اقل من البوذيين ولم يقف الاجانب على تفاصيل اعتقاداتهم واحتفالاتهم لانهم يتجنبون مخالطتهم اكثر من كهنة بوذة ولا يبلغونهم اعتقاداتهم واكثر صلواتهم تقام في هياكلهم ولا يتزوجون ولكنهم لا يمتنعون عن اكل اللحم.

وبعض الهة هؤلاء الكهنة هي الهة للبوذيين ولكنهم لا يقيمون صلوة بالاشتراك ولهم ثلاثة اصنام يسمونها سان شنك اي الثلثة الاطهار وعندهم انها رمز الى تجسد الههم لوشو فانهم يعتقدون انهُ تجسد ثلاث مرات اما الاهالي فلا يعبدونها الاَّ قليلاً لكونهم لا يعرفون شيئاً عنها.

وملابسهم مختلفة عن ملابس الامة ولا يحلقون كل شعور رؤوسهم ولا يجدلون ما يبقى منها ولكنهم يجمعونها ومنهم مَن يحلق بعضها ومنهم من لا يحلق شيئاً منها.

ومنهم طغمة مستقلة تختلف عن غيرها فان اصحابها يلبسون ملابس كملابس الاهالي لما لم يكونوا مشغلين في اقامة الصلوة ويتزوجون ويتعاطون اشغالاً ويأكلون لحماً ونباتاً

فلا يفرقون عن الاهالي شيئاً الاَّ وهم يقومون بالصلوة ويعيشون بما يحصلونهُ اجرةً لقيام الصلوة والاحتفالات للاهالي ولكل جمهور منهم رئيس واجرتهُ ضعف اجرتهم وهم اكثر من كهنة البوذيين واشغالهم اكثر من اشغالهم فان الاهالي يستخدمونهم اكثر مما يستخدمون اولئك.

وكهنة الصنف الثالث الذين هم كهنة كونفوسيوس صفان صفٌّ للولاة وصف لخدمة الدين بين الاهالي فانهُ لكل حاكم من المدير الى نائب الملك كاهن اجرتهُ من الخزينة الامبراطورية ومن واجباتهم القيام بالاحتفالات الدينية الرسمية التي يعينها الامبراطور منها الاحتفالات الشكرية في الربيع والخريف لاله الفلاحة وفي وقت الحرب لاله الحرب وهلمَّ جرًّا وهم يقومون فيها بالترتيل والاشارة الى الولاة عن وقت الركوع والنهوض وعلى الحكام ان يطيعوا اوامرهم عندما يعبدون السماء والارض او غيرهما اما الذين يخدمون الشعب منهم فليس لهم اجرة من الحكومة. وملابس هؤلاء الكهنة ملابس اخر رتبةٍ من اهل العلم وعلى رؤوسهم لباس فيهِ زرٌّ من ذهب هذا ما كان من امر كهنة البوذيين.

واما كهنة السينتويين فيسمونهم كانوثري ومعناها المعلمون الروحيون وليسوا في شيء من الرتب الممتازة وليس لهم وسم مخصوص ولا امتيازات او عادات مخصوصة وانما يعتبرونهم كاعتبارهم اكبر اكابرهم ومنهم طائفة الميكادو التي ينسبونها من حيثية السلالة الى الالاهة الخالقة وقد اتخذوها لتكون واسطةً بينهم وبينها وتعلم طلبة الدين باجرةٍ كما سبقت الاشارة الى ذلك في ما مرَّ ونساءُ كهنة السينتويين تعدُّ كاهنات ايضاً وهؤلاء الكهنة يسكنون في جوار الهياكل لاجل الخدمة وضيافة الزائرين والغرباء ويتعيشون بالتقدمات والهدايا التي يقدمها الشعب والزوَّار المذكورون لهياكلهم.

ويوجد عندهم ايضاً رتبتان هما دون رتبة الكهنوت والذين يمارسونهما لا بد من ان يكونوا عادمي البصر. واصل واضع هذه الخدمة على هذا النوع على ما قيل انهُ منذ اجيال قليلة وجد لاحد الملوك ولد جميل الصورة جدًّا لم يكن لهُ نظير الاَّ بنت ملكٍ آخر وجدت في ايامهِ وهما في عنفوان الشباب فاراد ابن الملك ان يتزوَّج بهذه البنت الاَّ ان المنية سبقتهُ الى لاختطافها فلما ماتت حزن عليها حزناً مفرطاً افضى بهِ الى العمى وحينئذٍ شرع في ممارسة هذه الخدمة ثم سلمها الى اناس مثلهِ عميان وهم ايضاً لمن بعدهم وهلمَّ جرًّا الى يومنا هذا وهذه هي الرتبة الاولى واما الرتبة الثانية فقد اسسها رجل شجاع مشهور في شجاعتهِ كان أُسِرَ بعد ان قُتِل مولاهُ في احدى الوقائع الحربية ونظراً لفرط شجاعتهِ اراد الملك الذي اسرهُ ان يرتبط معهُ بعهد المحبة ويجعلهُ متوظفاً

عندهُ بوظيفةٍ تليق بهِ بحيث يكون بينهما مودة فلما ان عرض عليهِ ذلك اجابهُ اني تحت اعظم ممنونيةٍ لك لانك لم تعاملني الاَّ بالاحسان والمعروف غير انني لا اقدر ان ارى وجهك لكونك قتلت سيدي وبناءً على ذلك يجب عليَّ ان افعل ما يمنعني عن رؤيتك كيلا تتحرك حاسيات غضبي عليك عندما انظرك واقتلك كما قتلته ثم ذهب وقلع عينيهِ وقدمهما لهُ على طبقٍ فعند ذلك تعجب الملك منهُ غاية العجب وزاد في اكرامهِ وهو الذي مارس الخدمة الثانية ووضع اساسها.

ثم ان اهالي البلاد الصينية مع كونهم على مذاهب مختلفة من الديانات البوذية على ما ذكرنا فهم جميعاً متفقون على عبادة البشر احياءً واموتاً وليس انهم يؤلهون فلاسفتهم وشجعانهم فقط كما يستبين ذلك من التفاصيل التي ذكرت بل يعبدون ايضاً اسلافهم على وجه الاطلاق في حالة الحيوة وبعد الوفاة ايضاً.

اما عبادة البشر وهم في حالة الحيوة فتستبين مما جرت بهِ عادتهم من اكرام الوالدين والاقارب اكراماً مفرطاً بلغ بهم الى ان يسجدوا على ركبهم امام والديهم واجدادهم واعمامهم وعماتهم واخوالهم وخالاتهم وكذلك البنات اللواتي يتزوَّج بهنَّ الشباب فانهنَّ يشتركنَ بعد زواجهنَّ مع ازواجهنَّ في هذه العبادة لاقارب الزوج بعد ان كنَّ يقدمنها لاقاربهنَّ على هذه الصورة في بيوت ابائهنَّ قبل الزواج كما يشتركنَ معهم ايضاً في عبادة ارواح الاموات من السلف ايضاً. ومن غرائب ما يحكى عنهم من هذا القبيل هو انهُ كان في احدى مدنهم رجل صرف اكثر ايام حياتهِ وكل ما لهُ في لعب القمار ولما لم يبقَ في يدهِ شيءٌ من الدراهم والاملاك ليصرف على نفسهِ اخذ موضعاً مرتفعاً ووقف عليهِ واخذ يصرخ في الناس ويقول انا بوذة الحيّ والموت لا يصيبني واني اعيش الى الابد وبقي على ذلك مدة ايام وهو يصلي الصلوات البوذية ففي بداءة الامر لم تعبأ بهِ الناس لكن اخيراً ابتداوا يؤمنون بهِ رويداً رويداً ويقدمون لهُ اكرامات وتقدمات من المآكل والدراهم ثم بعد ذلك بنوا حولهُ مكاناً صغيراً واخذوا في تقديم العبادة لهُ زاعمين انهُ قد تحوَّل الهاً وجمهور من الناس اضافوا عبادتهُ الى باقي عباداتهم.

واما عبادة ارواح اسلافهم بعد الوفاة فهي عقيدة شائعة بينهم ومهما اختلفوا في باقي خرافاتهم فهم متفقون على هذا الامر تماماً وهذه العبادة تستلزم مصاريف زائدة واحتفالات مكلفة من وجهين الاوَّل هو من وجه اعتبارهم الاسلاف المذكورين واكرامهم اياهم. والثاني من الخوف والجزع لانهم ينسبون كثيراً من خيرهم وشرهم الى رضا هؤلاء الاسلاف او غيظهم فيزعمون انهم اذا تغافلوا عن اكرام احد اسلافهم

فتغضب روحهُ عليهم وتعكس مصالحهم او ترسل اليهم الامراض او تميتهم موتاً ويعتقدون ان ارواح الاموات اقدر على عمل الشرّ من الاحياء حتى قيل ان الانسان منهم يقتل نفسهُ لكي يصير روحاً وينتقم من عدو لهُ لم يقدر عليهِ وهو حيّ ولذلك كان تركهم هذه العقائد صعب جدًّا كقطع اليد او قلع العين لزعمهم بان تركها يقطع انفسهم عن كل خير ويجلب عليهم لعنة الوالدين ويستدعي ارواح اسلافهم من عالم الغيب لكي تميتهم وتعذبهم.

وقد بلغ هذا الاعتقاد عند اهالي مملكة سيام من الغرابة انهم عندما يبنون باباً لاحدى مدنهم يذبحون عليهِ ستة رجال ابرياء من اصلح ما يوجد بينهم لكي تحرس ارواحهم ذلك الباب من غدر الاعداء.

ويعتقدون ان لكل انسانٍ ثلاث ارواح وعند الموت تذهب الواحدة من هذه الارواح الثلاث الى عالم الغيب للدينونة وواحدة تبقى في الكرسي الخشبي المقام للميت في البيت ويسمونهُ عرش الروح والثالثة تذهب مع الجثة الى القبر.

ثم لا بد من وجود مائدة للسلفاء في كل بيتٍ توضع في محل مخصوص او في قاعة البيت خاصةً بالاموات من العائلة الساكنة فيهِ ليوضع عليها لوح لكل من مات او يموت من تلك العائلة ويوضع عليها ايضاً اناءٌ لحرق البخور وايقاد المصابيح عندما يقدمون التقدمات في جميع ظروف مسراتهم واكدارهم ويصلون لالواح تلك الارواح ويسجدون لها.

اما الروح التي تذهب الى عالم الغيب للدينونة فيعتقدون انها تدخل في ظلمةٍ فلا ترى طريقها ولا المكان الذي تدخلهُ ولذلك يشعلون مصباحين ويضعونهما على كرسي عند السرير الذي يلقون الميت عليهِ لانارة الطريق لروحهِ لئلاَّ تضل وكثيرون لا يرتضون بالمصباحين المذكورين فقط بل يقومون بعمل يسمونهُ السلَّم والجسر بواسطة كهنتهم وجرت العادة بان يكون مصروف ذلك من اصهرة الميت اذا كان لهُ بنات متزوجات ولا يسعنا تفاصيل كيفية هذا العمل وانما المراد بهِ هو ان السلَّم لكي تمكنهُ من الصعود على الاماكن المرتفعة والجسر يمكنهُ من قطع الانهر التي يزعمون انها تصادفهُ في طريقهِ وكذلك يصنعون مركبة من خشب او ورقٍ كالتي يجلس فيها الانسان وتنقل على اكتاف الرجال ويضعون فيها خبزاً وكاساً من الخمر ثم يحرقونها وعندهم ان ذلك يمكّن روح الميت من ان تذهب الى عالم الاموات السفلي راكبةً عوض ان تتحمل مشاق السفر ماشية واذا كان الميت متعوداً استخدام الخدَّام يجعلون لهُ صورةً ويجلسونها عند صورة يسمونها طول الحيوة ويضعون صورتين احدهما صورة خادم والاخرى صورة

خادمة ويجلسون كلاً منهما على جانب من جانبيهِ ويضعون في يد صورة الخادم قصبة الدخان والكيس وفي يد صورة الخادمة فنجان الشاي او غير ذلك ويحرقون هذه الصورة مع المركبة المذكورة ليقوما بخدمة الميت في عالم الارواح ويزعمون انهم اذا قصَّروا في ذلك يبقى الميت هناك بلا الخدمة التي تعودها فيكون ذلك مصدراً لكدرهِ.

وحيث زعموا بان روح الميت لا تعرف الطريق التي ينبغي ان تسلكها على ما ذكرنا فيبعث اليها ملك عالم الاموات بشيطانٍ صغير ليدلها عليها ولذلك يضعون لهذا الشيطان ماكلاً في احدى جهات القاعة ليحملوهُ على الاعتناء بروح الميت في المسير في سبل العالم السفلي وعندهم اذا اغاظوا ذلك الدليل يحيد بروح المتوفي عن الطريق المستقيم او يتمنع عن ان يدلها فيلحق بها ضرر.

ولما كان من عادتهم ان لا يدفنوا الميت حالاً بل يبقوهُ اياماً ففي مدة اقامة التابوت في البيت لا بد لهم من ان يقدموا لهُ في كل صباح ماءً سخناً ليستحمَّ بهِ ويقدمون لهُ ماكولاً وشراباً مرتين كل يوم وقت الاكل ويحرقون نقوداً كاذبة لمنفعتهِ.

ومن واجبات الذين يحضرون للتعزية ان يركعوا امام التابوت ثلاث مراتٍ لكنهم لا يفعلون ذلك ما لم يشاركهم فيهِ احد اقارب الميت اعتباراً لهم.

والبعض منهم يخبرون ملوك عالم الاموات العشرة بموت من يموت لهم ويطلبون غفران خطاياهُ بواسطة احتفالاتٍ يقوم بها الكهنة وعندهم كثيرٌ من العقائد والاحتفالات التي تتبع هذه يطول شرحها منها تقديم الذبائح لجثة الميت بعد سبعة ايام من موتهِ واحتفال آخر يجرونهُ في اليوم الرابع عشر ليجعلوا معبودهم بوذة يقطع بروح الميت نهراً يمحو بهِ خطاياهُ ووليمة اخرى لاقارب الميت في اليوم الحادي والعشرين يبادر بها الضيوف الى عبادة الميت بالنوع الذي سبق وصفهُ ومنها تقدم وليمة الى ملوك العالم السفلي يذكر فيها الكهنة فضائل الميت ويلتمسون الغفران لهُ ونظائر ذلك من الولائم والطقوس التي تبقى الى نهاية الاحتفال المسمَّى عندهم بقطع الطقوس وذلك في نهاية السبعة اسابيع من موتهِ وبهذا الاحتفال الاخير يبلغون روح الميت بانهم قد انقطعوا عن تقديم المآكل لها وانما يقومون بطقوس في اليوم الثالث عشر والرابع عشر من كل شهر الى نهاية الثلث سنوات يقدمون فيها مآكل يضعونها مع بخور على المائدة امام صورة الميت مع اكل للشيطان الدليل الذي مرَّ ذكرهُ لانهم يعتقدون ان روح الميت ترجع الى بيتها العالمي في هذه الايام ولذلك من واجبات اهلهِ ان يعدوا لها مآكل كافية دلالةً على حبهم واحترامهم مدة الثلث سنين المذكورة ومن ثم يضعون لوح السلف وهو

لوح المتوفى في محلٍّ معد لهُ وينقلون المائدة والكرسي اللذين سبقت الاشارة اليهما ويقيمون ذكراً للميت يومين في السنة وهما يوم ولادتِه ويوم موتِه يقدمون فيهما مآكل كثيرة وخمراً ويحرقون بخوراً امام مائدة الميت ومنهم من يقوم بذلك ثلثة اجيال ومنهم اربعة ومن الصينيين من يعتقد بانهُ بعد وفاة الانسان بخمسة اجيال تخلق روحهُ في هذا العالم او تصير روح طير او حيوان هذا اذا كان مخالفاً للاعتقاد بالتناسخ ولذلك لا يعبدون موائد سلفائهم بعد وفاتهم الاَّ خمسة اجيال فقط.

والسبب في هذه التقدمات والخسائر التي يتكبدونها على ما ذكرنا هو اعتقادهم ان الامور في عالم الارواح تجري على سياق مجراها في هذا العالم غير انها لما كانت روحية لا محسوسة فتحتاج الأرواح الى ما تحتاج اليهِ الأجساد لكن ذلك على هيئةٍ روحية مثل طعام وكسوة ومأوى وان هذه الاشياء تتحول الى حالةٍ تناسب الأرواح بواسطة احراقها ولذلك يصنعون تماثيل هذه الاشياء من الورق فان كان معاملة البسوها قصديراً او كانت بيتاً فمن الورق ايضاً وكل اثاثهِ كذلك ثم يحرقون هذه الاشياء زاعمين انها تتحول الى حالةٍ تناسب استعمال الارواح اما الطعام فيقدمونهُ للارواح بواسطة مائدةٍ يضعون عليها اصنافاً من الاطعمة السخنة ويزعمون ان الارواح تغتذي من الابخرة الصاعدة منها ثم متى بردت تسخَّن ثانياً لياكلها الاحياء.

ولا ريب ان هذه الموائد تكون مهيأَةً مما يباع في اسواق اللحم عندهم فان فيها يباع لحوم الخيل البرّية والكلاب والسنانير والجراذين والفيران واعشاش الطيور وما اشبه ذلك لان نفوسهم لا تعاف شيئاً من ذلك اصلاً وبالمناسبة نذكر هنا ما نشرتهُ بعض الجرائد في سنة ١٨٧١م عن صفة مأدبةٍ اتخذها احد رجال دولة الصين الى الخواجه مينجرس الانكليزي المرسل من طرف الدولة الانكليزية الى تلك البلاد ولئن كان ذلك يخرجنا عن المقصود وهي انهُ كان من جملة الاطعمة المتقنة التي حضرت الى المائدة مرق افراخ الخطَّاف (نوع من الطيور) وفيها شيءٌ من الكما والطماطم (بطاطا) ثم رتيلاوات زرق مشوية عليها فتات الخبز ثم فيران بيض مطبوخين بمرق ثم ضفادع عليها قرَّة ولما حان حضور المشوي اتوا بكلبٍ سمين وحولهُ عقارب بحرية وفوقهُ حشيشة القرَّة وزهر البنفسج وزهر الدفلى ومع ان الضيف كان تمالك نفسهُ عن اظهار القرف او التعجب وتناول جانباً من تلك الاطعمة حشمةً ووقاراً لئلاً يكدّر صاحب المأدبة ووطن نفسهُ على الشبع متى حضر اللحم المشوي وفيما هو في انتظارهِ لم يرَ الاَّ وقد حضر الكلب المذكور وقال لهُ صاحب المنزل وهو يهش ويبش لماذا لم تاكل بهناء يا

سيدي من لحم هذا الكلب المعلوف لا سيما ان الكلب هو من احسن الاصدقاء الذين يحفظون الوفاء والذمام للانسان فاجابهُ الخواجة المذكور ولاجل هذا انا اتحاشى اكل لحمهِ حرمةً لحفظ ذمامِه ثم كان من جملة المحالي التي احضرت الى المائدة صنف يُعرَف عند اهالي اوروبا بالكريما مصنوعاً بالسكر وصفار البيض وحليب النساء وماء زهر الاترج.

ولنرجع الى ما كنا بصددهِ فنقول ومن عقائد الصينيين ان ارواح الاجساد التي تبقى بغير دفن كالمقتولين في الحرب او الغرقى في البحر والذين يموتون في بلاد غريبة تتيه بغير راحةٍ ولا مسكن فتستعطي وهذه الارواح المتسوِّلة المستعطية تتفق معها وتضاف اليها ارواح الذين يتغافل عنهم اصحابهم الاحياء والذين انقطعت عشائرهم وليس لهم من يعتني باحتياجاتهم وكثيراً ما تتعب هذه الارواح الشحاذة الاحياء وتزعجهم فاذا حدث مرض لاحد الاغنياء او اصابتهُ مصيبة ما فتُنسَب الى تلك الارواح المستعطية ولذلك تتفق التجار في المدن مع مشايخ الشحاذين على مبلغٍ سنوي يعطونهُ لهم بشرط انهم يكفونهم شر الارواح المذكورة وكثيراً ما يرسلون الشحاذين الاحياء فارغين لكي يعطوا ما يمكنهم ان يعطوهُ لهم لهذه الارواح المستعطية لتكف عنهم.

وقد حسب بعضهم ان اهل الصين يصرفون في كل سنةٍ نحو ٣٠ مليوناً من الليرات الانكليزية على تلك الارواح وان جانباً كبيراً نحو ٤٠ مليوناً من النساء يعشنَ من اصطناع الورق المذهب والمفضض الذي تكلمنا عنهُ لاجل هذه الارواح ولهذا السبب يرغب كلٌّ من اهالي الصين في ان يكون لهُ اولاد ذكور ولا يكون لهُ بنات لانهُ اذا انقطعت الذكور من عائلتهِ فلا يكون لهُ من يعمل الولائِم ويمدها لروحِه فتفتقر روحهُ وارواح كل اسلافِه كما انهم يبغضون كل ديانةٍ تنهى عن عبادة الاسلاف لانهُ اذا صار احدهم مسيحيًّا مثلاً فيزعمون قطع سلسلة العبادة بواسطتهِ وافتقار ارواح العائلة كلها. يحكى انهُ لما قصد رجل منهم ان يتنصَّر قال لهُ ابوهُ ان فعلت ذلك لاقتلن نفسي فاضطَّر الولد ان يمتنع خوفاً من ذلك لانهُ لو تنصَّر وقتل الاب نفسهُ لنُسِب اليهِ قتل ابيهِ وكانت الحكومة تقاصهُ بقطع الراس لكي تذهب روحهُ بغير راسٍ الى عالم الارواح فتلقاها هناك الارواح بالهزء والسخرية والتعيير.

وتزعم كهنتهم انهم يكتشفون في ممارسة عبادتهم عن البعض من ارواح اسلاف العائلات ذات اليسر وهي في حالة العذاب فيرسلون عنها الخبر الى تلك العائلة ومن ثم تستدعي اعضاؤها الكاهن لكي تعمل ما يلزم من الوسائل لتخليص تلك الروح من عنائها فيقول الكاهن ان ذلك لا يتم الاَّ بواسطة احتفالٍ عظيم يكلف ما مقدارهُ

كذا وكذا من الليرات ومن ثم تقع المساومة بينها وبينهُ الى ان يرتضي الكاهن بمبلغ اما مئة ليرا او اقل او اكثر وعندما يشرع القوم في الاحتفال المطلوب بالبخور وضرب الصنوج يقف الكاهن ويقول ان المبلغ المتفق عليهِ لا يكفي فتتحرك غيرة الاهل ويدفعون مبلغاً آخر ولو انهم استدانوهُ ثم يتقدم الاحتفال وربما بعد ذلك يقول الكاهن ايضاً ان الروح صاعدة على جوانب الجب ولكنها لا تستطيع ان تنجو بالتمام مع انها صارت قريبتهُ واذ ذاك يجتهد اهل الميت بتحصيل مبلغ آخر من الدراهم ولو انهم ينزعون زينتهم او صيغتهم ويعطونها لذلك الكاهن وعندها يصرّح بان الروح قد نجت من العذاب وقد تكون العائلة غنية وبعد مدةٍ يكشف الكهنة عن روحٍ اخرى من ارواح اسلافها في العذاب فيُعاد العمل.

وللشعوب الصينية واليابانية تخيلات غريبة واوهام عجيبة غير ما ذكر متسلطنة على عقولهم نذكر بعضها بالاختصار لعظم غرابتهِ فمن تخيلاتهم الغريبة ما رواهُ احد دعاة الدين المسيحي الذين يجوبون في تلك البلاد وهو انهُ رأى في احد الايام في مدينةٍ يقال لها لانكان بالقرب منهُ جماعة من الناس مجتمعين صباحاً حول صندوق عظيم طولهُ ذراعان وعرضهُ ذراعان وعلوهُ ثلاثة اذرع وهو مسقوف بحصير ولهُ بابان كبيران وباب صغير وكان مضروباً في ذلك الصندوق مئات من المسامير الطويلة ورؤوسها الحادة من داخل وكاهناً واقفاً داخل الصندوق لا يقدر ان ينام بل ولا ان يقعد الاّ على هذه المسامير الحادة وكان قد صار لهُ شهرين وهو محبوس في هذا الحبس العجيب فتقدم الى الباب الصغير وسألهُ عن سبب هذا العمل فاجابهُ انهُ قد نذر نذراً بانهُ لا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتى يجمع دراهم كافية لعمار هيكل جديد لبوذة اله الصين. ورأى ايضاً اوراقاً صغيرة ملصوقة كل واحدةٍ منها على راس كل مسمار من تلك المسامير تعلن ثمنهُ فكان ثمن الصغير خمس ليرات والكبير خمس عشرة ليرة والذي يدفع ثمن المسمار يقلعهُ ويتبارك منهُ ويكتب اسمهُ عوضاً عنهُ في موضعهِ حتى متى قُلِعَت تلك المسامير كلها يخرج ذلك الكاهن ويعمّر الهيكل وكان عددها خمس مئة مسمار وكان معلقا فوق الصندوق جرس صغير معلق بخيط والخيط في يد الكاهن وهو يدقهُ دائماً بلا انقطاع وكاهن آخر واقفاً من خارج وقدامهُ صنم صغير وهو ينادي ويدعو الناس ليشتروا تلك المسامير ومنها انهم يسمِّرون احياناً شفاههم على ابواب مخازن التجار وموائدهم ولا يرضون بان يسحبوها ما لم ياخذوا من صاحب المخزن ما يرضيهم وروى رجل آخر ممن اقاموا في تلك البلاد من السواح انهُ خرج في ذات يومٍ للتنزه في البرية فرأى صبيًّا جالساً على الطريق يستعطي وكل اصابع رجليهِ مقطوعة ودمهُ جارٍ وهو

يصرخ من شدة الالم لان والديهِ قد قطعاها لكي يحركا عليهِ شفقة الناس وفي مكانٍ آخر رأى انساناً أقطع اليد اليسرى وهو حامل تلك اليد يابسةً في يمينهِ يتسوَّل عليها وانهُ لولا الاختصار لكان اخبر عن امور اشنع من هذه ايضاً.

ويوجد كثيرون من المتعبدين اللاماويين قال بعض الكتبة انهم نحو ٣٠ الف متعبد وانتخابهم يكون بامر الرؤساء الدينيين وهم ينذرون نذوراً كثيرة منها الفقر والطاعة والعفة اما النساك السينتويون فمنهم من يترك العالم وملذاتِه للتفرغ للعبادة ومن اوهامهم العجيبة انهم يصرفون اكثر اوقاتهم في تعب انفسهم بالصعود على جبالٍ مقدسة عندهم والانحدار عنها ويغتسلون بالماء البارد في وسط الشتاء واما الاغنياءِ منهم فيبقون في بيوتهم ويقومون بذلك لكن الفقراء يعيشون بالتسول وعندهم انهُ اذا صعد الانسان على جبل مقدس وهو نجس يدخلهُ الشيطان اي روح الثعلب الذي سبقت الاشارة اليهِ فيصاب بالجنون ومن واجبات كل الذين ينتظمون في سلك هؤلاء النساك ان يعرضوا انفسهم لمخاطر الصعود الى جبل من الجبال المقدسة المذكورة مرةً في كل سنةٍ وكثيراً ما تزلّ اقدام بعضهم فيسقطون من اماكن مرتفعة ويموتون او يصابون بامراض من مشقة السفر ورداءة المآكل التي يتخذونها من الاعشاب النابتة في الطريق اما الذين يقومون بذلك ويرجعون سالمين فيذهبون الى رؤساء السلك ويقدمون لهم هديةً مالية فيرفعون درجتهم بتغيير ملابسهم الدينية بعض التغيير واذا كانوا فقراء فمن واجباتهم ان يستعطوا المبلغ اللازم لهذا الرئيس.

وكثيراً ما يظنون ان سبب امراضهم هو غضب الهتهم او فعل الارواح المسلطة عليهم او غير ذلك من الاعتقادات واذا مات المريض فيقولون ان الموت لا يكون الاَّ بحكم الله اما الشفاء فلا يعتقدون انهُ يكون بحكمِه ولكنهم ينسبونهُ الى فعل الهتهم ولذلك عندما يمرض لهم مريض يحرقون بخوراً ويشعلون مصابيح امام اصنامهم واذا مرض اكثر من نفس واحدة من عائلة واحدة فيقولون ان ذلك هو فعل الهٍ من الهتهم يسمونهُ الاله المهلك وعند ذلك يقيمون احتفالاتٍ دينية ارضاءً لخاطرهِ بواسطة كهنة كثيرين من التويزيين وقد مرَّ ذكرهم يتممونها في يوم واحد ويومين او اكثر واذا طرأ على الانسان مرض بغتةً في راسهِ او رجليهِ او عينيهِ او يديهِ فيقولون ان ذلك فعل احد الارواح النجسة وعندهم انها ٧٢ روحاً وانهُ لا بد من المبادرة الى مداواة ذلك فياتون بكاهن ليرتل ويطرد ذلك من المريض بعد ان يضعوا في مخدع المريض شيئاً من الاثمار والخمر والبخور ويشعلون مصابيح ويضعون نقوداً كاذبة. وكثيراً ما يستنجد ذلك الكاهن بروح نجس اخر بلا راس وعندهم انهُ يسعفهُ في طرد غيرهِ من الارواح النجسة.

وكثيراً ما يقولون ان سبب مرض بعضهم هو روح زوج مائت او امرأة متوفاة فان روح المتوفى تأخذ في التفتيش على رفيقها الى ان تجدهُ ويستخدمون لطرد تلك الروح ساحراً ومن اسباب الامراض عندهم ايضاً اما روح شريرة لا يحكم عليها غير الهتهم الأوَّلين او غضب بعض الهتهم لسبب تعدٍّ يقع من المريض عليهم بالفعل او بالفكر او اهانة تقع منهُ على الاصنام او عدوان روح عدوّ بعد موتهِ. وكثيراً ما يحاولون ترجيع روح المريض بواسطة صلوات يقيمها الكهنة وعوذات يعلقون عليها ثوباً من اثواب المريض لتدخلهُ الروح اذ يعتقدون بان روح المريض فارقتهُ غير انها لم تخرج بعدُ من الامكنة المجاورة لبيتهِ فرجوعها بتلك الوسائط الى الثوب يمكّن اهل المريض من ترجيعها الى جسدهِ.

ومن اغرب ما يحكى عنهم في هذا الباب هو ان احد الامراء الاغنياء من اهالي الصين كان لهُ ابن وحيد مرض مرضاً ثقيلاً فذهب ابوهُ الامير المذكور الى هيكل من هياكل الاصنام وقدم تقدمات ثمينة للاله الموجود فيهِ لاجل شفاء ابنهِ ولكنهُ لما لم ينتفع شيئاً ومات ابنُه ذهب حالاً الى المحكمة وقدم الى القاضي شكواهُ على الاله المذكور بانهُ لم يعاملهُ بما حُقَّ لهُ عليهِ فغب الفحص المدقق امر القاضي باحضار ذلك الاله لاجل المحاكمة ومن ثم اثبت الامير عليهِ بانهُ قد تمم لهُ جميع الواجبات المفروضة على مثلهِ للالهة حسب الرسوم ولم يتأخر عن شيء لكن هو لم يقابلهُ في نظير ذلك بالواجب عليهِ في ظروف نظير هذه ولما سأل القاضي ذلك الاله وكان من الخشب عن جوابهِ في هذه القضية ولم يجاوبهُ بشيء حكم باعطاء الحق للامير المدعي وامر باخراج ذلك الاله من المقاطعة.

ويعتقدون ان حدوث الاوبئة في الصيف انما يكون بسماح خمسة من الهتهم وهم خمسة اصنام يخافهم الاهالي خوفاً لا مزيد عليهِ ولهم هياكل يعتقدون بان لها حشماً اخصها اثنان يسميهما الاجانب الشيطان الطويل الابيض والشيطان القصير الاسود ففي ابتداء الصيف يخرج من تلك الهياكل تماثيل بعض حشم الهتهم المذكورين ومن جملتهم صنما الشيطانين المذكورين ويسير القوم معهم بطبول ليحرقوا ١٠ قوارب من الورق على شاطىء النهر وقبل حرقها ياخذ الشياطين البيض والسود الكثيرة التي ترافقها في ان تركض حولها وعند ذلك يحرقونها فتركع تلك الاصنام التي حملتها الرجال وسارت بها امامها الى ان تاكلها النار ويعتقدون ان بذلك يبعدون في البحر اسباب الامراض التي ترغب الهتهم المذكورة في ابعادها.

واغرب من ذلك جميعهِ طرق الزواج وشرائعهُ المتنوعة عندهم بصرف النظر عن الاحتفالات المختصة بهِ فان بعضهم لا يتزوَّجون الاَّ بامرأةٍ واحدة وبعضهم يتزوجون باكثر وكثيراً ما تتزوَّج امرأة واحدة بعشرة رجال وغالباً يكونون اخوة وتقوم لهم بواجبات الزوجية جميعاً وانما حق انتخابها اولاً يكون لاكبرهم. ولا يمكن ان يتم عقد الخطبة الاَّ بعد الفحص عن ولادتها وولادتهِ ليعرفوا في اي شهر وفي اية ساعة كان ذلك لمعرفة طالعهما ثم بعد ان يجري العقد يكتب اسم العريس والعروس في ورقةٍ يضعونها تحت اناء البخور الموجود على مائدة السلفاء التي سبقت الاشارة اليها وبعد ذلك لا يعود يمكن ان يفسخ عقد الخطبة الا لاسباب ذات اهمية كالخروج عن طريق العفة على ان ذلك لا يسوّغ للفتاة ان تترك خطيبها بخلاف ما اذا اصيب احدهما بداء البرص او بداهيةٍ عطَّلت عضواً او اكثر من اعضائهِ او كان سراقاً فانهُ يحق عند ذلك لكلٍّ من المتعاقدين ان يطلب الفسخ اما الفقر والمرض وقبح المنظر فلا تسوّغ لاحدهما هذا الطلب ومتى تزوجت المرأة فلا يسوغ لها ان تطلّق زوجها لاية علةٍ كانت بل يجب ان تنقاد اليهِ في كل حالةٍ الى ان يموت او تموت هي او يبيعها لغيرهِ او يطلقها هو لعلةٍ من العلل السبعة الآتي ذكرها وهي: (١) اذا ساءت معاملة ابويهِ (٢) الزنى (٣) الحسد (٤) كثرة الكلام (٥) السرقة (٦) الوقوع في مرض عضال كالبرص (٧) العقم. وقد قيل ان اهل المعارف لا يسلمون بالطلاق لاحدى العلتين الاخيرتين في هذه الايام ومما يمنع سواغية الطلاق خدمة المرأة لابوي زوجها الى ان يموتا أو ان وصل الى مراتب عالية او تمكن من جمع ثروةٍ لم يكن حاصلاً على ذلك قبل الزواج او اذا لم يكن لها بيت لتذهب اليهِ بسبب موت ابويها واخوتها ويندر قبول فتاة حرة ان تكون زوجةً ثانية ولو كان رجلها غنيًّا فانهُ لا بد لها من الخضوع للمرأة الاولى والانقياد اليها والركوع امامها لعبادتها عند الوصول الى بيت زوجها ولا تعبد السماء والارض مع زوجها في يوم زفافها لان ذلك محصور في المرأة الاولى ولكنها تعبد مائدة سلفائهِ فقط.

وعندهم ان لكل امرأة شجرة في عالم الابدية فان كانت ذات زهور بيضاء تلد ذكوراً وان كانت حمراء فاناثاً وان كانت من النوعين تلد ذكوراً واناثاً واذا كانت خالية منها تبقى عقيماً غير ان النساء يعتقدن بانهنَّ يقدرنَ على ان يحصلنَ على البنين او الخلاص من موت البنين بواسطة اصلاح تربة الشجرة لان ذلك يكون مسبباً عن رداءة تربتها فيستخدمنَ ساحرة لتغيرهِ بعد ان يستخدمنَ منجمات ليخبرنهنَّ عن حالة شجراتهنَّ وزهورها ويزعمنَ بانهنَّ يقدرنَ على جعل شجراتهنَّ تزهرنَ بالتبني ايضاً فتتبنى المرأة العقيم بنتاً من غير عائلتها وتربيها وتعاملها معاملة ولدها وعندها ان ذلك يكون

واسطة للولادة لانهنَّ يعتقدنَ بان لا سعادة للمرأة التي لا تلد فيكون هذا التبني كالتطعيم الذي يجعل ثمر شجرةٍ كثمر غيرها. وكذلك ينذرنَ ايضاً للالاهة المسماة بالأُمّ نذوراً بان تاخذ الناذرة منها حذاءً ومتى ولدت ترجعهُ لها مع حذاءين اخرين وهدية من الطعام على الوجه الذي سبق تعريفهُ وبعد ان تحمل المرأة بخمسة اشهر في الظروف المذكورة يقيم زوجها صلوة شكر لهذه الالاهة او غيرها.

وعند الولادة يختارون يوم سعدٍ لارضاء شيطانتين شأنهما قتل الامهات عند الولادة ومنهم من يقول ان اقامة الاحتفالات في ذلك اليوم انما هي لطردهما بالتخويف وبعد ذلك ينادي الكاهن رئيس البركة الدموية في جهنم ان يحضر ليعبدهُ زوج المرأة ارضاءً لخاطرهِ ليحمي الولد من الضرر واذا تعسرت الولادة يقولون ان روحاً شريراً يمنع الولد عن الدخول الى العالم فيستدعون كاهناً ليستخدم لها اموراً مع الصلوة تسهّل ولادتها ولهم امور كثيرة من هذا القبيل كتقدمة ماكل لصورة الالاهة الأُمّ بعد ان يولد الصبي بثلثة ايام وربط يدهِ بمنسوج احمر او تعليق نقود قديمة عليها لابعاد الارواح الشريرة عنهُ وكتابة حرفين على ورق احمر يضعونهُ حول رزمةٍ فيها بعض اشياء ويعلقونهُ على باب خدر الوالدة عوذةً لمنع وصول تأثيرات ردية الى الولد والاشياء التي في تلك الرزمة مؤلّفة من بصل وفحم وشعر كلب وعندهم ان لكلٍّ من هذه الاشياء مزية تمنع الضرر عن الولد وغير ذلك كثير من الخرافات التي لا يسع كتابنا هذا تفصيلها.

ويعتقدون من المحرمات ان يلد الانسان اولاداً في زمان الحداد وهو عندهم ٢٧ شهراً واذا تعدى احد ادنياء القوم هذا القانون فربما كانت الحكومة لا تنتبه اليهِ لكن اذا تعداهُ والٍ او احد القواد او اهل المعارف وطلبة العلم يتجازون بدفع جزاءٍ نقدي او بالتنزيل عن رتبهم او غير ذلك.

ويتفق فقراؤهم مع الهنود في قتلهم البنات من الفقر يحكى عن امرأةٍ صينية سألها احد دعاة الدين المسيحي هناك هل لها اولاد فاجابت ان لها ثلاثة صبيان وبنتاً واحدة فقال هل قتلتِ احداً من اولادِك قالت نعم غرّقت بنتاً واحدة في النهر فقال لاي سبب عملتِ هذا العمل الشنيع اجابت كيف نقدر نعمل يا صاحب لاننا نحن فقراء وليس لنا من القوت ما يكفي عائلة كبيرة فقال لها هل كنتِ قتلتها لو كانت صبيًّا عوضاً عن كونها بنتاً فاجابت حاشا لان الصبي يشتغل ويتسبب.

ذيل

لا يخفى بانهُ في سنة ١٨٤٨م قام رجل في بلاد الصين يقال لهُ تي ينْ أُوْن قيل انهُ عرف الديانة المسيحية من معاشرة بعض المبشرين وادعى بان لهُ نوعاً من الالوهية وهيج حركة عجيبة غريبة في تلك المملكة واخذ ينتقل من مدينةٍ الى مدينة اخرى ومن قرية الى غيرها ويحرك أصحابه بحمية عجيبة لمقاومة عبادة الاصنام ويظهر لهم فضل الديانة المسيحية فانضمَّ اليهِ عدد غفير واشهروا معتقدهم وهو ان الله الحيّ الحقيقي هو موضوع عبادتهم وسجودهم واليهِ يلتجئون في الضيق ومنهُ وحدهُ يطلبون المعونة وحفظ السبت بكل تدقيق واتخاذ الوصايا العشر عدةً لايمانهم والتوبة عن الخطايا والايمان بالمسيح ومنع الافيون والدخان مطلقاً الاَّ انهم لم يقتصروا على هذه القواعد بل مزجوها ببعض قواعد وثنية فلما سمع الامبراطور باخبارهم غضب جدًّا وحبس كثيرين منهم مات بعضهم في الحبوس ومن جرى ذلك هاج الذين لم يقعوا في يدهِ تحت رياسة قائدهم تي ين اون المذكور وضربوا الدولة وانتصروا عليها وجعلوا يتقدمون من بلدٍ الى اخرى فكل بلدٍ اطاعتهم امنوها وضموا رجالها اليهم وكسروا اصنامها والاَّ قتلوا رجالها ونساءها واولادها بدون شفقةٍ ويطرحون الاصنام التي يكسرونها في الاسواق الى ان دخلوا اكثر البلاد ونشروا كتابات كثيرة ضد الحكومة حتى جعلوا الاهالي يكرهونها للغاية.

اما الآن فان المبشرين بالانجيل من كل الجمعيات يتواردون الى بلاد الصين بكل همةٍ ونشاط ويفتحون مدارس ومطابع ويبنون كنائس وقد تيسر لهم الدخول الى كل اقطار المملكة بعد ان كان لا يؤذن لهم ان يسكنوا الاَّ في بعض المدن التي على الشطوط البحرية وزيادةً على ذلك قد اصدرت الحكومة من تلقاء ذاتها اوامر تنهى الحكام عن مقاومتهم واضطهاد تلاميذهم وبها ايضاً منع تصليح او ترميم الهياكل الوثنية التي خربت في المملكة الاَّ ما يختص منها بالفيلسوف كن فوشو الذي مرَّ ذكرهُ وفي احدى المقاطعات منعت الحكومة دوران الاصنام جهراً بالاحتفال حسب العادة القديمة واشارت على الاهالي بان يقللوا مصاريفهم التي يصرفونها على الذبائح والاوثان.

الكلام على المشركين

وهم القائلون بتعدد الآلهة ويبلغ عددهم نحو ١٥٠ مليوناً من النفوس يقال ان منهم

نحو ٢٣ مليوناً يتعبد بدين يقال لهُ دين الفتيش وهو ابشع ما عداهُ من هذه الاديان القائلة بالتعدد ويوجد باشكال مختلفة عند الامم المتعمقين في الجهالة نظير سودان افريقية.

ويراد بالفتيش الشيء الذي لهُ روح او خالٍ عن الروح كالشجر والصخر والبيض والشوك والحبوب والبلح والقرن وعروق الحشائش وما اشبه ذلك.

اما الذين يتخذون الاوثان بينهم فمنهم من يصوّر معبودهُ على صورة الانسان ايضاً. وكل عبدة هذه الاصنام من السودان يعتقدون بان من القى صنماً من اصنامهم او اهانهُ فان دمهُ يصير هدراً ومن هذه الفرقة ملك السودان ببلاد بنان في مملكة غينا فانهُ يامر رعاياهُ ان يعبدوهُ لدخولهِ في حيز الاصنام المذكورة.

وما عدا ذلك من السودان فمنهم من لهُ فتيش خاص يعتقد تعظيمهُ فيعتقد مثلاً ان الثعبان هو اله القتال والتجارة والزراعة والخصب فيضع هذا الثعبان في نوع من المعابد يغتذي فيهِ ويخدمهُ عدة عباد ويوقف عليهِ عدة بنات يخصنهُ بالرقص المخل بالحيا وحيث ان وثنهم عنين فالعباد يقومون مقامهُ في توفية حظ الانثى من الذكر وكل من تولى السلطنة قرب لهذا الثعبان قرباناً من هذا النوع.

وفي مملكة داهومي اي بلاد الموت يعبدون النمر لسفكهِ الدماء ويزعمون بان الالهة قد اباحت لملكهم ان ياتي ما شاء من الاعمال الدموية القاسية ولا جناح عليهِ.

ومنهم من يعبد التمساح. يحكى انهُ كان في مدينة ابيوكوتا غربي افريقية تمساح كبير ذو رونق عظيم بين الشعب وكان يسكن مغارة عظيمة على شاطي البحر ويخرج منها احياناً في طلب ما يقتات بهِ فيأتي اليهِ الاهلون بتقدمات من الخبز او الطحين ويقف كاهنهم يصلي على باب المغارة ويطلب من التمساح البركة على المواسم وعلى الشعب وحفظهُ اياهم من المرض والموت فاتفق ان هذا التمساح قُتِل في شهر كانون الاوَّل سنة ١٨٦٥م فلما سمع بعض البرابرة بموتِه سلموا بانهُ ليس الهاً وصاروا يقبلون الديانة المسيحية.

ومنهم اناس يسكنون على جانبي نهر نيجر غربي افريقية يعبدون جنساً من الحيوانات يسمَّى الفوانا وهذه الحيوانات قبيحة المنظر وكريهة للغاية اذ تشترك في الهيئة ما بين التمساح والحية ويزعم اهالي البلاد ان قتلها يوجب غضب الآلهة على عموم البلاد انتقاماً لذلك فكانوا يخافون ان يضرُّوها وكان قصاص من يقتلها ولو بغير قصد الموت او الجلد القاسي وبهذا السبب قد تكاثرت جدًّا وتجاسرت على افتراس دجاج الاهالي وما اشبه ذلك من مضرات تسبب لهم خسائر تؤذيهم. ومع ذلك قد قتلوا كثيرين من

الناس بسبب قتلها. وكان اذا اعترضهم احد من الغرباء على هذه العبادة الوحشية يجاوبونهُ كما ان عوائد بلادكم تناسبكم كذلك عوائد بلادنا تناسبنا نحن ايضاً لكن منذ مدةٍ اتفق ملك تلك البلاد مع روسائِه على ابطال هذه العبادة مع ان اباهُ كان باشر قبلهُ في ابطالها ولم ينجح نظراً للصعوبات التي منعتهُ عن ذلك بسبب اوهام الناس ووساوسهم. ثم لما صدر أمر ابنهِ هذا بقتلها على ما ذكرنا امتلأت المدينة من جثثها حتى انهُ اجتمع في سوق واحد سبع وخمسون جثة ومنها بعض الناس طبخوا من لحومها وأكلوا.

فصلٌ

في المتواتر من اخبار مناسك هذه الامة وعوائدها

يقال ان اهالي هذه البلاد وخصوصاً اهالي سنغمبيا وغينا لا تعاف نفوسهم شيئاً اصلاً فلا يمتنعون من اكل لحم الفيلة وبيض التماسيح والقرود ولحم الكلاب ولو ميتة ولا يمتنعون من اكل السمك الذي بهِ عفونة وانما لا يرضون باكل السلاطة المعتادة في ولائمهم حذراً من ان يشبهوا الحيوانات التي تاكل البقول بل يحضرون الكلب مشويًّا فيها. حكي ان بعض أكابرهم عمل وليمةً ولما لم يجد كلباً يناسب للشيّ أبدل زوج بقر جيد بكلب سمين وجدهُ عند احد الاهالي. غير انهُ لا غرابة في ذلك عند هولاء القوم الهمل المتوحشين اذ يوجد نظيرهُ عند اهالي الصين المحسوبين من اهل التمدن وقد سبقت الاشارة اليهِ فيما مرَّ. وانما العجب الاعظم هو اكل البعض من قبائلهم لحوم بني آدم حتى ان منهم من يفتخر بذلك ويبرهن عليهِ باخذهِ قطعةً من لحم احد اخوانهِ واصحابهِ واكلهِ اياها حالاً. وقد حكي عن رجلٍ من قبيلة الويبو غربي افريقية انهُ تنصَّر واقام في احد المدارس ليتعلم ثم خطب خطبةً في بعض السنين عند فحص المدرسة قال فيها انهُ لم يكن يعرف شيئاً في ايام جاهليتهِ سوى طبخ لحوم الناس الذين يقتلون في الحرب غير ان احد الفرنساويين لا يرى في ذلك عجباً على السودان ايضاً حيث انهُ تحقق وقوعهُ عينهُ عند البعض من اهالي جزائر الغرب فانهم ياكلون لحم الادمي لا عن اضطرار ولا لاجل التشفّي من الاعداء كما يفعل السودان المذكورين ولكن لمجرد الرغبة فيهِ فقط.

وحكى رجل من دعاة الدين المسيحي وكان يطوف غربي افريقية عند مصب نهر النيجر وفي مدينة كلابار الجديدة وهو ذاتهُ من اهالي افريقية بانهُ عندما وصل في سفرهِ

الى شط النهر وطلع الى البرّ رأى عند مدخل البلد المسماة مَنْزمَغي شخصين معلقين على شجرتين كما تُعلّق المعزى للذبح وقد بليت جثتاهما لطول مدة تعليقهما حتى ان بعض الاعضاء سقطت على الارض ثم لما دخل القرية رأى عظام الناس في كل جهةٍ منها ما هو مطروح على الارض وبعضها باقٍ على الاشجار وفي ذلك اليوم اماتوا رجلين فقطعوا رأس الواحد واكلوهُ واما الثاني فربطوهُ بحبالٍ وعلقوهُ على شجرة فمات بعد ساعتين. وان من عادتهم ان يذبحوا الناس اما في كل يوم واما في كل يومين مرةً والمقتولون هم من العبيد الذين يستعبدونهم في حروبهم فياكلون السمان واما الضعفاء فيعلقونهم على الاشجار ذبيحةً للاصنام. والذي يعلقونهُ على الاشجار يجتمع حولهُ جمهور من الناس لينظروا موتهُ فمنهم من يشفق عليهِ ولكن الاكثرين يضحكون ويستهزئون بهِ. وهم يعتبرون الغنم والماعز اكثر من البشر. واذا مات غني بينهم يدفنون معهُ في القبر خمسين عبداً وهم احياء ويسمون هذه الذبائح جُوْجُو. وان الشيخ الكبير المسمَّى وبُوُ قطع شجرة كبيرة وذبح عليها خمسة من العبيد وسكب دمهم على الشجرة وبعد ذلك سحبوا الشجرة الى المدينة فعاد وذبح بنتاً صغيرة عمرها تسع سنين وعلّق جثتها على طرف الشجرة.

والظاهر ان عقيدة السودان تقرب من اعتقاد البوذيين في ان الانسان يكون في تخليدِه في الآخرة على ما كان عليهِ في الدنيا فهم يذبحون الرقيق بعد موت سيدهِ ليلحق بهِ ويخدمهُ في الدار الاخيرة اذ انهُ يحتاج هناك اليهِ. وكذلك اهالي جزيرة برينو يفعلون كما يفعل الهنود وهو انهُ اذا مات هناك رجل عن زوجات اضطرت احبُّ زوجاتهِ اليهِ ان تقتل نفسها لتلحقهُ الى دار الآخرة لكن ليس لاحدٍ منهم ان يقهرها على ذلك وانما اذا ابت حجبت اولادها عن الارث وثبت الارث لاولاد زوجةٍ اخرى تقتل نفسها لتلحق زوجها. واذا ماتت الزوجة ذبحوا معها عبداً ليخدمها واذا كان الميت لا يملك شيئاً من الرق اشتروا لهُ عبداً وذبحوهُ معهُ. فاذا لم يذبح في الجنازة رقيق كانت ناقصة. يحكى ان ملكاً من ملوك الحاكمية ببلاد افريقية يقال لهُ افرنبج لما مات قتلوا جميع عبيدِه وكانوا الوفا وثلث مئة وستة وثلاثين من نسائهِ وكل هؤلاء دفنوهم احياء بعد ان كسَّروا عظامهم. ولما مات اشانتي المدعو كواكودُوا ذبح على قبرهِ ٣٠٧٠ نفراً ولما مات الملك ادهرسو ملك بلاد داهومي سنة ١٧٧٦م عمل لهُ خليفتهُ اكوينكرا مناحةً عظيمة حسب عادة البلاد وامر ثمانية رجال ان يحفروا لهُ قبراً طولهُ ست اذرع ويقيموا فوقهُ شبه قبة من الخشب ويضعوا عليها اصنافاً من الجواهر وفوق الجميع لعبة ملفوفة بالحرير الفاخر ثم امرهم ان يصعدوا الى تلك القبة ويستعدوا للقتل ثم امر فقطعت رؤوسهم ورميت الى الوحوش. ثم انتخب اربعاً وعشرين امرأةً ليدفنَّ مع الملك المتوفى احياء

فقرحن فرحاً لا مزيد عليهِ لانهنَّ يكنَّ في العالم الآتي منتخبات الملك المذكور وكان الملك اكوينكرا يوصيهنَّ ان يغسلنَ هناك الملك ادهرسو بكل اكرام ويبخرنهُ باعشاب ذكية الرائحة ويوقدنَ لهُ اللبان كل يوم ثم امر بذبح اربعة آلاف نفس اكراماً لهُ وليكون عندهُ من العبيد بقدر ما كان لهُ في الدنيا غير ان من عادتهم ايضاً ان يوزّعوا عدد المعدّين للذبح على مدار السنة لكي تطول مدة محظوظية شعب البلاد من هذا العمل. وكذلك الملك الحالي المسمى بادونك فانهُ لما خلف اباهُ منذ بضع سنين ذبح اكثر من اربعة آلاف شخص اكراماً لابيهِ وفي عيد جلوسهِ الواقع في ١٦ تموز سنة ١٨٦٠م اشار لمن كان بحضرتهِ عن رجل مغلول اليدين وملثم وقال ان مرادهُ يرسلهُ لابيهِ في عالم الارواح ليخبرهُ عن الحوادث الجديدة ثم ارسلهُ فذبح على قبر المتوفى وبعد مرور ساعةٍ حضر اربعة رجال ومعهم قرد وايل وطير كبير فقطع رؤوس الرجال الاربعة بعد ان امرهم بان يخبروا الارواح عن ما يعملهُ بحسب شدة تقواهُ وصلاحهِ من الاحترام اكراماً لابيهِ وامر الاوّل بان يبلغ ذلك الى الارواح التي تزور الاسواق والثاني يبلغهُ الحيوانات التي تعيش في الماء والثالث الارواح التي تسافر في الشوارع العظيمة والرابع سكان السفن وبعد ذلك ضرب راس القرد والايل وقال للقرد ان يصعد على رؤوس الاشجار ويخبر جميع القرود عن هذه الاحتفالات وللايل ان يبشر جميع الحيوانات بما نظرهُ من تلك الاعمال واما الطير فابقاهُ حيًّا واطلق سبيلهُ ليخبر سكان الهواء عن تلك الامور العظيمة ثم لما عمل عيد الكوستيمة وهي الجنازة العظيمة في ٢٩ تموز كان كل جمهور المدينة قد احاطوا في اليوم السابق بقصر الملك ليصرفوا الليل باجمعهِ هناك وعند طلوع الفجر اخذ الجميع في عويل مزعج نحو عشر دقائق ثم قتل مئة رجل من الشعب وذبح مئة من النساء داخل القصر ثم خرج الملك من بين اطلاق البواريد واصوات الفرح فمثل امامهُ تسعون من القواد ومئة وعشرون من الامراء والاميرات مقدمين لهُ الطاعة والخضوع وقدموا لهُ هدايا من العبيد ليذبحوا اكراماً لابيهِ ومن الغرائب انهُ كان هناك ثلاثة رجال من البورتغال اهدوا الملك ايضاً عشرين شخصاً ليذبحوا اكراماً لابيهِ وبقراً وغنماً ومعزى وطيوراً ودراهم الى غير ذلك وفي اوَّل آب دفن الملك المتوفى ودفن معهُ ستون رجلاً وخمسون من البقر ومثلها من الغنم والمعزى والضباع ومبلغ عظيم من دراهم تلك البلاد. ثم ان من العادة عند مثل هؤلاء الملوك اذا كانت اسرى الحروب الموجودة لا تكفي او لا تقوم بالمقدار المطلوب لتقديم هذه الذبائح المشؤمة فيأخذون الباقي من رعاياهم بالقرعة.

ومن هذه الاحاديث المحزنة ما يروى عن بعض الشيوخ الذين قبلوا الديانة المسيحية في جزائر الشركا بالبحر المحيط وكانوا يبكون ويولولون بصراخٍ ودموع في يومٍ معلوم

عيَّنوهُ ليقدموا فيهِ الشكر لله على دخول نور الانجيل بينهم وكان ذلك عندما اخذ الاولاد في ترتيل نشائد الشكر في الكنيسة ولما سئِلوا عن سبب ذلك اجاب احدهم قائلاً كيف يمكن ان لا ابكي واولادي لا يرتلون الآن مع هؤلاء الاولاد لكوني قتلتهم بيدي لما كنت وثنيًّا وكانوا ثمانية عشر وقال آخر وانا ذبحت اولادي وكانوا خمسة. ومنها ان احد القسوس المسيحيين كان ماشياً في الصباح باكراً على شاطئ البحر في ليبيريا غربي افريقية فرأى جمهوراً من السودان مقبلاً اليهِ وهم متسلحون وحاملون شيئاً ارادوا ان يخفوهُ عنهُ وبعد ان عرف ذلك وجدهُ بنتاً صغيرة ضعيفة بحالة التلف من الجروحات اخذوها من والديها بالرضى والاختيار ليقدموها ذبيحةً لاله ذلك النهر لزعمهم بانهُ امات بعض اناس غرقوا فيهِ لكونهِ يطلب ذبيحةً دموية بشرية ولم يرتضِ منهم بتقدمةٍ من الزيت والخمر او عظم الفيل ولذلك اجتمع ديوان من مشيختهم وحكموا بتقديم هذه البنت ذبيحة لهُ ومن ثم خلَّصها منهم ذلك المبشر واخذها الى بيتهِ.

ومن عاداتهم ايضاً اذا كان المولود سيّيء التركيب فانهم يقتلونهُ.

ومنها انهم يعتقدون في السحر ومنهم جماعة يدعون معرفتهُ ويحصّلون بذلك المال والجاه وهم كثيرون جدًّا لرواج صناعتهم ولذلك كان غالب الناس بهذه البلاد يرغبون الدخول في هذه الحرفة.

ومن مزعوماتهم هو انهُ لا يموت احد فجأةً الاَّ مسحوراً فلما مات احد مشايخهم وكان اسمهُ امبومو موتاً فجائيًّا اجتمع الكهنة واتهموا ثلاثاً من النساء بانهنَّ هنَّ تسبَّبنَ في موت الشيخ المذكور بسحرهنَّ فتراكض جمهور الاهالي بصوتٍ واحد رافعين الاسلحة وصارخين يطلبون امتحانهنَّ بشرب السمّ لكي يُعرَف هل هنَّ المذنبات ام لا ولما قبضوا عليهنَّ انزلوهنَّ في قارب وسط النهر وسقوهنَّ السمَّ المميت فوقعنَ جميعهنَّ موتى فعند ذلك حكموا عليهنَّ بانهنَّ مذنبات وهجموا عليهنَّ بالسيوف والفؤوس وقطعوا رؤوسهنَّ واجسادهنَّ قطعاً واشترك معهم في ذلك أخ لاحدى تلك النساء حال كونهِ عارفاً بان اختهُ بريئةٌ مما اتهمت بهِ من معرفة السحر والجميع كانوا يشتمونهنَّ ويلعنونهنَّ وان كنَّ من اقربائهم. وكذلك جرى في موت ابن الملك ادًّا غربي افريقية فانهُ سيق الى المحكمة ستون امرأةً من نسائهِ ليثبتنَ براءَتهنَّ ولما شربنَ السمّ مات منهنَّ احدى وثلاثون امرأة والبقية حسبنَ بريئَات لكونهنَّ لم يمتنَ وذلك بناءً على ما يزعمون من ان للسمّ عيوناً فاذا نزل الى المعدة يفتش على الخطية واذا وجد شيئاً منها يحلّ في المعدة وإلاَّ فيخرج من دون أذى وكذلك كان يجري في مداكسكر احدى جزائر المحيط قبل ان تنصَّر أهاليها وكانوا يسمون هذا الامتحان باسم التابخينا وبواسطته كان يموت في تلك الجزيرة نحو ثلاثة آلاف نفس في كل سنة.

ومن حكاياتهم التي تمزج الحزن بالضحك هو انه كان في بعض المحلات التي قبلت حديثاً الديانة المسيحية واقيم فيها كنيسة عن عهدٍ قريب شماس مسنٌّ وكان من اهل التقوى والصلاح فمات عندما كان المبشر يطوف غير محلات للتبشير ثم لما رجع المبشر المذكور من سياحتِه ولم يجدهُ سأل عنهُ فاخبروهُ بموتِه فسألهم عن قبرهِ فاجابوهُ بانهُ لما كان من اهل العبادة ومشهوراً بحسن السيرة لم يستحسنوا دفنهُ في التراب وانما اكلوهُ ليدفنوهُ في بطونهم. ومنها ان رجلاً من امرائهم طلب الدخول في دين النصرانيَة فتوقف القسيس عن قبولهِ حيث كان متزوجاً بست زوجات فغاب ثم عاد اليهِ بعد مدة واعاد على القسيس طلب الدخول في الديانة المسيحية حيث لم يبقَ هناك مانع يمنع من قبولهِ فقال لهُ القسيس وماذا فعلت في ازواجك فاجابهُ ابقيت واحدة واكلنا الباقي ومنها ان زنجيًّا قويًّا شديداً اتى بولدهِ وكان بالغاً ليبيعهُ للافرنج المتوطنين بتلك البلاد وكان الولد صاحب حيل ولهُ معرفة ببعض اللغات الغريبة فقال للافرنج بلسانهم ان والدهُ اقوى منهُ واطول واعظم فهو الاولى بالاخذ والشراء بدلاً عنهُ فاخذوهُ فصاح الاب يقول ليس للابن حق ان يبيع اباهُ والعكس معهود. ومنها ان بعض الزنوج كان اذا ضربهُ سيدهُ يقول لهُ اضربني يا سيدي كما تريد ولكن لا تشتم امي.

ومنها ما يحكى عن غرائب احوال ملوكهم فقد روى احد سيَّاح الدانيمارك عن سلطان امةٍ من السودان يقال لها الاسينطه انهُ ذهب الى حضرتِه فرآهُ جالساً على كرسي من الذهب في ظلِ شجرة اوراقها من الذهب وهو نحيف البنية مسلول البدن طويل القامة طولاً خارجاً عن العادة ومدهون بدهن عليهِ راق من التبر وعلى رأسهِ قلنسوة اشبه ببرنيطة عليها شريط عريض من القصب ولهُ حزام من القماش المقصب من الراس الى القدم ومزين بالمرجان والعقيق واللازورد منها ما هو كالاساور ومنها ما هو كالشماريخ والسلاسل ورجلاهُ موضوعتان ايضاً في طستٍ من الذهب وكبار مملكتهِ مسطوحون على الارض ورؤُسهم مغطاة بالتراب ونحو مئة نفس من ارباب الدعاوى والشكاوى في هذه الحالة عينها ووراءهم عشرون سيافاً بسيوفهم مجردة من اغمادها في ايديهم ينتظرون امر الملك الذي هو في اغلب احوالهِ يأمر بقطع رقاب كلٍّ من المدعي والمدعى عليهِ قطعاً للنزاع وحسماً للتطويل ثم بعد ان مرَّ بجماعةٍ لم تنشف دماؤُهم قرب من الكرسي فشرع سعادة علي الشأن صاحب النور يخاطبهُ بالطف خطاب وهو يجاوبه بارق جواب فكان من جملة كلامهِ لهُ ان قال اودُّ ان تبقى عندنا مدة ايام لتكون عندك معرفة بعظمتنا فهل رأيت طول عمرك نظير ما ترى هنا. فأجابهُ. لا يا مولانا الملك لم ارَ لك نظيراً في الدنيا على وجه الأرض اصلاً. فقال. صدقت ان فاقني احد في علو الشان فهو رب السماوات والارض والفرق هيّن. وكان يشرب البوظة

الانكليزية في قزازة فشرب ثم أعطاها لهُ عقب شربهِ فشرب منها يسيراً واعتذر لهُ بأن هذا الشراب يسكرهُ. فقال لهُ الملك ليس الشراب هو الذي يسكرك انما الذي يسحر عقلك هو نور وجهي الذي يدهش جميع اهل الكون ويحير الباهم. وحارب هذا الملك اميراً شجاعاً يقال لهُ ارسوة ملك الحاكمية فلما وقع في يدهِ قتل نفسهُ فأمر باحضار رأسهِ ووضع فيهِ حلقات من الذهب وجمع ديوانهُ وشرع يقول ها هو الامير الذي لا نظير لهُ في الكون غير واقع على الأرض. يا أخي لماذا لم تعترف لي بأني اعظم منك وانك دوني ولكن قد توهمت ان تجد فرصةً وتقتلني لانك ترغب ان لا يكون في اقطار الارض الأ واحد عظيم فقط وانه لا ينبغي تعدُّد الملوك الكبار واردت ان تكوَن عظيم الملوك وفي الواقع رايك حسن وينبغي للملوك الكباران يروا مثل هذا الرأي. ونقل اخر ان الملك ادونك ملك داهومي بعد ان فرغ من احتفال دفن ابيه على ما سبقت تفاصيله وقف على العرش واستلَّ سيفه وقال قد صرت متسلطاً على هذه المملكة وانني ساضع جميع اعداء المتوفى موطئاً لقدمي ثم بعد ان تم احتفال جنازة ابيه ونثر على الناس كثيراً من الكوريس وهو نوع من الودع يتعاملون بهِ كالنقود وخلع عليهم كذلك انواع الملابس اخذ في ان يلقّب نفسه القاباً مضحكة منها اهفورسيويكتور اي الملك الثقيل الذي لا يقدر احد ان يرفعه عن الارض. وملك التنانين وملك الظل، وما اشبه ذلك من الالقاب. واذا قال احد من اهالي بلادهِ عنه ان الملك يموت او يأكل ويشرب كباقي البشر او ينام فحسب عليهِ ذلك ذنباً عظيماً يستحق لاجلهِ الموت. وفي بعض بلاد السودان متى قام الملك عن المائدة ينادي قائلاً شبعت فلياكل من شاءَ من اهل الدنيا . وذكر بعضهم انه من عادة ملوك الزنج ان لا يلبسوا حذاءً في ارجلهم ولا يمشون في ظل شمسية اذ انهم لا يتنازلون الى الاحتياج لشيءٍ من ذلك. وانما يزينون قصورهم بجماجم الاعداءِ وعندما يجلسون على كراسيهم يضعون منها تحت ارجلهم. وقال بعض الكتبة ان ارما اي علامة مملكة داهومي في غربي افريقيا مصنوعة من رأس انسان ميت وكل من دخل هذه المملكة يرى ان الجماجم معتبرة جدّاً عند اهاليها حتى ان حائط القصر الملوكي وقوائم ابوابهِ واغلاقهِ جميعها مزينة بالوف من الجماجم وكذلك عرش الملك مزين بها ومركب على رؤوس أناس من الاموات وعلى اسفلهِ جماجم ثلاثة من الملوك قتلهم في الحرب وساحة القصر مرصوفة بالجماجم. واثمن جواهر مملكتهم الجماجم الفضية التي هي زينة القصر الملوكي وراية حكومتهم والصولجان الملوكي لا اعتبار له عندهم ان لم يكن راسه مزيناً كالجمجمة من الفضة وهذا الصولجان يحمله ملكهم بيدهِ كلما رقص امام رعاياه عند تقدمة ذبائحهم التي يتخذونها من الناس

الذين ياسرونهم في الحروب كما تقدم الكلام على ذلك ويحكى انه في سنة ١٧٨٥م استظهر هذا الملك على ملك البدكري الذي عاصمة بلاده واقعة على شاطيء البحر وذلك بعد حرب شديدة فطلب ملك داهومي من ملك البدكري ضريبة قدرها ستة آلاف جمجمة فقدم له ٥٨٧٢ والتزم ان يذبح ١٢٧ من المسجونين ايضاً لكي يكمل له العدد الذي طلبه علامةً للنصر فاتخذ ملك داهومي تلك الجماجم زينة لقصره ومن عادة اهالي بلاده ان من اراد ان يمدح الملك أو يدعو لهُ بالنصر فيتلو على مسامعهِ ما معناهُ ان الملك يسير بالدم منذ جلوسهِ على العرش الى وفاتهِ ويروي كل سنةٍ قبور سلفائهِ بدم البشر. وقد ذكرنا فيما مرَّ تقدمة الذبائح البشرية على قبر من يموت من ملوك السودان وصيغة القبر الذي عمله الملك اكوينكرا الى سلفهِ ادهرسو وقد وضع في هذا القبر ايضا برنيطة ذات ثلاثة قرون وست عصي بازرار ذهبية وفضية وقليلا من التبغ مع غليون وهذه يحسبونها اعظم اكرام يقدَّم للملوك وفي اواسط تشرين اوَّل سنة ١٨٦٠م قدم الملك ادونك ملك داهومي هدية الى روح ابيهِ وهي عجلَتان صغيرتان ودواليب وثلاثة مفاتيح وابريقان للشاي وعلبة للسكر واخرى للزبدة وهي جميعاً من الفضة النقية ووسادة فاخرة موضوعة على عجلة تُجَرُّ بالايادي وكان ستٌّ من جيش النساءِ الآتي ذكرهُ مزمعات ان يوصلنها الى القبر ثم يُذبحنَ بعد ذلك اكراماً لهُ.

ولما كانت اهالي هذه البلاد بغاية التوحش ولا يفرقون الحلال من الحرام كان كثير من قبائلهم لا يعرفون الزواج الشرعي بل كالبهائم السارحة في الفلاة وعند بعضهم يكون الزواج نوعاً من الخطف فكان الخاطب يخطف مَن يريدها ويحفظها في دارهِ ثم يتفق مع اهلها ويكون مصير ذلك الى الاحتفال العظيم واذا مات احد من الاكابر او الملوك دفنوا زوجاتِه معه على ما ذكرنا ذلك في الكلام على سبب ذبح البشر في الجنائز وكانت تلك النساء المنكودات الحظ يتغالبنَ بكل شراسةٍ في السرور بدفنهنَّ احياء مع ازواجهنَّ لان كل واحدةٍ منهنَّ تريد ان تدخل القبر اولاً ثم يطرحونهنَّ في القبر ويلقون عليهنَّ التراب. وفي مملكة داهومي تدخل النساء في ميادين الحرب كالرجال وللملك جيش عظيم مؤلَّف من جماعة منهنَّ وهنَّ جميعاً عبدات لهُ يفعل بهنَّ ما يشاءُ وعند الحرب يدافعنَ عنهُ بكل بسالةٍ وجرأة الى اخر نسمةٍ من حياتهنَّ وكل اولادهنَّ لهُ واذا كانت احداهنَّ تريد ان يكون ابنها لها خاصة تشتريهِ من الملك بمبلغ معين قدرهُ عشرون الف كوريس وهو معاملة سبقت الاشارة اليها.

ومما ذكر تعليم حالة الاولاد في تلك البلاد فان منهم من يقدمهُ ابواهُ قرباناً ومنهم من يقتلانهِ اذا كان سيء التركيب ومنهم من يبيعهُ قومهُ الى الاجانب ومنهم من تأخذهُ

ملوكهم نظير اتاوةٍ ويبيعونهُ ايضاً ومنهم من ياخذونهُ بالقرعة للذبح ومنهم من تخطفهُ القوافل وتجار الرقيق ليبيعوهُ في شواسع الامصار ثم من تبقى بعد ذلك جميعهِ عاش متربياً تربية لا تفرق عن حالة الدواب وغيرها من الحيوانات.

قال بعض المُؤَلّفين ان الزنج ادنى انواع الادميين واخسُّهم وان بيعهم ليس من العبث في شيءٍ لقربهم من الدواب والوحوش فانهم بالحقيقة لا يصيرون ادميين الاَّ بعد بيعهم واسترقاقهم ومن الصواب اعتبارهم ارق من الارقاءِ في بلادهم بين ظلمتهم الذين لا يرثون لحالهم الاَّ ان البلوى عمَّت فان اخذ الارقاء من بلادهم قد يقوي التجار على سرقة الاحرار من بين اهلهم وتفريق الوالدة عن ولدها وبيعهما في البلاد الغريبة. ثم ان ما يُرَى عند الارقاء من الامانة والفلاح يجعل الانسان ان لا ييأس من انهم يتعلمون كغيرهم من الامم وانهُ ينبغي لاهل الخير الأخذ في اسباب تمدنهم وتوليد الترقي عندهم بالمخالطة مع غيرهم.

هذا واني لمعترف هنا بانني قد اطلت الكلام حتى كاني اوّلف في عوائد هذه البلاد وربما خرجت عن المقصود بايراد بعض القضايا والحكايات على اصلها مع انهُ لا حاجة في مثل هذا الاَّ للموضوع الذي تكون مبنيةً عليهِ واخذه منها بمفردهِ ملخصاً ولكن ما ذاك الاَّ لاجعلهُ مصداقاً لما قالهُ البعض من ان اكثر الضلالات تولد بين الناس من الخطإِ في العقائد الالهية ولا يعصم منهُ الاَّ كتاب الله وحدهُ.

الفرقة الثالثة الكتابية

اي الشعوب اصحاب الوحي المستندون في معتقداتهم على الكتب السماوية.

لا يخفى ان جميع الشعوب التي تعبد واجب الوجود وتقر بوحدانية الباري تعالى يبلغ عددها في جميع اقطار العالم نحو ٤٤٦ مليوناً من البشر وهم ينقسمون الى ثلثة اقسام كبرى القسم الاول منها اليهود. والثاني النصارى. والثالث المسلمون. وتحت كلٍّ منهم فروع سوف ياتي ذكرها.

ويجمعهم كافةً هذا الاعتقاد الذي كُتِب باصبع الله جل شانهُ على الالواح الحجرية المنزلة على موسى النبي مشترع الديانة اليهودية ولهُ شهادة اقامها سجانهُ تعالى مكتتبة

بنور الطبيعة على قلوب البشر ايضاً وهو كما جاءَ في التوراة (خروج ص٢٠) ويسمى وصايا الله العشر.

اولاً انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة اخرى امامي.

ثانيا لا تصنع لك تمثالاً ولا صورةً ما ممَّا في السماءِ من فوق وما في الارض من تحت وما في الماءِ من تحت الارض لا تجسد لهنَّ ولا تعبدهنَّ لاني انا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في الابناءِ في الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ واصنع احساناً الى الوف من محبيَّ وحافظي وصاياي.

ثالثاً لا تنطق باسم الرب الهك باطلاً لان الرب لا يُبرِئُ من نطق باسمهِ باطلاً.

رابعاً اذكر يوم السبت (ومعنى السبت راحة) لتقدّسهُ. ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيهِ سبتٌ للرب الهك لا تصنع عملاً ما انت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايامٍ صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسهُ.

خامساًأكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك.

سادساً لا تقتل.

سابعاً لا تزنِ.

ثامنا لا تسرق

تاسعاً لا تشهد على قريبك شهادة زور.

عاشراً لا تشتهِ بيت قريبك. لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبدهُ ولا امتهُ ولا ثورهُ ولا شيئاً مما لقريبك.

ثم ان الفرق بين من يعمل بهذه الوصايا او بعضها بمجرد نور الطبيعة وبين اهل الكتاب هو ان اصحاب الطبيعة يسلكون في ذلك سلوكاً ادبياً مبنياً على محبة الذات وشرف الانسانية فلا يرتكبون ما يخالف شيئاً منها ظاهراً خجلاً من الناس ووقاية لناموسهم الذاتي ولا يخشون الاَّ عار الفضيحة فقط واما الطائعون من اهل الكتاب فانهم يسلكون بموجبها ظاهراً وباطناً لمجرد طاعة الله وخير القريبِ ورغبةً في وعد الله ورهبةً من وعيدهِ.

واما الخلاف فيما بين اهل الكتاب فهو اولاً ان النصارى دون غيرهم يعتقدون ان الله الموحّد بالذات هو ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس والتقليديون منهم يستعملون التماثيل والصور في كنائسهم ويعتبرون ذلك كتاريخٍ صامت لمطالعة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة. ثم الاسلام يعتبرون يوم الجمعة بانهُ افضل سائر ايام السبّة وانما لا يتجنبون فيهِ الاشغال الاَّ نادراً. واما النصارى فانهم يبدلون يوم السبت المحفوظ عند اليهود بكل تدقيق بيوم الاحد لسبب من اعظم الاسباب الدينية عندهم يفضّلون بهِ هذا اليوم على يوم السبت لكن التقليديين منهم لا يعبأون بحفظهِ كالواجب واما الانجيليون فلا يجيزون فيهِ ادنى عمل الاَّ عمل الخيرات والمبرات فقط. ولا تكتفي التعاليم الانجيلية بنهي المسيحيين عموماً عن الارتكاب ما يضاد هذه الوصايا بذات الفعل فقط بل وعما يضادها بالقول والفكر ايضاً فتوضح لهم ان محبة المال هي شرك باللّه بل وكل ما يلقي الانسان عليهِ اتكالهُ ويصرف اليه كل قلبهِ من الأمور الدنيوية هو من قبيل الشرك ايضاً. وان كل قسمٍ وحلفٍ سواءٌ ذكر فيهِ اسم الله أم لا هو توسل اليهِ تعالى ولذلك المقسم بها ملتزماً على حدّ سوى غير انهُ لا يحكم بعدم جواز الاقسام التي يحكم بها الشرع ويجب ان تكون باسم الله فقط وبكل وقار واما فيما عدا ذلك فيكون كلامهم اما لا اذا كان لا واما نعم اذا كان نعم. وتامر ببرّ الوالدين ولا تسمح للاولاد ان يحبسوا برهم عن والديهم ولو كان بواسطة تقديمهِ قرباناً لله. وان كل من يتوغّل بالغفلة والغضب بدون داعٍ والاخلاق الخبيثة والميل الى الانتقام يُحسَب عند الله قاتلاً في قلبهِ ويقع تحت طائلة دينونتهِ العادلة. وان كل من يربي فيهِ تصورات وشهوات تثلم العفة يُحسَب زانياً وهكذا الخ.

الكلام على اليهود.

ويقال أن بني اسرائيل يبلغ عددهم الآن نحو ستة ملايين من الأنفس ولا يدخل تحت حكمهم شيءٌ من الارض بل هم داخلون تحت حكم غيرهم ومتفرقون في سائر اجزاءِ القارات قال بعض المؤلفين منهم في بلاد المسكوب مليون وثلاث مئة الف نسمة وفي فرنسا ثمانون الفاً وفي بلاد الانكليز ستة وثلاثون الفاً وفي بلاد النمسا ثمان مئة الف وفي بروسيا مئتان وخمسون الفاً وفي البلجيك سبعون الفاً وفي اليونان ثمانية الاف وفي بلاد الدولة العثمانية مئة واثنان وعشرون الفاً وفي شمالي افريقيا ست مئة الف وفي شرقي

آسيا خمس مئة الف وفي اميركا اربع مئة الف ولم يكن محل من الارض خالٍ منهم بل قد وصلوا الى ما عجز عن الوصول اليهِ انشط السياح واشجعهم.

ومشترع هذه الديانة هو موسى بن عمران الذي اخرج هذا الشعب من ارض مصر في سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وهو الذي اعطاه الله الالواح الحجرية المكتوب فيها الوصايا العشر التي كنا بصددها. والشريعة التي جاءَ بها دونها في خمسة اسفار تسمَّى بالتوراة وهي منضمة مع سائر كتبهم الدينية في كتاب واحد يطلق عليه عند النصارى العهد العتيق ويضمون اليهِ كتبهم الدينية المسماة بالعهد الجديد ويجعلون الكل واحداً يسمى بالكتاب المقدس.

وهذا العهد العتيق يحتوي على كل تعاليم الديانة اليهودية ويقسم بحسب ذلك الى ثلاثة اقسام الاوَّل تاريخي والثاني طقسي والثالث نبوي.

اما التاريخي فيقسم ايضاً الى قسمين الاوَّل كتبهُ موسى النبي المشار اليهِ والثاني كتبهُ احبار هذا الشعب وعلماؤُهُ وانبياؤه غير موسى.

اما موسى فيخبر عن خلق العالم ويظهر منهُ انهُ كان قبل المسيح باربعة الاف سنة على مقتضى التوراة العبرانية والمقصود من خلق العالم ليس هو خلق السماوات والارض اذ انهُ لا يعيّن لذلك وقتاً وانما القصد اصلاح الارض التي كانت وقتئذٍ خربةً خالية وابداع كل الموجودات التي اوجدها فيها سبحانهُ جلَّ وعلا في ستة ايام. فان في اليوم الاوَّل خلق النور وفي الثاني خلق الجلد المسمَّى سماءً وفي الثالث خلق جميع المياه التي كانت غامرة سطح الارض الى امكنةٍ معيَّنة واظهر اليابسة وسمَّى مجتمع المياه بحاراً واليابسة ارضاً وانبت فيها الاعشاب والاشجار وكل انواع النباتات. وفي الرابع خلق الكواكب. وفي الخامس خلق الحيتان البحرية وطيور السماءِ. وفي السادس خلق الوحوش والدبابات. وفيهِ خلق الانسان ايضاً وسلطهُ على جميع تلك المخلوقات البرية والبحرية.

وان آدم هو اوَّل انسانٍ خلقه الله من نوع البشر واسكنهُ في جهةٍ غرسها في شرقي عدن وانبت فيها من الارض كل شجرة شهية النظر وجيدة للاكل وفي وسط تلك الجنة شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشرّ واوصى آدم ان يأكل من جميع الاشجار ما عدا هذه الشجرة الاخيرة وهدَّدهُ بانهُ في اليوم الذي ياكل منها موتاً يموت. ثم طرح على آدم سبات النوم واستلَّ ضلعا من اضلاعهِ وملأَ مكانها لحماً وبنى على تلك الضلع حواء واعطاها الى آدم امرأَةً بعد ان احضر اليهِ كل الحيوانات البرية وطيور السماء

ليرى ماذا يدعوها فكان كل ما دعى بهِ آدم ذات نفسٍ حية اسماً لها. ثم اغرت الحية التي هي نوع من هذه الحيوانات حواء على الاكل من شجرة معرفة الخير والشر فاكلت واطعمت زوجها آدم معها ايضاً وكانْ ذلك سبباً لطردهما من جنة الفردوس واسكنهما على سطح الارض قصاصا لهما وقال لآدم انهُ بالتعب ياكل منها كل ايام حياتهِ فياكل خبزهُ بعرق وجههِ حتى يعود الى الارض التي أُخِذَ منها لانهُ تراب والى التراب يعود. واما حواء فقال لها انهُ يكثر اتعاب حبلها وبالوجع تلد اولادها والى رجلها يكون اشتياقها وهو يسود عليها. وقاصَّ الحية ايضاً بلعنها وان يكون سعيها على بطنها وتاكل تراباً كل ايام حياتها ثم وضع العداوة بينها وبين المرأة وبين نسلها ونسلها اما نسل المرأة فيسحق راس الحية واما الحية فتسحق عقبهُ. ومن نسل آدم هذا وامراتهُ حواء امتلأَت الارض من الناس وانتشر الجنس البشري في جميع اقطارها.

ثم من بعد سقوط آدم وزوجتهِ وهبوطهما الى الارض ابتدأَت الخطية تتسلط على نسلهما واوَّل مفعولها كان في قايين بكر آدم فانهُ قتل اخاهُ هابيل حسداً لكونهما كانا كلاهما قدما قرابين لله فقبل الله قرابين هابيل التي قدمها من ابكار غنمهِ ولم يقبل قرابين قايين التي كانت من اثمار الارض. وبعد ان قتل اخاه طردهُ الله من امام وجههِ ثم بعد ذلك اختلط نسل شيت ثالث اولاد آدم مع الاشرار وامتلأَت الارض من الجرائم والفساد ولذلك امر الله بالطوفان العام واهلك بهِ جميع العالم ما عدا نوح وعائلتهُ بواسطة فلكٍ امرهُ بانشائهِ قبل ذلك واوى اليهِ من كل انواع الحيوانات والدبابات وطيور السماءِ بحسبما امرهُ الله وبذلك صار هو اصلاً ثانياً بعد ادم للجنس البشري وكان ذلك سنة ١٦٥٦ بعد خلق ادم ثم قطع الله مع نوح عهداً بانهُ لا يعود يضرب الارض بطوفان آخر وجعل قوس قُزَح الذي يظهر في السحاب علامة لهذا الميثاق. واباح لهُ ولنسلهِ اكل لحوم الحيوانات كما يأكلون العشب الاخضر وانما لا ياكلون لحماً بحياتهم فيه دمٌ. ومن نسل هذا الرجل توزع الجنس البشري على سطح الأرض على ما تقدَّم. ولما كان لهُ ثلاثة اولاد ذكور هم سام وحام ويافث قد استقر نسل سام خصوصا في اسيا ونسل حام تشتت في افريقيا ونسل يافث استقر في اوروبا كما يستنتج ذلك من الاصحاح العاشر من سفر التكوين.

وان بعد الطوفان المذكور ببرهةٍ وجيزة عزم نسل نوح ان يبنوا مدينةً وبرجاً راسهُ بالسماءِ ويصنعوا لانفسهم اسما كيلا يتبددوا على وجه كل الارض فلم يسر الله بهذا العمل بل بلبل السنتهم حتى لا يسمع بعضهم لسن بعضٍ وبددهم على وجه الارض

ولذلك كفوا عن بناءِ ما شرعوا بهِ ودُعي اسم تلك المدينة بابل لان هناك بلبل الله لسان كل الارض.

والظاهر انهُ في ذلك الوقت انتشرت الديانة الوثنية في العالم حتى عمَّت وجه الارض فاراد الله ان يختار لهُ شعباً لاجل حفظ الديانة الحقيقية وان كان لم يصرحّ بذلك في تاريخ موسى على هذه الصورة لكنهُ يؤْخذ بالنتيجة من ماجريات ابرهيم ونسلهِ فان هذا الرجل كان ساكناً في اور الكلدانيين فدعاهُ الله وامرهُ ان يترك ارض ميلادهِ ويذهب الى ارض كنعان لكي يعبدهُ ويخافهُ فيها ووعدهُ بانهُ يكثر نسلهُ ويعطيهِ اياها ميراثاً وكان ذلك نحو سنة ٤٢٠ بعد الطوفان ثم بعد ان انتقل اليها وضع لهُ سنَّة الختان علامةً للعهد بينهُ وبينهُ وان يكون ختان الطفل المولود في اليوم الثامن من مولدهِ. ومن ابرهيم هذا وُلد اسماعيل جدّ العرب المستعربة من هاجر المصرية امة زوجتهِ سارة التي كانت اختهُ من ابيهِ واخيراً طردهُ هو وامهُ فذهب واقام في برّية فاران وكان ذلك بامر الله ثم وعد الله ابرهيم بانهُ يجعل اسماعيل هذا امةً عظيمة. وكان سبب طردهِ اياهُ سارة المذكورة بعد ان ولدت لابرهيم ابنهُ اسحق وهي ابنة تسعين سنة وزوجها ابن مئة سنة ثم لما كبر اسحق امتحن الله ابرهيم بطلبه منهُ ان يقدم اسحق المذكور ضحية لهُ لكن لما اطاع ابرهيم هذا الامر الالهي وشرع في ان يذبح ابنهُ افتداهُ الله بكبش اوجدهُ لهُ ووعدهُ بانهُ يكثر نسل هذا الغلام وان بنسله يتبارك جميع امم الارض وهو الذي ولد يعقوب المدعو اسرائيل ويعقوب ولد اثني عشر ابناً هم آباءُ اسباط اسرائيل اثني عشر (وقد اشتهر بين هؤلاءِ الأسباط لاوي الذي كان منهُ موسى النبي المشار اليهِ وأخوهُ هرون الذي اختصَّ هو ونسلهُ برياسة الكهنوت كما ان باقي السبط استقل بخدمة الامور الدينية وكذلك سبط يهوذا الذي كان اشد باساً من الجميع وصار صاحب السلطة الملوكية الى ان انقرضت دولة اليهود نحو الزمن الذي ظهر فيهِ المسيح. وكان اشار الى ذلك يعقوب ابو الاسباط عندما دعا بنيهِ قبل موتهِ لينبئهم بما يصيبهم في اخر الايام فكان من جملة ما قالهُ لكل واحد منهم ان قال لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليهِ حتى ياتي شيلون ولهُ يكون خضوع شعوبٍ الخ).

ثم بعد ان يتكلم موسى النبي عن تفاصيل ما جرى لابرهيم مدة اقامته في ارض كنعان ورحلاتهِ التي في خلال المدة ووفاة زوجتهِ سارة وهي ابنة ١٢٧ سنة وزواجه بعدها بامرأةٍ اسمها قطورة وما وُلد لهُ منها ومن سراريهِ الاخر ووفاته وهو ابن ١٧٥ سنةً يتكلم ايضاً عن ماجريات ابنهِ اسحق واولادهِ عيسو ويعقوب بكل تدقيق وما

جرى بينهما من التنافر واسبابهِ وهرب يعقوب الى ارض الكلدانيين من وجه اخيهِ واقامتهِ عند خالهِ المدعو لابان وزواجهِ بابنتيهِ ليئة وراحيل بعدما خدمهُ لاجلهما اربع عشرة سنة ثم رجوعهِ الى ارض ميلادهِ بثروة جيّدة وما جرى بعد ذلك من اولاده الذين باعوا اخاهم يوسف الصغير بينهم الى الاسماعيليين الذين نزلوا بهِ الى مصر وباعوهُ هناك وما جرى لهُ من الحوادث مع امرأة مولاهُ فوطيفار وبعد ان تسببت في سجنهِ سبع سنوات اتصل بفرعون بواسطة تفسيرهِ لاحلامهِ وكان ذلك سبباً الى توليتهِ من قبل فرعون مسلطاً على جميع اعمال مصر ونزول ابيهِ يعقوب وسائر اولادهِ اخوة يوسف الى هناك واقامتهم في عين شمس وتغربهم ونسلهم من بعدهم مدَّة اربع مئة سنة احتملوا فيها من المصريين ما لا يوصف من الاضطهاد الذي اضطرهم في اواخر المدة الى طرح اطفالهم في النهر خوفاً من فرعون لانهُ كان امر وقتئذٍ بطرح صبيانهم فقط اي دون البنات فيهِ لما كانوا عليه من النمو والكثرة حذراً من ان ينضموا الى جيش عدوٍّ يحارب المصريين.

وكان من جملة من طُرِح في النهر من الاطفال موسى النبي الشارع المشار اليهِ بعد ان خبأتهُ امهُ نحو ثلاثة اشهر بعد مولدهِ واخيرا لما لم تجد بدًّا من طرحهِ وضعتهُ في سفطٍ مطلي بالزفت والقتهُ بين الحلفاءِ على حافة النهر فاراد الله ان تجدهُ هناك ابنة فرعون ملك مصر فاخذتهُ وربتهُ وجعلتهُ لها ابناً وسمتهُ موسى ومعناهُ منشول من الماءِ ثم بعد ان كبر قتل رجلاً مصرياً انتصاراً لرجل من قومهِ العبرانيين فبلغ الخبر الى فرعون واراد ان يقتلهُ فهرب وسكن في ارض مديان وتزوَّج بامراة اسمها صفورة بنت كاهن مديان وبقي هناك الى ان ظهر لهُ ملاك الله بلهيب نار من وسط عليقة وامرهُ ان يذهب الى فرعون ويخرج بني اسرائيل من ارض مصر ليمتلكوا الارض التي وعد الله ابرهيم ان يعطيها ملكاً لنسلهِ فاستعفى موسى في ابتداءِ الامر من هذه الرسالة لكن اخيراً اطاع الدعوة بعد ان اعدَّ لهُ الله من عمل الآيات والعجائب ما يوجب تصديق هذا الشعب اياهُ بانهُ أُرسل من قِبَل الله لاجل خلاصهم.

وكان موسى استخبر من الملاك عن اسم اله اسرائيل. وقال اذا قلت للشعب اله آبائكم أرسلني اليكم وسألوني ما اسمهُ فماذا أقول لهم فقال له أَهيَهْ ويهوه اله ابرهيم واسحق ويعقوب (وفي مواضع اخرى من الكتاب قيل بانهُ كان معروفا عندهم بالقادر الكافي فقط ولم يعرفوا ان اسمهُ الله).

ومن ثم نزل موسى بعيالهِ الى مصر مع اخيهِ هرون الى فرعون وطلبا منهُ اخراج الاسرائيليين ليعبدوا الله الههم في البرية لكن الله قسَّى قلب فرعون كيلا يجيب طلب

موسى حتى يظهر الله آياتهِ وعجائبهُ ويخرجهم بقدرةٍ الهية وآل الامر ان ضرب الله المصريين عشر ضربات بعد كل ما اجترحهُ موسى من الآيات بحضرة فرعون وحكماء المصريين وسحرتهم وعرافيهم الى ان سمح فرعون بخروجهم عند الضربة الاخيرة وهي قتل كل ابكار المصريين من الناس والبهائم وبسبب ذلك وضع الله على بني اسرائيل سنَّة عمل الفصح فداءً عن ابكارهم كيلا تشملهم الضربة مع المصريين الذين كانوا وقتئذٍ ساكنين فيما بينهم وكان ذلك سنة ٤٣٠ من دعوة ابرهيم كما ذكرنا.

ثم لما خرج بنو اسرائيل ووصلوا الى البحر الاحمر ندم فرعون على اطلاقهم وساق جيشهُ ومركباتهُ لاجل ارجاعهم. فامر الله موسى فضرب البحر بعصاهُ فانشق وعبر بنو اسرائيل على اليابسة واراد فرعون ان يعبر خلفهم في البحر فرد الله عليه المياه وغرق هو وكل جيشهِ بتمامهِ.

ثم بعد خمسة واربعين يوماً من خروجهم وصلوا الى جبل سينا وهناك اعطى الله موسى النبي الالواح الحجرية وفيها وصايا الله العشر التي سبقت الاشارة اليها واعطاهُ ايضاً الشرائع السياسية وبعدها الطقسية لكي يمارسها بنو اسرائيل ويسلكوا بموجبها ولم يَدَعِ الله هذا الشعب ان يدخل ارض كنعان حالاً لعصاوتهم اوامرهُ في افتتاح الحروب التي امرهم بها مع سكان البلاد بل ابقاه اربعين سنةً في البرية تحت قيادة هذا النبي وكان يعولهم بالمنّ والسلوى طعاماً ويجري الماءَ من صخرةٍ لشربهم واما اثوابهم واحذيتهم فلم تتهرأ وبقيت على ما هي عليهِ لحينما امتلكوا البلاد وبعد تمام الاربعين سنة مات موسى النبي وخلفهُ يشوع بن نون والى هنا ينتهي القسم الأول من التاريخ.

واما القسم الثاني من التاريخ وهو الذي كتبهُ احبار هذا الشعب وعلماؤُهُ وانبياؤُهُ غير موسى فيحتوي على الحروب التي اجراها يشوع بن نون خليفة موسى مع ملوك الارض وشعوبها وتغلبهِ عليهم وتقسيم اراضيهم واملاكهم على بني اسرائيل وانتقال الحكم من بعدهِ الى القضاة ثم الى الملوك الذين كان اولهم شاول بن قيس من سبط بنيامين وثانيهم داود النبي بن يسى من سبط يهوذا وبعدهُ ابنهُ سليمان الذي بنى بيت الله الشهير في اورشليم والى هذا البيت كانوا يحجّون في كل سنةٍ ليعملوا فيهِ عيد الفصح وفيه يقيمون صلواتهم ومناسكهم وتعبداتهم واليهِ يقدمون قرابينهم ونذورهم على يد الكهنة من سبط لاوي الذين سبقت الاشارة اليهم ثم ما بقي من متعلقات هذا القسم التاريخي ليس هو من موضوع كلامنا فلا حاجة الى تفاصيلهِ اذ يوجد فيهِ شيء من مبادي الديانة اليهودية وآدابها الاصلية.

ولنأْت الى القسم الثاني من العهد العتيق الذي هو الطقسي فان فيهِ توجد هذه المبادي المذكورة وهو يتضمن اولاً تكريس هرون اخي موسى وبنيهِ لخدمة الكهنوت وما يتعلق بالشرائع والقوانين لتقديس اللاويين وتعيين ما ينبغي اعطاؤُهُ لهم من الاملاك والعشور والنذور وغلاَّت البيادر وقطرِ المعاصر واوائل القطاف وباكورة الاثمار وابكار الانعام وسائر الحيوانات. اما ابكار البنين فيوخذ عنهم مقدار معلوم من الفضة فداءً اذ ان الله اتخذ سبط لاوي ليخدمهُ بدلاً عنهم.

ثانيا الشرائع والنظامات المختصة بالذبائح والقرابين وهي تشرح بالتدقيق الذبائح المتنوعة التي ينبغي ان تكون من الحيوانات والطيور المعينة لطهارتها ونقاوتها وكيفية تقديمها لاجل المحرقة والسلامة والخطية والاثم. مع الابانة عن انواع الخطايا التي تتقدم لاجلها. والنهي عن تقديم البنين والبنات محرقاتٍ كما يفعل الوثنيون الذين يحرقون اولادهم قرباناً لالهتهم ثم تفاصيل السنن المتعلقة بالنجاسات والتطهيرات المختلفة والملابس والمواكيل. ومنها النهي عن طهي الجدي بلبن امهِ.

ثالثا السنن المتعلقة بالاعياد وهي تشمل ثلثة اعياد يعيدونها لله في السنة وهي عيد الفطير والفصح الذي مر ذكره. وعيد الحصاد. وعيد الجمع او المظال في آخر السنة. وكما يكون ايضاً كل يوم سابع من الأسبوع سبتاً لله لا يعمل فيهِ ادنى عمل كذلك تكون كل سنةٍ سابعة ايضاً سبتاً لا تُزرَع فيها الارض ولا يُقطَف الكرم بل تترك الاراضي عطلاً وغلاَّت الكروم تكون مأكلاً لفقراءِ الشعب ووحوش البرية. هكذا كل سبعة اسابيع من السنين تكون السنة التي بعدها اي السنة الخمسين يوبيلا وهي سنةٌ مقدسة لا يكون فيها زرع ولا حصاد ايضاً وينادي فيها بالعتق في الارض لجميع سكانها فيرجع كلٌّ الى ملكهِ والى عشيرتهِ اذ لا يبقى فيها دين ولا رقيق ولذلك ينبغي ان يكون بيع املاكهم الى بعضهم بعضاً بحسب غلة الملك المباع منذ يوم بيعهِ الى سنة اليوبيل المذكورة وهكذا يشتريهِ المشتري اذ فيها يلزم ان يرجع الى بائعهِ الذي هو مالكه الاصلي ولا يُستثنى من ذلك الاَّ بعض البيوت التي تكون داخل المدن ذات الاسوار اذا لم تُفَك قبل ان تكمل سنة واحدة منذ زمان بيعها.

ثم في هذا القسم ايضا توجد احكام هذا الدين السياسية نلخصها هنا لكونها صارت اصلاً لكثيرٍ من الشرائع الآتية بعدها ولا سيما عند الذين يرون من الواجب مزج الاحكام السياسية بالاوامر الدينية.

فمن شروط المحاكات فيهِ عدم المحاباة مع المسكين او احترام وجه الكبير اوتحريف الدعاوي. او قبول الخبر الكاذب. او الاصغاء الى شاهدٍ واحد بل على فم شاهدين او ثلاثة يصير اثبات المدَّعَى. والنهي عن اخذ الرشوة. والجور في القضاءِ. ووجوب اليمين على المنكر والقسامة على اهل المدينة الاقرب الى محل قتيل يوجد في الحقل ولا يُعرَف قاتلهُ.

ومن احكام هذه الشريعة ان لا يسلم عبد آبق الى مولاهُ بل يبقى عند من يلتجي اليهِ ما طابت نفسهُ. وان العبد من بني اسرائيل يخدم مولاهُ ست سنين ويخرج في السابعة حرًّا مجاناً فان كان متزوجاً تخرج امراتهُ معهُ الاَّ اذا كان سيدهُ اعطاهُ اياها ولو ولدت لهُ اولاداً فلا يخرج الاَّ هو وحدهُ واما المرأة واولادها فيبقون في قبضة السيد. واذا اراد العبد ان لا يفارق امراتهُ واولادهُ واراد ان يبقى عبداً فياخذهُ مولاهُ ويقربهُ الى الباب او الى القائمة ويثقب اذنهُ بالمثقب ومن ثم يبقى في خدمتهِ الى الابد. واذا باع رجل ابنتهُ امةً فلا تخرج كما يخرج العبيد بل اذا قبحت في عين سيدها الذي خطبها لنفسهِ يدعها تُفَك وليس لهُ سلطان ان يبيعها لقومٍ اجانب لغدرهِ بها وان خطبها لابنهِ فبحسب حق البنات يفعل لها وان اتخذ لنفسهِ اخرى فلا ينقص طعامهاوكسوتها ومعاشرتها وان لم يفعل لها هذه الثلث تخرج مجاناً بلا ثمن. واما الاسير من الاغراب فيكون لهم عبداً يتوارثونهُ الى الابد.

واما الجزاء فهو على انواع.

الأول القتل. وهو يشمل من ضرب انساناً فمات. ومن غدَر برجل وقتلهُ عمداً فانهُ يُقتَل ولو التجى الى مذبح الله ليحتمي من الموت. ومن شتم الله. ومن ضرب اباهُ وامهُ اوتمرد عليهما وعصاهما. ومن سرق انساناً وباعهُ او ابقاهُ في يدهِ. وصاحب الثور النطَّاح اذا كان أُشهد عليهِ من قبل ولم يضبطهُ ثم نطح انساناً وقتلهُ فان صاحب الثور يُقتَل والثور يُرجَم. ومن يعمل عملاً في يوم السبت. والسحرة. ومن كان بهِ جان او تابعة فانهُ يرجم بالحجارة حتى يموت. ومن ضاجع بهيمةً من الرجال والنساءِ يُقتَل مع البهيمة ايضاً. ومن اعطى من زرعهِ للاوثان. والزاني بامراة قريبهِ والتي زنى بها. والزاني بامرأة أبيه أو كنته. ومضاجع الذكور. والزاني بعذراء مخطوبة داخل المدينة والتي زنى بها واما اذا وقع ذلك في الحقول فيقتل الرجل فقط واما الفتاة فلا حيث لم يكن موجوداً هناك من يخلصها اذا صرخت. والفتاة التي اذا تزوجت وادَّعى رجلها بانهُ لم يجد لها عذرة ووجد الامر صحيحياً جميعاً يقتلون اما من اتخذ امراةً وامها يحرقون جميعاً بالنار. واما من قتل نفساً بغير قصد واستطاع ان يصل الى مدينةٍ من مدن الملجا

الست الذي امر الله باقامتهِ ثلاثاً منها في عبر الاردن وثلاثاً في ارض كنعان لمثل فاعل هذا الفعل قبل ان يلحقهُ وليُّ الدم ويقتلهُ في الطريق فانهُ يبقى في المدينة التي يصل اليها الى موت الكاهن العظيم ومن ثم يرجع الى ملكهِ ولا حرج عليهِ اما اذا خرج منها قبل ذلك وقتلهُ ولي الدم فيكون دمهُ هدراً ولا يقتل الآباء عن الاولاد ولا الاولاد عن الآباءِ بل كل انسان يموت بخطيتهِ.

والثاني القصاص بمثل الذنب اعني العين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل والكي بالكي والجرح بالجرح والرض بالرض اما اذا ضرب انسان عبدهُ او امتهُ بعصاً ومات المضروب فينتقم منهُ ولكن ان بقي المضروب بعدها حيًّا يومين او ثلاثة فلا ينتقم لانهُ مالهُ واما اذا اتلف عين عبدهِ او امتهِ او اسقط لاحدهما سنًّا فيلزم عتقهُ.

ثالثا احكام الدئة وهي تشمل الضارب اذا عطّل انساناً بضربهِ اياهُ عن عملهِ فيلزم ان يعوض عطلتهُ وينفق على شفائهِ. والذي يصدم في اثناء خصام مع اخر امراة حبلى ويسقط جنينها بدون اذية فيلزم ان يغرم المقدار الذي يطلبهُ منهُ زوج المراة. واما ان كان حصل اذى فترجع المسألة الى حكم القصاص بالمثل اعني النفس بالنفس والعين بالعين الخ. وكذلك صاحب الثور النطاح اذا اراد اهل المقتول ان يضعوا عليهِ دئة فداءً عن نفسهِ.

رابعاً الجلد فان المذنب المستوجب الضرب يطرحهُ القاضي ويجلدونهُ على قدر ذنبهِ لا يزيد على اربعين جلدة.

خامساً اذا امسكت امراة عورة رجل تقطع يدها واذا نطح ثور رجلاً او امراة فمات المنطوح يرجم الثور ولا يؤكل لحمه. وان نطح عبداً أو امة يعطي صاحبهُ ثلاثين شاقلاً من الفضة والثور يرجم. وان وقع ثور أو حمار في بير أو حفرة لم يغطهما صاحبهما فصاحب البير او الحفرة يعوض على صاحب الحيوان دراهم والميت يكون لهُ. وإن نطح الثور ثوراً فمات المنطوح يباع الثور الحيّ ويقسم ثمنهُ بين صاحب الثور الحي والثور الميت وكذلك يقتسمان الميت ايضاً لكن اذا كان الثور معروفاً بانهُ نطاح من قبل ولم يضبطهُ صاحبهُ فيعوض عن الثور الميت بثور حي والميت يكون لهُ. ومن يسرّح مواشيهِ لترعى حقل غيرهِ فيلزمهُ العوض من اجود حقلهِ واجود كرمهِ. وكذا من اوقد وقيداً اصابت نارهُ شوكاً فاحرقت اكداسا وزرعاً او حقلاً. واما من اودع عندهُ فضة او امتعة للحفظ وسرق ذلك من عندهِ فاذا وجد السارق فعليهِ العوض باثنين والاّ فعلى الامين اليمين بانهُ لم يمد يدهُ الى ملك صاحبهِ. وهكذا في كل دعوى جنايةٍ من جهة

حيوانات او مفقود ما يقال ان هذا هو تقدم دعواهما الى الله والذي يحكم عليهِ بالذنب يعوض صاحبهُ باثنين. وكذا من اودع عندهُ حيوان او غيرهُ فمات او انكسر او نهب وصاحبهُ لم يكن موجوداً لا يلزمهُ الاّ اليمين فقط وليس عليه عوض واما ان سُرق من عندهِ فيلزمهُ العوض. وان افترس فعليهِ ان يحضرهُ شهادةً ولا يعوض. ومن استعار من صاحبهِ شيئاً فانكسر او مات وصاحبهُ ليس هو معهُ فعليهِ العوض واما ان كان صاحبهُ معهُ فلا يلزم ذلك وان كان مستاجرا اتى باجرتهِ.

سادساً احكام السرقة وهي اذا سرق انسان ثوراً او شاةً فذبح ما سرقهُ او باعهُ فيلزم ان يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة باربعةٍ من الغنم. وان ضُرب السارق ومات وهو ينقب فليس لهُ دم ولكن ان اشرقت عليه الشمس فلهُ دم لانهُ يعوض وان لم يكن لهُ ما يعوض بسرقتهِ وان وجدت السرقة في يدهِ وكانت ثوراً ام حماراً ام شاةً بالحياة فيلزمهُ العوض باثنين.

سابعاً احكام الزنا وهي من راود عذراء لم تخطب وضاجعها يلزم ان يمهرها لنفسهِ زوجةً فيعطي اباها خمسين من الفضة وتكون زوجةً لهُ لا يقدر ان يطلّقها كل ايامهِ وان ابى ابوها ان يعطيهِ اياها يزن لهُ فضة كمهر العذارى واما من فعل ذلك مع مخطوبةٍ و لم تفدَ فداءً ولا أعطيت حريتها فليتأدبا فقط ولا يقتلا واذا أخذ رجل اختهُ بنت أبيهِ أو بنتَ امهِ او اضطجع مع امراة طامث يقطعون جميعا من شعبهما. وكذلك من كشف عورة اخت امهِ او اخت ابيهِ او امراة عمهِ او امراة اخيه فانهم جميعاً يحملون ذنوبهم ويموتون عقيمين. واذا اتهمَ رجل امراتهُ ياتي بها الى الكاهن فيوقفها الكاهن امام الرب وياخذ ماءً مقدساً في اناء خزف ويضع فيهِ من الغبار الذي في ارض المسكن ثم يحلّف المراة بانها لم تزغ ويكتب اللعنات التي يهددها بها في كتاب ويمحوها في الماءِ المرّ ويسقي المرأة ماء اللعنة المر فان كانت قد تنجست وخانت فترم بطنها وتسقط فخذها والاّ فلا. ثم ان باقي احكام الزنا قد ذكرت في احكام القتل.

واما احكام الزواج فهي ان لا يكشف الرجل عورة ابيهِ ولا عورة امه ولا امراة ابيه ولا اختهِ ولا ابنة ابنهِ ولا ابنة بنتهِ ولا اختهِ من ابيهِ ولا عمتهِ ولا خالتهِ ولا امراة عمهِ ولا كنتهِ ولا امرأة اخيهِ ولا امرأة وبنتها ولا ابنة ابنها ولا ابنة بنتها ولا توخذ اخت المرأة للضر في حياة اختها ولا تُقرَب المرأة في ايام طمثها. والمتزوج جديداً لا يخرج في الجند بل يبقى حرًّا سنةً واحدة ويسرُّ امراتهُ التي اخذها. واذا تزوَّج الرجل بامراةٍ و لم تجد نعمةً في عينينهِ او وجد فيها عيباً فيكتب لها كتاب طلاق ويطلقها ثم

اذا تزوجت رجلاً آخر وطلقها او مات فلا يجوز لزوجها الأوّل ان يراجعها واذا مات رجل عن غير ولدٍ ياخذ اخوه امراتهُ والبكر الذي تلدهُ لهُ يقوم باسم اخيهِ الميت.

وهناك اوامر ونواهي واداب لهذا الدين متفرقة في هذا القسم اما الاوامر فهي بردّ كل مفقود يجدهُ الانسان لاصحابهِ. ومساعدة المبغض ايضاً في حلّ حمارهِ اذا كان واقعاً تحت حملهِ. والقيام من امام الاشيب. واحترام الشيخ. واباحة الاكل من الكرم الذي يدخلهُ الانسان بقدر شبعهِ بحيث لا يحمل منهُ شيئاً الى الخارج وهكذا ايضاً من الزرع فان لهُ ان يقطف السنبل بيدهِ ويفركهُ وياكلهُ لكن لا يرفع عليهِ منجلاً. واما النواهي فهي النهي عن اضطهاد الغريب ومضايقتهِ. والاساءَة الى الارملة واليتيم. واخذ الرباء ممن يقترض فضة من بني المذهب بخلاف الاجنبي فان اخذ ذلك منهُ جائز. وابقاء ثوب مرهون من صاحبهِ الى ما بعد غروب الشمس. ولعن رئيس الشعب. وموافقة المنافق. والموافقة على عمل الشر. وتعويج كلام الابرار. والجور في الميازين والمكاييل وان لا يكون في كيس الرجل اوزان مختلفة كبيرة وصغيرة (وذلك لوزن دراهم التعامل) وطلب الانتقام. والحقد. وابقاء اجرة الاجير وطنيًّا كان او غريباً الى الغد بل تُعطى قبل غروب الشمس. وشتم الاصم. ووضع معثرة امام الاعمى واستعمال العرافة والعيافة والفال والسحر والرقا وسوال الجان والتوابع واستشارة الموتى. ولبس الرجل ثوب المرأة. والمرأة متاع الرجل. واخذ الطيور الحاضنة مع فراخها. وترك سطح البيت بلا حائط يصونهُ لئلاً يسقط احد منهُ وزرع الحقل الواحد صنفين. ولبس ثوب مختلط صوفاً وكتاناً. وابقاء جثة المقتول بجنايةٍ الى الغد اذا كان معلقاً على خشبةٍ لان المعلق ملعون من الله ودخول ابن زنا او عموني او موآبي في جماعة الرب الى الجيل العاشر. وادخال اجرة زانية او ثمن كلبَ الى بيت الرب عن نذرٍ. ورجوع الرجل الى حقلهِ لياخذ حزمة الحصيد التي يكون نسيها فيهِ بل يتركها لتكون للغريب واليتيم والارملة. وكذلك مراجعة اغصان الزيتون بعد خبطها. وتكميم الثور في الدراس.

واما القسم الثالث من العهد العتيق وهو النبوي فان اصحابهُ كانوا رتبةً من رجال الله يخبرون بالوحي عن مقاصدهِ الخصوصية في الازمنة المستقبلية ويعلنون ارادتهُ تعالى للبشر من جهة الواجبات المطلوبة منهم والحوادث المشهورة التي ستجري بينهم فكانوا بهذا الاعتبار سفَراء الله لادى البشر وكانوا حينئذٍ يدعون الرائين والرقباءَ. وكانوا علماء امة اليهود يدرسونهم اللاهوت ويهذبونهم في الدين والفضيلة ويحرضونهم على واجباتهم ويبكتونهم على خطاياهم ويدعونهم الى التوبة ويهذبون ملوكهم وينبئون باحكام الله

على الشعوب ولهم مدارس خصوصية لتعليم الامور الدينية وتلامذتها يُسمَّون بني الانبياء وقبولهم الوحي بحسبما يستبين من ذات كتاباتهم كان احياناً بالرؤى والاحلام واحياناً في حالة السبات والغيبة. واكثرهم لهم اسفار خصوصية تتضمن قيد حوادث تاريخية ماضية. والانباءُ بمزمعات تحدث مستقبلة. منها ما هو على كثير من الممالك والشعوب الاجنبية اي غير اليهود ومنها ما هو على اليهود انفسهم واخصها الوعد بمجيء مسيحٍ مخلص يولد بينهم من سبط يهوذا يفدي اسرائيل ويسود على الامم وتدوم مملكتهُ الى الابد ويوصفونهُ باوصاف رمزيةٍ فان عباراتهم سجعية تشتمل على كثير من الاستعارات والكنايات ومن انبائهم ما قد تمَّ الاَّ انهُ يحتاج في فهمهِ الى معرفة التواريخ ومنهُ ما هو مغلق بعيد الادراك لا يستطيع حلَّهُ الاَّ الزمان فقط.

فصلٌ

في ما وصل الينا من اخبار الفرق اليهودية

مقدمة

لا يخفى انهُ بعد موت سليمان بن داود ملك اسرائيل جلس ابنهُ رحبعام على تخت المملكة في سنة ٩٧٥ قبل الميلاد فاقام عشرة اسباط من اسباط اسرائيل حججاً على هذا الملك صارت سبباً الى تمردهم عليهِ وخلع طاعتهِ ومن ثمَّ انقسمت المملكة الى قسمين احدهما دُعي مملكة اسرائيل وهي التي تألفت من العشرة اسباط المذكوري والثاني مملكة يهوذا وهي المؤَلفة من سبطي يهوذا وبنيامين اللذين بقيا خاضعَين لرحبعام.

وكان اول من تملك على مملكة اسرائيل رجل يقال لهُ يربعام خاف من ان رعاياهُ يرجعون الى طاعة رحبعام ملك يهوذا اذا صعدوا الى اورشليم في الاعياد الاحتفالية ليعبدوا الله في الهيكل ويقربوا ذبائحهم هناك ولذلك اقام في مملكتهِ عجلين من ذهب وجعل رعاياهُ يعبدونهما تحت اسم اله اسرائيل ورتب لهم اعياداً احتفالية وكهنةً ومن ثمَّ دامت هذه المملكة نحو مئتين وخمسين سنة وثنية الى أن افتتحها شلمناصر ملك اشور وسبى العشرة اسباط المذكورين الى بلادهِ ومن هناك تبددوا الى ممالك شتى و لم يعودوا يتوطنوا ايضاً في ارضهم البتة ثم ارسل ملك اشور عوضهم الى تلك الاراضي قبائل من وثنيي بلادهِ ليتحدوا مع الذين بقوا من شعب الارض فيها ويعمروا مدينة السامرة

وارض اسرائيل ثانيةً وارسل معهم كاهناً من سبي اليهود ليعلمهم سنَّة الله فجعلوا الله سبحانه بين آلهتهم وعبدوهُ كواحدٍ من الأوثان.

واما مملكة يهوذا فدامت تحت سلطة رحبعام وخلفائه من نسل داود الى سنة ٥٨٨ قبل الميلاد ومن ثمَّ افتتحها بختنصر ملك بابل وجلا ايضاً كثيرين من اهاليها الى بابل قصبة مملكتهِ لكن بعد ان اقاموا فيها سبعين سنةً رجعوا الى اورشليم وجددوا عمارتها وقيام الهيكل وكانوا وقتئذ منقسمين الى فرقتين احدهما تمسكت بالكتب المقدسة فقط وسُمِّيت صاديكيم اي الصديقين ومنها انتسل السامريون والصدوقيون والاخرى اضافت الى ذلك تقليدات المشايخ وبسبب ما ظُنَّ فيها من القداسة قيل لها خاسيديم اي التقيون ومنها انتسل الفريسيون والاسينيون وصادف وقتئذٍ هذا الانقسام امتداد الفلسفة اليونانية فتشعبت اليهود في آرائها الى فرق متعددة وطوائف شتى نذكر هنا شيئاً من اخبارها.

الفرقة الصاديكمية

(السَمرة) لما شرع سبي مملكة يهوذا في قيام الهيكل باورشليم بعد رجوعهِ من بابل كان سكان ارض اسرائيل المبعوثون في الاصل من مملكة اشور قد تخلَّصوا من العبادات الباطلة وارادوا ان يتفقوا مع اليهود على بناء ذلك الهيكل فلم يرضَ اليهود المذكورون بذلك فانقاد حينئذٍ سكان السامرة الى فرقة الصاديكيم التي سبقت الاشارة اليها ولم يتمسكوا الاَّ باسفار موسى الخمسة فقط وهي المسماة بالتوراة ورفضوا كل ما عدا ذلك وبنوا هيكلاً على جبل جرزيم بقرب مدينة نابلس ومن ذلك الوقت ابتدأت العداوة بين الفئتين فلم تعامل احداهما الاخرى الى الآن مع انهُ لم يبقَ منهم الاَّ نحو مئة وخمسين نفساً منتظرين مجيء المسيح وفي كل سنة يصعدون الى راس الجبل المذكور ثلث مرات للعبادة مع ان هيكلهم لم يبقَ لهُ رسم. المرة الاولى تكون في عيد الفصح والثانية في عيد الخمسين والثالثة في عيد المظال ويذبحون في عيد الفصح سبعةَ حملان وباقي اخبارهم لا احتياج الى ذكرها هنا.

(الصدوقيون) زعم بعض علماء اليهود انهم تسمّوا ذلك نسبة الى رئيسهم صادوق الكاهن الذي كان سنة ٢٨٠ قبل الميلاد وقد انعكفوا على تعاليم ابيكوروس الفيلسوف اليوناني ويقال لهُ ابيقور ايضاً وقد مر ذكرهُ في المقالة الاولى ولم يقبلوا سوى اسفار موسى الخمسة كالسامريين فاعترفوا بوجود الله لكنهم انكروا قيامة الموتى ووجود الأرواح مطلقاً ملئكةً أو شياطين وخلود النفس.

الفرقة الخاسيديمية

(تنبيه) بعض اليهود ممن تشعب بينهم اخيراً على ما ذكرنا في ما مرَّ قد ضممناهم الى هذه الفرقة وربما لم يكن لهم اشتراك معها في النسبة، وانّما ذكروا في الانجيل وداموا الى ان قدِمت الجنود الرومانية وافتتحت اورشليم تحت راية طيطس قيصر واحرقت الهيكل وبددت الشعب اليهودي في اقطار الارض كما هوالآن على ما سوف ياتي في التتمة بعدهُ.

الفريسيون وهم اعظم طوائف اليهود واقدمها وتسميتهم هذه عبرانية تدل على معنى الافراز ويراد بذلك افرازهم عن الشعب باعتبار القداسة المنسوبة اليهم وقد اخذوا الرصانة التي كانوا يتصفون بها عن زينون الفيلسوف رئيس فرقة الاسطوانيين واتبعوا راي كريسبوس احد تلامذة هذه الفرقة ايضاً في المقدر الاّ انهم كانوا يعتقدون بان ذلك لا ينافي حرية الجزء الاختياري وكان درسهم الخاص في الشريعة الموسوية واغلب علماءِ السنَّة والكتبة كانوا منهم وقد ازهرت هذه الفرقة على عهد اسكندر جانيوس المكابي الذي تولى المملكة في سنة ١٠٤ قبل الميلاد.

.والكتبة ويقال لهم الناموسيون ايضاً لم يكونوا من قبيلة مخصوصة ولكنهم كانوا ينسخون الكتب المقدسة ويميلون الى مطالعة العلوم والفنون ويفسّرون الشريعة ويهذبون الشعب وهم يوافقون الفريسيين في الديانة.

والإسينيون الذين قاموا سنة ٢٠٠ قبل الميلاد وهم فرع من الفريسيين لكنهم كانوا اضيق عيشةً منهم وينسبون الى الفيثاغورسيين او الى الكينيكيين (ولعلهم الكلبيون) قال بعضهم والثاني اصح لانهم بعد ان جردوا ذلك التعليم من بعض تلك العيشة الصارمة والقساوة التي كانوا يوبخون بها عيوب العامة ابتعدوا عن ذلك النوع الوخم من تلك العيشة التي كانت من تعليم الفلسفة الكينيكية واعتادوا ان يكرروا الغسل والنظافة كل يوم وكان لهم من عوائد الفيثاغورسيين حب الصمت والوحدة وكانوا يميزون انفسهم عن عامتهم بنوع من العيشة والاستيكية عدا اجتهادهم بدرس الأدب وان لهم همّة واجتهاد غريب بدرس علم الطب وتعليمهِ والفحص عن القوة المولدة للحشائش والجمادات وكان بعضهم يسكن في المدن وبعضهم يتنزهون في القفار ولا يحضرون الى الهيكل ليقربوا ذبائحهم ويسجدوا فيهِ لان اماكنهم كانت بعيدة وكانوا يؤمنون بالسعادة بعد الموت ولكنهم مرتابون في القيامة وكانوا يمنعون غالباً عن الزواج ويتبنون

بني الفقراءِ ليهذبوهم في قواعدهم واذا اراد احد ان يدخل بينهم يمتحنونهُ ثلث سنين فاذا قبلوهُ يلزم ان يجزم على نفسهِ بعبادة الله واستعمال العدل ولا يخفي شيئاً من اسرارهِ عن الجمعية ولا يظهر شيئاً منها للغير ولو تحت القتل وكانوا يحتقرون الاموال ويشتركون في امتعتهم وياكلون معاً ويكثرون التقشف ويلبسون ملابس بسيطة وكانوا مشهورين بالكد والاحسان الى الفقراء والخضوع للحكام والصدق ولا ينطقون بقسم الاَّ عند دخولهم في هذه الجمعية وكانت نعم ولا تغنيان عندهم عن اليمين. ويقال ان القديس يوحنا المعمدان نبغ بينهم.

والهيروديون وهم طائفة سياسية بين اليهود لا ديانية وقيل انهم كانوا يستعملون كثيراً من عوائد الوثنيين لكي يتعطف بهم هيرودس والرومانيين .

والجليليون وهم طائفة ديانية وسياسية معاً وقائدهم الاول كان يهوذا الجليلي ظهر سنة ١١ بعد الميلاد وخالف امر اوغستوس قيصر في اكتتاب اليهود وكان يقول لتابعيهِ ان اليهود ليس لهم ملك غير الله.

والليبرتيون ويظن انهم من اليهود او من المتهودين من الامم الذين تمتعوا بحقوق الرومانيين وقيل انهُ كان لهم مجمع مختص بهم في اورشليم.

تتمة

ثم بعد ان افتتح طيطس القيصر الروماني اورشليم واشعلت العساكر الرومانية النار في ذلك الهيكل العظيم وهدمتهُ الى اساساتهِ تفرق اليهود على ما ذكرنا وبطلت الذبائح والمحرقات وتلاشى ذكر الكهنوت وكان ذلك بعد سبي بابل بأربع مئة وتسعين سنة وبعد ميلاد المسيح بواحد وسبعين سنة وكان اعلن الله الى دانيال النبي بقولهِ لهُ في الاصحاح التاسع من نبوتهِ وهو وقتئذٍ في سبي بابل. سبعون اسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين. فاعلم وافهم انهُ من خروج الأمر لتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة. وبعد اثنين وستين اسبوعاً يقطع المسيح وليس لهُ شعب. وشعبُ رئيسٍ آتٍ يخرب المدينة والقدس وانتهاؤُهُ بغمارة والى النهاية حرب وخرب قضي بها. ويبت عهداً مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة

والتقدمة الخ ومن راجع تاريخ صدور امر ارتحششتا الطويل ملك فارس بارسال عزرا الكاهن الى اورشليم مع الكهنة واللاويين سنة ٥٤٧ قبل الميلاد ومباشرة عزرا اصلاح احوال اليهود وما فعلهُ نحميا باعادة بناءِ اورشليم واضاف هذه المدة الى مدة حياة المسيح على الارض منذ ميلادهِ الى حين صلبهِ وهي ثلاث وثلاثون سنة يجد في تكميل الاربع مئة وتسعين سنة مطابقة تامة لما أُعلن الى دانيال النبي المشار اليهِ وهناك تقسيمات اخرى الى هذا الزمان وكلام للمسيحيين في ذلك لا محل لهُ هنا وانما نهاية ما يقال ان اختلاف الاراء بين اليهود في تفاسير ايات مثل هذه من كلام الانبياء تشير بحسب رموزها وكناياتها الى مجيء مسيح مخلص اوجب انقسام هذه الامة الى قسمين وذلك منذ ظهور المسيح يسوع الناصري قبل هذا الخراب الاخير بمدة نحو احدى واربعين سنة حيث اتبعهُ قسم ليس بقليل من ارض اليهودية اما القسم الاعظم والاكبر فانكرهُ ورفض تعاليمه بل سلمهُ باتفاقٍ بين رؤساءِ الكهنة ووجوه الأمَّة الى بيلاطس البنطي القائد الروماني الذي كان يحكم اورشليم وقتئذ من قِبَل الرومانيين فصلبهُ اثناءَ الفصح اليهودي بعد ظهور دعوتهِ بثلاث سنين وكسور.

ثم ان الذين اعترفوا بانهُ هو المسيح المنتظر الذي وعد الله بهِ بلسان الانبياء المشار اليهم فقد تسمّوا اولاً بالمسيحيين نسبةً الى معلمهم الذي اتبعوهُ وقيل لهم نصارى ايضاً نسبةً الى مدينة الناصرة التي كان تربى فيها وكان المنكرون عليهِ يسمونهم شيعة او هراتقة وهم في سائر معتقداتهم من جهة العهد العتيق لا يفرقون عن الفرقة الثانية المنكرة بشيءٍ اصلاً بل هم يحافظون على الكتب المدونة فيهِ باقسامها حق المحافظة بدون ادنى تغيير ولا في حرفٍ واحدٍ منها ويبنون كل ديانتهم على الكتب المذكورة التي يعتبرونها الاساس الوحيد لايمانهم. ويرون بان المسيح لم يأتِ مبطلاً أو ناسخاً لهذه الديانة وانما هو متممٌ لها اذ انها وُضعت وقتية مؤجّلة الى زمن مجيء المسيح المخلص فيكون ما جاء فيها من الطقوس التي ترمز عنهُ وتشير اليهِ قد كفَّت لمجيء المرموز نفسهِ ولذلك لا يلتزمون بحفظ شيءٍ منها الاَّ ما استثنتهُ التعاليم الانجيلية كالامتناع عن اكل الدم والمخنوق واما ما عدا هذا القسم الطقسي من سائر اقسام العهد العتيق سواءٌ كان تاريخيًّا او نبويًّا فهم ملتزمون بتصديقهِ ومتابعتهِ بالتمام وما كان متفرقاً من الاوامر والنواهي الادبية فقسمٌ من المسيحيين وهو جماعة التقليديين يرون بانهم لا يلتزمون بحفظ شيءٍ منها الاَّ ما ثبتهُ الانجيل وقسم منهم وهو الانجيليون يرون بانهم ملتزمون بحفظها جميعها الاَّ ما نهى عنهُ الانجيل وكلاهما يرجعان الى الاتفاق على العتق من سنن الطقوس الرمزية فقط والخلاف

في مسائل طفيفة تتعلق في الآداب والسياسة ويمتاز هذا القسم المؤمن بالمسيح عن القسم الذي انكرهُ بعدة امور جوهرية وهي :

اولاً ان الله الموحد بالذات هو ذو ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس وانهُ اله لكل مخلوقاتهِ اجمعين وليس لشعب اليهود فقط.

ثانياً ان المسيح هو الاقنوم الثاني اي الابن فهو اله وانسان معاً وليس هو انساناً مجرداً فقط كما يظنهُ اليهود ولذلك كان ملكهُ روحيًّا ابديًّا لا جسديًّا وخلاصهُ متعلق بالنفس وليس بالعتق من الاحكام العالمية الاجنبية.

ثالثاً العتق من لعنات الناموس الموسوي بواسطة هذا المخلص فان المومنين بهِ يقدرون ان يتبرَّروا من كل ما لم يقدروا ان يتبرروا منهُ بناموس موسى.

رابعاً الاعتقاد التام بالقيامة الاخيرة ودينونة الاحياء والاموات العامة والحياة الابدية الخالدة للذين فعلوا الصالحات في فردوس النعيم وللذين فعلوا السيآت في جهنم النار التي لا تُطفأ.

ثم باقي ما يمتازون بهِ من التعاليم سوف يستبين ايضاً في ما يأتي عند الكلام على هذه الديانة المسيحية.

واما الذين انكروهُ ولم يريدوا ان يؤمنوا بهِ فهم البقية التي بقيت من اليهود وتفرقت بعد فتوح اورشليم وخراب ذلك الهيكل العظيم على ما ذُكر في ما مرَّ وكان بقي لهم مدرسة في طبرية وهي مدينة كان بناها هيرودس الملك على اسم طيباريوس قيصر وكان من معلميها حاخامُ يقال لهُ يهوذا جمع تمليدات اليهود في كتابٍ سماهُ المَشنَّة وذلك بين سنة ١٩٠ وسنة ٢٢٠ بعد الميلاد وفي هذه المدرسة وُضعت ايضاً الحركات المستعملة الآن في اللغة العبرانية وضُبطت اسفار العهد العتيق.

ثم ان ما اضافهُ كتبة اليهود وربيّتهم وحكماؤهم الى كتب العهد العتيق من الشروح الكثيرة والتفاسير العديدة سُمّي مجموعها التلمود وهو مؤلفات مؤلّفين كثيرين في اعصار مختلفة ومجموعها يبلغ عشرين مجلداً كبيراً بين متون وشروح قال بعض المؤلفين ممن يُوثق بمعارفهم وصدقهم ان في هذا المجمع اقوال حكم وتعاليم جيدة صالحة غير انهُ مشحون حكايات وخرافات تفسد ما فيهِ من الصلاح والنفع ذكر بعضها فقال :

منها ما رواهُ بعض حكمائهم عن طيرٍ يسمونهُ باريهني انهُ طير عظيم الحجم لم يبقَ منهُ على الارض الاَّ بعض افرادهِ اذا بسط جناحيهِ تخسف الشمس خسوفاً تامًّا ومرةً سقطت بيضةٌ من عشهِ فكسرت ثلاث مئة شجرة من شجر الارز وغرقت ستين ضيعة.

وان رجلاً اسمهُ ربًّا حفيد حنا رأى ضفدعة على حجم ضيعة فيها ستون بيتاً فجاءَت حيَّة وبلعت الضفدعة ثم جاءَ غراب واكل الحية والضفدعة مثل ما تُبلع حبة عنب وطار وحطَّ على شجرة قال الرِّبي يابا بن صموئيل لو لم اشاهد ذلك بنفسي لما صدَّقت.

اما لوياثان فيقول فيهِ ان الله خلقهُ في البداءَة ذكراً وانثى وكانا على عظمةٍ هائلة فلو تُركا يلدان ذريةً لافسدت العالم كافةً في مدة وجيزة فاعدم الله الذكر قوة التناسل وقتل الانثى وملح جثتها حفظاً لها الى وليمة المسيح في الايام الاخيرة. قال الرِّبي سفراً كنت مرةً في سفينةٍ فرأيت سمكةً رفعت رأسها فوق سطح الماء ولها قرون وعلى القرون كتابةٌ تقول انا اصغر خلق الله في البحر. وكان طولها ثلاث مئة فرسخ فبلعها لوياثان دفعةً واحدة وبعض الربية الذين كانوا معي خافوا من انارة البحر نوراً مثل نور الشمس ولما نظرنا رأينا انهُ نور عيني لوياثان.

اما بهيموت فخلقهُ الله على عظمةٍ هائلة ايضاً فخيف افساد العالم بهِ اذا كثر فقطع الله عنهُ قوة التوليد وحفظ الموجود منهُ حتى يسمّنهُ لاجل وليمة اسرائيل في ايام المسيح وقول الزبور في مزمور (٥٠ : ١٠) والبهائِم على الجبال الالوف معناهُ بالبهائِم بهيموت اي انهُ في يومٍ واحد ياكل العشب على الف جبل فلو انتقل من مكانهِ لأكل كل عشب الدنيا في برهةٍ يسيرة ولكنَّه يثبت في مكانٍ واحد وينام ليلاً وكل صباح يجد عشباً جديداً نبت حولهُ عوضاً عما اكلهُ بالامس واما شربهُ فيشرب في يومٍ واحد من الماء ما يعدل ماء الاردن في ستة اشهر واذا عطش يشرب مضاعف ذلك وقال واحد من الحكماء انهُ يشرب من نهر خارج من جنة عدن اسمهُ يوال.

أُعترض على واحدٍ من حكماء اليهود بان امتهم قد تبددت وتلاشت دولتهم وقد قال يعقوب (تكوين ٤٩ : ١٠) لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشترع من بين رجليهِ حتى يأتي شيلون اي المسيح فيكون المسيح قد اتى والاَّ فلا يصدق قول يعقوب رئيس الاسباط فقال كلاَّ. ما زال القضيب من يهوذا ولنا مملكة كبيرة حاكم عليها نسل داود وسليمان وفيها خمسون مدينة ومئتا ضيعة وخمسون قلعة وقصبة المملكة اسمها ثناي وهي منيعة جدًّا ويزرعون ويحصدون فيها لان طولها وعرضها خمسة عشر ميلاً وهناك قصر سليمان وهو جميلٌ الى الغاية وفيها بساتين وكروم ومن مدنها تليما سكانها مئة الف يهودي ذهب الى هناك الاسباط العشرة الذين سباهم شلمناصر ملك اشور وبينها وبين البلاد المعمورة بادية قفراءُ ومفازة خالية لا تُقطَع باقل من ثمانية عشر يوماً فلا سبيل للوصول اليها وليهود هذه المملكة حاكم عليهم رئيس اسمهُ الحاخام يوسف همقلة فترى انهُ لم تزل لليهود مملكة وقضيب واذ ذاك فلم يأتِ المسيح بعد.

ويقولون بوجود نهرٍ سُمي نهر السبت يجري ستة ايامٍ ويقطع في السابع وهو محيط بالمملكة المذكورة ويكون في الستة ايام عميقاً سريع الجريان لا يستطيع احد ان يقطعهُ وفي السابع يجف تماماً. واليهود لا يسافرون يوم السبت وقال الربي مردخاي يوسف كان عند بعضهم قدح من رملهِ وكان هذا الرمل لا يهدا ستة ايامٍ ويسكن في اليوم السابع.

اما عوج ملك باشان فيقولون انهُ وُلد قبل الطوفان ونجا منهُ وقد وقع خلاف بين الحكماءِ في كيفية ذلك فمنهم من قال انهُ من زيادة طولهِ مشى بجانب الفلك حتى رجعت المياه عن الارض ومنهم من يقول انهُ ركب على السفينة مثل ما يركب الرجل على الفرس وكان نوح كل يوم يقوتهُ وانكر ذلك بعضهم بسبب شدة شهوتهِ للطعام لانهُ مرةً لما اضافهُ نوح اكل الف ثور والف من الطيور البرية ثم صار خادم ابرهيم تحت اسم اليعازر وطول قدمهِ اربعون ميلاً وقامتهُ بالنسبة الى ذلك ومع هذا كان جباناً وذات يوم زجرهُ ابرهيم فمن شدة خوفهِ ورجفانهِ سقط سنٌّ من اسنانهِ فاخذ ابرهيم السنّ وصنع منهُ سريراً كان ينام عليهِ من ذلك اليوم فصاعداً ومنهم من قال صنع منهُ كرسيًّا انتهى.

واخبرني بعض اليهود بان موسى النبي كان طولهُ ثلثة اذرع وطول عصاهُ ثلثة اذرع وقفز عن الارض ثلثة اذرع ليضرب عوج هذا فاصاب كاحلٍ قدمهِ مع ان طول سرير هذا الرجل مذكور في سفر التثنية (٣ : ١١).

وسمعت من بعض ذوي الاطلاع ايضاً ان بين ابحاث هذا التلمود توجد مقالات طويلة في هل يجوز قتل البرغوث او القملة مثلاً في يوم السبت ام لا. اما وضع المحرمة في العبّ فهو حرام قطعاً وكذلك حمل الساعة ايضاً لانهُ يُعَدُ حملاً والحمل ممنوع في ذلك اليوم وانما يجوز لفّ المحرمة على الحقوين كالزنار وربط الساعة معلقة في العنق فيكون ذلك حينئذٍ وضعاً او ملبوساً لا حملاً وهو جائز وان الله سبحانهُ نادم على خلقهِ الشمس افضل من القمر وانهُ يبكي ويسب نفسهُ على ما قاصَّ بهِ اليهود من هذا الخراب والشتات.

وذُكر في بعض النشرات عن انعقاد مجامع دينية لهذا الشعب في عصرنا هذا ايضاً وان الاول منها التام في مدينة ليبسيك بالمانيا في ٢٨ حزيران سنة ١٨٦٩ وقد حضرَهُ وكلاء من جرمانيا والنمسا والمجر والفلاخ والبغدان والبلجيك وانكلترا وجزائر الهند الغربية واميركا الشمالية ودام الاجتماع نحو اسبوعين قر فيها الراي ببعض القضايا المهمة ومن جملتها تقدم اربعة تقارير عمومية وهي. اولاً ان هذا المجمع حسب تعاليم موسى

والانبياء وبناء على واجبات وعوائد الهيئة الاجتماعية السلطان السياسي بحسب الديانة اليهودية مناسبة وموافقة لمبادي محبة البشر ومساواة كل الناس شرعاً وللحرية التامة لجميع الناس من جهة الانكار والاعتقادات الدينية. ثانياً ان دوام الديانة اليهودية متعلق على تثبيت هذه المبادي. ثالثاً ان سلامة وراحة جميع الاديان متعلقة على استعمال الاسلحة الروحية فقط في الجهاد لاجل الحق. رابعاً ان غاية الديانة اليهودية هي القرار بهذه المبادي وانتشارها انتهى.

قال الناقل ان هذه الديانة حيث قد اصبحت في ايامنا بلا هيكل وبلا كاهن وبلا ذبيحة عن الخطية ليس فيها طريق للخلاص ولا تعزية في الحياة الحاضرة او المستقبلة لانها رفضت الذبائح الموسوية وذبيحة المسيح معاً فقد صارت كجمعية خيرية عمومية فقط قصدها الراحة الخارجية الجسدية والحرية العقلية لكل الناس.

اما مجمع حاخامي اليهود الذي التأم في مدينة فيلادلفيا باميركا ايضاً فقد قر قرارهُ بابطال استعمال اللغة العبرانية في طقس العبادة لكونها لغة غير مفهومة ورفضوا ايضاً تعليم قيامة الاجساد وصرحوا بان الكهنوت الموسوي قد مضى ولم يبقَ الآن سوى كهنوت شعب اسرائيل العمومي.

حاشية

لم يكن القصد مما ذكرناهُ هنا اخيراً من النبذات التلمودية التنديد بعيوب طرأت على ديانة اليهود الاَّ لنعرف بانهُ متى شاركت فلسفة البشر واحكامهم العقلية ترتيب الديانة لاجل توفيقها مع مزعومات الناس يدخلها من الفساد والخرافات ما يقرب من بدع الجاهلية ولو مهما كانت مبنيةً على اساس متين موضوع من الله سبحانهُ كهذه الديانة التي لا ريب عند عموم اهل الكتاب في صحة مبادئها اذ انهُ فضلاً عما اوردناهُ من مطابقة اعتقاد المسيحيين على اعتقاد اليهود بما يختص في اعتبار العهد العتيق حرفاً بحرف نجد الديانة الاسلامية ايضاً تعترف برسالة مشترع هذه الديانة وتعتبرهُ من اولي العزم ومن راجع القرآن يجد سفر التكوين مندرجاً فيهِ في عدة من السور بالتفريق يقرب ان يكون تامًّا ولئن كان يوجد قليل من التغيير في بعض اجزائِهِ ولا يخفى ما في هذا السفر من الاهمية لاتفاق اهل الكتاب في ابداع المخلوقات وتوزيع الجنس البشري على سطح الارض وامور اخرى كثيرة من المبادي الضرورية للمعتقدات الدينية. فان في سورة الاعراف وسورة يونس وسورة هود وسورة السجدة تجد ان الله خلق

السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش. وفي سورة البقرة وسورة الاعراف ان الله علّم آدم الاسماء وتجد حكاية نهي الله آدم وزوجتهُ عن الاكل من الشجرة وما فعلهُ الشيطان باغرائهما على الاكل منها وانكشاف عريهما بعد ان اكلا وخصفهما من ورق الجنة للتستر ومناداة الله لهما بعد ذلك ثم هبوطهما الى الارض. وفي سورة المائدة حكاية قتل قايين اخاهُ هابيل من اجل القرابين. وفي سورة الاعراف ويونس والمومنين وهود قصة نوح ونجاتهُ من الطوفان بواسطة عملهِ الفلك وفي سورة العنكبوت اشارة الى حياة نوح بانها كانت (٩٥٠) سنةً وفي سورة هود وسورة الذاريات قصة الضيوف الذين زاروا ابرهيم وذبحهُ لهم عجلاً سميناً وفيها وفي سورة هود تبشير الله ابرهيم بابنهِ اسحق من زوجتهِ سارة وفيهما وفي سورة الاعراف وسورة العنكبوت وسورة الحجر قصة لوط ونجاتهُ دون امرأتهِ وهلاك القرية التي كان فيها بما أُمطر عليها وفي سورة الصافات اشارة الى تقديم ابرهيم ابنهُ قرباناً لله وافتدائهِ بالكبش وفي سورة يوسف قصة يوسف والاحلام التي رآها وما جرى لهُ من اخوتهِ وبعد نزولهِ الى مصر ايضاً من امرأة مولاهُ وحبسهُ وتفسيرهُ الاحلام وارتقاؤهُ الى المنزلة التي صار اليها ونزول ابيهِ يعقوب الى مصر ايضاً وفي سورة البقرة صدور امر فرعون بتغريق الصبيان من بني اسرائيل واستبقاء البنات وفي سورة طه كيفية ولودة موسى ووضعهُ في التابوت والقائهِ في النهر واخراجهِ منهُ واعادتهِ الى امهِ لترضيعهِ وفي سورة القصص ما جرى لهُ بسبب قتلهِ ذلك المصري وهربهِ الى مدين وزواجهِ فيها وظهور النار لهُ في الطور ومناداة الله لهُ من الشجرة وفيها وفي سورة الاعراف ارسالهُ الى فرعون وعملهُ الآيات وفي سورة الاعراف وسورة طه كيفية تلك الآيات التي عملها بحضرة فرعون والضربات التي ضرب الله بها المصريين وفي سورة البقرة وسورة يونس وسورة الشعراء قصّة غرق فرعون في البحر ونجاة بني اسرائيل وفي سورة المائدة اقامة بني اسرائيل اربعين سنةً في البرية وفي سورة البقرة وسورة الاعراف حكاية تظليلهم بالغمام وانفجار الماء لهم من الصخر عندما ضربهُ موسى بعصاهُ وفي سورة الاعراف ايضاً وسورة يونس اعالتهم بالمن والسلوى. ويوجد غير ذلك كثيرٌ مما في الاسفار الباقية غير سفر التكوين المذكور كما في سورة الاعراف مما ذُكر في سفر الخروج عن صعود موسى الى الجبل واعطاءِ الله لهُ الالواح ثم كسرهِ اياها بعد نزولهِ عندما رأى بني اسرائيل عبدوا العجل في غيبتهِ وتجديدها بعد ان سكن غضبهُ. ومما ورد في غير سفر الخروج ايضاً من السنن والاوامر والنواهي التي اقرها الدين الاسلامي كما في سورة المائدة من احكام القصاصات بمثل ذنب المذنب كالنفس بالنفس والعين بالعين الخ وما في سورة النساء من درجات القرابة المحرمة في الزواج وما في سورة آل عمران من اباحة الطلاق وعدم اقتراب

الحائض وعدد الشهود وتحريم الربا وفي سورة البقرة وسورة المائدة وسورة النحل من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير نعم انهُ يوجد في البعض مما ذكرناهُ اختلاف عما في نص التوراة لكنهُ قليل الاهمية كعدم التصريح باسم من اراد ابرهيم ان يقدمهُ ذبيحاً من ابنيهِ والخلاف في مراجعة الزوجة المطلقة بعد ان تتزوج بآخر وفي تحديد بعض انواع القصاص وفي اسماء بعض الانبياء والصراحة في امر القيامة وذكر النعيم والنار الى غير ذلك. وقد وصفت هذه الطائفة في القرآن بالعداوة الشديدة الى المسلمين كما هو مصرح في سورة المائدة وغيرها. وانها ابدلت التوراة وحرَّفتها كما ورد مثل ذلك عينهِ بحق النصارى من جهة الانجيل ايضاً.

الكلام على المسيحيين

قد ذكرنا في ما سبق من الكلام على اليهود ما امتازت بهِ الفرقة التي آمنت بالمسيح منهم من الاعتقادات التي من جملتها ان الله اله لكل الناس وليس لليهود فقط ولذلك لم تكن دائرة هذه الديانة ضيقة بحيث تنحصر في اهل بيتٍ واحدٍ كالديانة اليهودية المنحصرة في بيت اسرائيل بل هي تدعو كل الناس الى اعتناقها وبناءً عليهِ قد امتدت هذه الديانة وانتشرت في سائر اقطار الارض حتى ان عدد تابعيها الآن يبلغ نحو ٣٧٧ مليوناً من النفوس تنقسم الى ثلاثة فروع اصلية الاول الكنيسة الكاثوليكية ورئيسها بابا رومية. الثاني الكنيسة الارثوذكسية وهي الكنيسة اليونانية. الثالث الكنيسة الانجيلية وهي الكنيسة البروتستانتية. ولكلٍّ من هذه الفروع اقاليم متسعة في الارض يسود عليها وتقوم شوكتهُ فيها كما سوف ياتي الكلام على ذلك في محلهِ ويجمعهم في الاعتقاد دستور ايمانهم الملخص من الانجيل وهو هذا.

نؤمن بإلهٍ واحدٍ آبٍ ضابط الكل خالق السماءِ والارض كل ما يُرى وما لا يُرى.

وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر الذي بهِ كان كل شيءٍ الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس. وصُلب عنَّا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب. وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب. وايضاً ياتي بمجد ليدين الاحياءَ والاموات الذي لا فناءَ لملكهِ.

وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن يُسجَد لهُ ويُمجَّد الناطق بالانبياء

وبكنيسةٍ واحدة جامعة مقدسة رسولية

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

ونترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر العتيد آمين.

ولا خلاف بين هذه الفروع الثلاثة المذكورة في مضامين هذا الدستور سوى بين الكاثوليكيين والروم في قضية انبثاق الروح القدس فان الكاثوليكيين يقولون المنبثق من الآب والابن الذي هو مع الآب والابن يُسجد لهُ ويُمجد. واما الانجيليون فلا يتعرضون للمناكفة في شيءٍ من ذلك وانما يقولون ان اصل الدستور الذي الَّفه المجمع النيقاوي المسكوني هذا فحواهُ.

نومن بالهٍ واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض كل ما يُرى وما لا يُرى.

وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد. مساوٍ للآب في الجوهر. الذي بهِ كان كل شيء. الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتانس وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقُبر. وقام في اليوم الثالث. وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب. وايضاً يأتي بمجد عظيم ليدين الاحياء والاموات الذي لا فناء لملكهِ.

وبالروح القدس الرب المحيي الذي هو مع الآب والابن يُسجد لهُ ويمجد الناطق بالانبياء

ونترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر العتيد آمين.

وعلى كلتا الصورتين يكون هذا الدستور ملخصاً من الانجيل المسمى بالعهد الجديد كما سبقت الاشارة الى ذلك في الكلام على الكتاب المقدس.

ولما كان هذا الدين لا يدَّعي بانهُ جاء ناسخاً او مبطلاً للديانة الموسوية وانما هو تكملة لها بمجيءِ المسيح الموعود بهِ فيها من الله على الصورة التي يعتقدونها بمقتضى تفسير تلك الديانة المتعلقة بذلك في التوراة والانبياء خلافاً لما يظنهُ اليهود على ما اوضحناهُ في الكلام الذي سبق عليهم كان هذا العهد الجديد لا يتعرض الى وضع شرائع وقوانين سياسية غير ما ورد في العهد العتيق وانما يقتصر على الانباء باتمام ذلك الوعد المبني على نعمة الله المجانية للخطأة التائبين وعلى شعار الرحمة المقبولة عند الله اكثر من

المحرقات والذبائح فقط وعدد اسفارهِ سبعة وعشرون سفراً تنقسم الى ثلثة انواع ايضاً وهي تاريخية وتعليمية ونبوية.

اما التاريخية فتوخذ من الاناجيل الاربعة ومن اعمال الرسل والذين كتبوها هم متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وهي تخبر عن ازلية يسوع المسيح ولاهوتهِ وميلادهِ الزمني واتصال نسبهِ من جهة امهِ وخطيبها يوسف بداود ملك اسرائيل وماجرياتهِ كلها مدة ثلاثين سنة الى ان اعتمد من يوحنا في الاردن وابتدأ في الدعوة وعمل الآيات والعجائب كاخراج الشياطين واحياء الموتى وقيام المخلعين وتطهير البرص وتفتيح اعين العميان وآذان الصمّ واطلاق السنة الخرس وقيام المقعدين الى غير ذلك من سائر الامراض وتهدئة الرياح بكلمة واشباع الوف من الناس مرةً بخمسة ارغفة ومرةً اخرى بسبعة مع القليل من صغار السمك واعطائهِ السلطان بعمل مثل هذه الآيات لتلاميذهِ الذين اختارهم للانذار والتبشير بدعوتهِ ثم حنق اليهود عليهِ لكونهِ كان يقول ان الله ابوهُ ولعملهِ الآيات في ايام السبت وتسليمهم اياهُ الى بيلاطس البنطي القائد الروماني الذي كان يتولى اورشليم وقتئذٍ وامر هذا الوالي بصلبهِ بعد ان سلَّم تلاميذهُ (في ذات الليلة التي اسلمهُ فيها لليهود يهوذا الاسخريوطي احد تلاميذهِ) العشاء الرباني ثم قيامتهِ من بين الاموات في اليوم الثالث من دفنهِ وكان ذلك يوم الاحد الذي يتلو فصح اليهود وظهورهِ لتلاميذهِ ولنحو خمس مئة من المومنين بهِ وترددهِ على الارض بعد قيامتهِ مدة اربعين يوماً ثم صعودهِ الى السماء وحلول الروح القدس بعد صعودهِ بعشرة ايام على تلاميذهِ ومن العجيب انهُ اذ كان على الارض يعمل الآيات الباهرة لم يومن بهِ الاَّ القليل جدًّا وبعد صلبهِ وموتهِ هرع الناس الى الايمان بهِ وكان هو اخبر بهذا بقولهِ لليهود لكن متى رفعتم ابن الانسان تعلمون اني انا هو (اي المسيح) فان في ذلك اليوم الذي حل فيهِ الروح القدس كما ذكرنا خطب تلميذهُ بطرس خطاباً آمن بواسطتهِ من اليهود ثلثة آلاف رجل دفعةً واحدة ثم ينتهي هذا القسم التاريخي بالاخبار عن الحوادث التي جرت في الكنيسة وكيفية تصرف المسيحيين في ادارة تعيشهم الوقتية والآيات التي كان يعملها الرسل وترتيب الشمامسة وانتشار الانجيل ودخول رجل فريسي من قبيلة بنيامين اسمهُ شاول في الديانة المسيحية بواسطة اعلان ظهر لهُ عندما كان يخرب الكنيسة ويضطهد كل من يدعو باسم يسوع وسُمي اخيراً بولس وتكريسهِ ذاته لخدمة التبشير ودعوة الامم الذين فتح لهم بطرس باب الدخول الى الايمان بواسطة اعلان ظهر لهُ اذ كان في يافا اباح لهُ ان ياكل من كل دواب الارض والوحوش والزحافات وطيور السماء. فلا يقول عن انسانٍ ما انهُ دنس او نجس ولذلك ذهب الى كرنيليوس قائد المئة الذي كان في

مدينة قيصرية وقبلهُ هو واهل بيتهِ في الايمان. ثم ذهاب برنابا وبولس الى انطاكية وفيها سُمي التلاميذ مسيحيين كما ذكرنا سابقاً وتأسيس الكنائس في كل المحلات التي نادى فيها التلاميذ وخاصةً بولس. وما جرى فيها من المحاورات اليهودية بخصوص الختان وانعقاد مجمع الرسل في اورشليم لذلك وابطالهِ هذه السنَّة وحفظ الناموس الموسوي وان لا يمتنع المومنون الاَّ عما ذُبح للاصنام وعن الدم المخنوق والزنى. وما جرى لبولس بعد ذلك في رحلاتهِ الكثيرة وخصوصاً في رجوعِه الى اورشليم التي منها توجه مأسوراً ومقيداً الى رومية حيثما اقام فيها سنتين كاملتين مبشراً يدعو الناس الى الديانة المسيحية التي كان يضطهدها في ما سلف.

ولنأتِ الى القسم الثاني التعليمي فنقول انهُ لما كان السبب الوحيد لمجيء المسيح حسب تعليم الانجيل هو كون جميع الناس خطاة بحسب فساد طبيعتهم وليس احد يحيا ولا يخطي الاَّ واحد وهو الله والكل اعوزهم مجد الله وقد جاء هو ليس ليدعو ابراراً بل خطاةً الى التوبة فمع شدة اوامرهِ بحفظ وصايا الله العشر وتوسُّعهِ في تفاصيلها وتفرعاتها وكان من قواعد هذه الشريعة ان من زلَّ بواحدة منها فقد صار مديونا للشريعة كلها قد ابان لليهود الذين جاءُوا اليهِ بزانيةٍ ليجربوهُ في امرها حيث ان شريعة موسى تأمر برجمها ان من كان منهم بلا خطية فليرمها اولاً بحجر ولما انصرف الجميع حيثما بكتتهم ضمائرهم ولم يوجد بينهم من لا يوبخهُ ضميرهُ على معصيةٍ كما ذكرنا قال لها يسوع اذهبي ولا تعودي الى الخطية ايضاً وهكذا امر بعدم مقابلة الشر بالشر اذ يقول لتابعيهِ قد سمعتم ما قيل للاولين عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم احبوا اعداءَكم. باركوا لاعنيكم. احسنوا الى مبغضيكم. وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم. ومن ضربك على خدك الايمن حوّل لهُ الآخر. ومن سخرك ميلاً فامشِ معهُ اثنين ومن طلب ثوبك فلا تمنعهُ رداءَك ومن اخطأ اليك فاغفر لهُ الى سبعين مرة سبع مرات في اليوم. وان يحترزوا كل الاحتراز من الرياء ومحبة المجد الباطل اذ يأمرهم بان لا تكون صدقتهم ممزوجة بالفخفخة بل لا تعرف شمال المتصدق ما فعلت يمينهُ وان يفعلوا الخير مع كل الناس بدون استثناء فيطعمون الجياع ويسقون العطاش ويأوون الغرباء ويكسون العراة ويزورون المرضى والمحبوسين وهكذا تكون صلواتهم ايضاً ويداوموا على الطلبة من الله وتقديم الصلوات اليهِ بحيث تكون مختصرة وبلا تكرير كلام ومثل ذلك الصيام. وان لا يتعلق المومنون بهِ بحب المال ويوقفوا ذواتهم لجمعهِ وكنزهِ بل تكون كنوزهم في السماء ويتكلون على الله في امر معيشتهم ويصرفون اهتمامهم في ما هو لهُ ويحثهم على الاجتهاد بخدمتهِ ومضاعفة النعم الموهوبة لهم منهُ

اذ ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل ما يرضيهِ ويوافق ارادتهُ. وان خدمة الله تحتاج الى التجرد من الاهتمامات العالمية. وان من انكرهُ قدام الناس فينكرهُ هو ايضاً قدَّام الله. ويعلمهم ايضاً بان لا يدينوا احداً بل ينظروا الى عيوب انفسهم قبل ان يلاحظوا على غيرهم وان يعاملوا الناس بما يحبون ان يتعاملوا بهِ وان ما يدخل الفم لا ينجس الانسان وانما الذي يخرج من الفم ذلك ينجس الانسان وهو الافكار الشريرة والقتل والزنى والفسق والسرقة وشهادة الزور والتجديف وعلى هذا يقول بولس احد تلاميذهِ ايضاً ان لا يكون بين المومنين زانٍ او طماع او عابد وثن او شتام او سكير او خاطف لان الزناة وعبدة الاوثان والفاسقين والمأبونين ومضاجعي الذكور والسارقين والطماعين والسكيرين والشتامين والخاطفين لا يرثون ملكوت الله. وامر المسيح ايضاً بالطاعة الى الحكام واعطاء الجزية لهم وهكذا ايضاً علمت تلاميذهُ اذ يقول بولس كل نفسٍ فلتخضع للسلاطين ومن يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله. وامر ان لا يتزوج الرجل الاَّ بامرأة واحدة بقولهِ ان الله خلقهما في البدء ذكراً وانثى ومنع الطلاق لغير علة الزنا وكذلك تلاميذهُ علموا بخضوع النساء الى رجالهنَّ ومحبة الرجال نساءَهم وكيفية تهذيب الاولاد ومعاملة السادة الى العبيد وبالعكس. وعلَّم المسيح ايضا بامر القيامة وان هناك لا يزوِّجون ولا يُزوَّجون بل يكونون كملائكة الله في السماء وتلاميذهُ هكذا علموا بان ملكوت الله ليس هو اكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس وان الخلاص يكون بالايمان الحي المثمر بالاعمال الصالحة وليس بالايمان الميّت ويجب ان المعطي يعطي بسخاءٍ والمدبر باجتهاد والراحم فبسرور والمحبة تكون بلا رياءٍ وعلموا بكراهة الشر والالتصاق بالخير والمحبة الاخوية وان من لا يحب اخاهُ لا يحب الله ايضاً. وبوجوب تقديم الناس بعضهم بعضاً في الكرامة. فرحين في الرجاء صابرين في الضيق. مواظبين على الصلوة مشتركين في احتياجات القديسين عاكفين على اضافة الغرباء وفي ما ذكرناهُ كفاءَةٌ ولنختم ذلك بما امر بهِ تلاميذه ايضاً وهو صاعد الى السماء بعد قيامتهِ من بين الاموات ان يذهبوا الى العالم اجمع ويكرزوا بالانجيل للخليقة كلها ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدَن.

واما القسم الثالث النبوي فهو رؤيا يوحنا اللاهوتي احد الانجيليين ويُدعى باليونانية ابوكالبسيس نعم ان اسفار العهد الجديد التاريخية والتعليمية التي تقدم الكلام عليها تحتوي على نبوات شتّى وانما امتاز سفر الرؤيا بهذا الاسم لان النبوة هي موضوعهُ الخصوصي وسواءٌ كانت تلك او هذه ايضاً ليس لنا نحن حق ان نتكلم عليها باكثر

من انها موضوع مباحثات طويلة بين علماء الطوائف المسيحية على تفاوت طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ايضاً.

فصلٌ

في البدع التي ظهرت بين المسيحيين وسببت انعقاد المجامع وانقسام الكنائس

ومع انهُ لا يوجد خلاف في نص متون اسفار هذا الكتاب المترجم لحد الآن بنحو مئتي لغة بين فرق النصرانية من الطوائف التي ذكرناها الاَّ ان ما اختلفوا فيهِ من التفاسير التي عوَّلوا عليها اوجب صيرورة هذا الدين ايضاً عرضةً لآراءِ الناس ومجادلاتهم التي سببت ظهور البدع الآتي ذكرها التي ينوعها البعض الى خمسة اقسام متباينة الاول بدع الفلسفة الثاني بدع الاخلاق الثالث البدع المتعلقة بطبيعتي المسيح الرابع بدع المجادلة الخامس البدع الصورية او العادية ثم صارت هذه البدع سبباً الى انعقاد المجامع وتعاليم المجامع سبباً لانقسام الكنائس الحاضرة الى تقليدية وانجيلية وهاك اولاً تفاصيل هذه البدع.

(بدع الفلسفة) منها اولاً بدعة الغنوستكيين او الغنوسيين نسبةً الى غنوسيس وهي كلمة يونانية معناها المعرفة وكان ظهورها في عهد الرسل وكانت وقتئذٍ فلسفة المشرق الروحية ممتزجة بمذاهب فلاسفة اليونان المتعلقة بما يفوق الطبيعة فمزجت هذه الطائفة تلك التصورات باصول الدينِ حتى جعلوهما شيئاً واحداً فرفضوا شريعة موسى النبي وقالوا ان المسيح ليس هو الاَّ واسطة بين الله والناس ارسلهُ ليخلص الناس من تسلط الشيطان عليهم ويمنع تسلط المادة على الروح بحيث لا تتأثر منها. ومما زعموهُ ان الدنيا ليست من صنع الاله الاعلى وانما هي من صنع آلهةٍ ادنى اشرار. وان الشرور والقبائح انما تصدر عن المواد التي ليست من صنع الاله وملائكتهِ واستنبطوا من ذلك اموراً متناقضة فامتنع بعضهم من الزواج ومن سائر الحظوظ التي تميل اليها النفوسٍ واجتهدوا في اخراج الروح من الجسد بواسطة الصيام وتكليف النفس بالمشقات وتأثَّر البعض منهم بابقراط المصري فلم يتفكروا في شيءٍ من انواع تعذيب الاجسام لا بخيرٍ ولا بشر بل تركوا انفسهم وهواها فاقبلوا بكليتهم على ارتكاب ما لا يليق من الامور الذميمة.

وبعضهم دُعي دوسيتيين لانهم لم يقدروا ان يفهموا كيف ان شخصاً الهيًّا يمكنهُ الاتحاد بالحقيقة بشخص بشري ولذلك اعتقدوا بان جسد المسيح كان جسداً بالصورة فقط وانهُ تألم ومات بحسب الظاهر لا بالحقيقة.

وبعضهم دُعي كيرنثيين نسبةً الى كيرنثوس مؤسس هذه الفرقة على المبدأ الذي تأسست عليهِ بدعة الدوسيتيين المذكورة وهو عدم وجوب التصديق بما لا يقدرون على فهمهِ الاَّ انهم وصلوا الى نتيجةٍ مضادة لنتيجة اولئك اذ لم ينكروا على طبيعتهِ البشرية ولا بانهُ عمل حقيقةً كل ما ذُكر عنهُ في الاناجيل ولكنهم لم يقدروا ان يوفقوا ما حدث لهُ مع ما كانوا يتصورونهُ عن ابن الله ولذلك انكروا لاهوتهُ وزعموا ان المسيح الذي اعتبروهُ منبثقاً من اللاهوت نزل على الانسان يسوع عند معموديتهِ ودام معهُ الى وقت صلبهِ وحينئذ تركهُ ورجع الى السماء.

وبعضهم دُعي ابيونيين وهؤلاء كانوا يفرقون قليلاً عن الكيرنثيين المذكورين في آرائهم عن المسيح الاَّ انهم تمسكوا بالشريعة الموسوية ولكن رفضوا جزءًا من الاسفار المقدسة اذ انهم انكروا الاتفاق بين الاسفار المذكورة جميعها بعضها مع بعض. ويقال ان سيمون الساحر المذكور في اعمال الرسل كان ابا هذه الهرطقات المذكورة.

ولما ظهر ماني الفارسي في القرن الرابع بعد الميلاد وكان قد نشأ بين المجوس وعلى دينهم دخل في الدين المسيحي قاصداً افسادهُ وتغيير اصولهِ فزعم انهُ البارقليط نزل من السماء ليكمل الدين الذي زعم ان المسيح تركهُ ناقصاً ومن ثمَّ اخذ ينسب الى المسيح الافعال التي صدرت عن مترا الذي هو من معبودات الفرس ويفسر الانجيل بما تقتضيهِ عقائد الصابئين من الأصلين اللذين أحدهما المادة الشفافة اللطيفة وهي النور المستولي عليهِ اله الخير والثاني المادة الكثيفة وهي الظلمة التي استولى عليها اله الشر وان كلاً من هذين الالهين اثر تأثيرات من جنسهِ ونشرها في الدنيا فالاجسام البشرية ناشئة عن الاصل الردي والارواح ناشئة عن اصل الخير ولذلك كان بينهما الخلاف والتعاند الى ما لا نهاية لهُ وان من الحكمة ان الانسان يجب ان يقمع الشهوات وينقذ الروح من سجن الهيكل الجسماني ثم ان هذا المبتدع انتخب من الكتب المقدسة اصولاً ترك منها العهد العتيق وألَّف من الباقي كتاباً سماهُ ارتنغ اي الانجيل جعلهُ على وفق مرادهِ وجعل جماعتهُ فرقتين اي نصارى كاملين ونصارى مستمعين وان رئيس مذهبهِ يكون نائباً للمسيح وتحتهُ اثنا عشر رئيساً نيابةً عن الرسل واثنان وسبعون اسقفا عبارةً عن تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين وان القسوس والشمامسة يكونون من فرقة الكاملين.

(بدع الاخلاق) منها النقولاويون الذين ظهروا في القرن الاول بعد الميلاد ويقال بان قائدهم في ذلك كان نيقولاوس احد الشمامسة السبعة واصحاب هذا المذهب كانوا يقربون الذبائح للاوثان ويتمرغون في اقبح الفواحش اذ انهم زعموا بان كلٍ من عرف الله والمسيح يخلص مهما كانت تصرفاتهُ لاعتقادهم بان المسيح اشترى لشعبهِ الحرية الكاملة من الشريعة كقانون لحياتهم ولذلك كانت موافقة الامم عندهم اولى من احتمال الاضطهاد والظاهر ان قواعد ديانتهم كانت مطابقة لديانة الغنوسيين التي مرَّ ذكرها وخلاصة الامر ان هذا المذهب افضى بالناس الى السقوط عن درجاتهم بحيث صاروا كالبهائِم وقطع ما بينهم من العلاقات والارتباطات حيث ابطل حق الملكية والاختصاص وجعل جميع الاشياء شيوعاً بينهم.

ومنها فرقة المونتانوسية نسبةً الى رئيسهم مونتانوس وهو من الفريجيين زعم انهُ بعث ليكمل للناس الآداب التي جاء بها المسيح فمنع الناس عن الحظوظ والزينة وتعلم الفنون والفلسفة وكانت هذه البدعة اضر على الدين المسيحي من بدعة النيقولاويين اذ قد اتبعها خلق كثيرون لِما رأوا فيها من شعار الزهد ومنهم ترتوليانوس الشهير بالفصاحة والتآليف الدينية.

ومنها الوليزيون والاوريجينيون الذين زادوا في التشديد والتضييق على المونتانوسيين حيث اعدوا انفسهم لأصعب انواع التعذيبات واشدّها ولم يقنعوا بقمع انفسهم عن شهواتها بل طمعوا في التخلص من سلطة الحواس بوسائط تنافي الطبيعة ولا ترضي الخالق.

(البدع المتعلقة بطبيعة المسيح) كان مصدرها الجدال والبحث بين المسيحيين القدماء في شان التثليث فمنهم من نفى الوهية الروح القدس كالمكدونيين اصحاب مكدونيوس والبنوماتوماكيين لكن تعاليمهم لم تنتشر انتشاراً يُخشى منهُ حيث ان اول مجمع عقدتهُ الاساقفة في القسطنطينية سنة ٣٨١م حكم ببطلان مذهبهم.

ومنهم من قال غير ذلك لان سبليوس الذي ظهر في القرن الثاني كان يقول بالاقانيم الثلاثة لكنهُ كان يرى ان في كل اقنومٍ خاصةً تنافي الالوهية.

واما نويتيوس رئيس المونرخية وبولس السمسياطي الذي ظهر بعدهُ فكانا يقولان بوحدانية الذات الالهية.

ثم ظهر اريوس بعد ذلك في اوائل القرن الرابع وانكر الوهية المسيح حيث قال انهُ ليس من ذات الله وانهُ مسبوق بالعدم ضرورةً لانهُ مولود وانهُ جائز الوجود وان

الحكمة في وجودهِ هي لكي يكون واسطةً لانقاذ العالم من الخطية فانعقد لذلك المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥م وحكم ببطلان مذهب هذا الشماس الاسكندري والَّف دستور الايمان الذي يجب على المسيحيين ان يتمسكوا بهِ وقد سبقت تفاصيلهُ في ما مرَّ.

ثم لما خطب احد القسوس في القسطنطينية يقال لهُ انستاسيوس خطبةً انكر فيها على تلقيب العذراء المباركة بوالدة الاله وقال انما هي ام المسيح تابعةً على ذلك البطريرك نسطوريوس فانعقد بهذا السبب المجمع في مدينة افسس بواسطة كيرللس بطريرك الاسكندرية وحكموا على النساطرة بالهرطقة اما اساقفة المشرق الذين كانوا في المجمع المذكور اجتمعوا ايضاً في افسس وحرموا كيرللس المذكور وكان ذلك في القرن الخامس.

ومن ثمَّ ظهر افتيخيوس في القرن المذكور واراد ان يقي ذاتهُ من آراء النساطرة المذكورين وكان رئيس دير فاخذ يعلم بان المسيح حين تجسد لم يكن لهُ الاَّ ذات واحدة وطبيعة واحدة وايَّد ذلك ثاودوسيوس الثاني قيصر القسطنطينية بمجمع عقدهُ في افسس سنة ٤٩٤م تحت رياسة ديسقوروس بطريرك الاسكندرية وتسمَّى مقلدوهُ منوفيزية لكن بعد ذلك بسنتين انعقد مجمع آخر في خلكيدونية وابطل هذا التعليم وقطع ديسقوروس من البطريركية وعلم بان للمسيح ذاتاً واحدة وطبيعتين طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية غير انهُ لما ظهر يعقوب البرادعي اسقف اورفة غيَّر بدعة المنوفيزية بصورة اخرى غير صورتها الاولى واخذ يجمع فروع هذا المذهب الى ان مات في سنة ٥٧٨م وبهِ تسمت تلك الطائفة باليعقوبية.

واراد هرقل قيصر القسطنطينية ان يرد طائفة المنوفيزية الى راي الكنيسة فكان ذلك سبباً في ظهور بدعة المنوتيلية حيث انهُ اتفق مع اثناسيوس البطريرك المنوفيزي بان هذا البطريرك يرد اصحابهُ حسب طلب القيصر بشرط ان يكون الاعتقاد العام بان المسيح من حين اتحد فيهِ اللاهوت والناسوت لم يبقَ لهُ الاَّ ارادة واحدةِ وتأْثير واحد ناشيءٌ عن تلك الارادة واستحسن ذلك سرجيوس بطريرك القسطنطينية وكورش بطريرك الاسكندرية واثناسيوس بطريرك انطاكية والباباهنريوس الاول اسقف رومية ولم يخالف في ذلك الاَّ صفرونيوس بطريرك اورشليم وعقد ضدهم مجمعاً في سنة ٦٣٤م ثم اجتمع مجمع آخر في القسطنطينية سنة ٦٨٠م وحرموا تلك الطائفة والبابا المذكور ايضاً.

(بدع المجادلة) منها البيلاجيون اصحاب بيلاجيوس البريطاني ورفيقهِ سلستيوس الارلندي وكانا كلاهما راهبين في رومية وقد رأيا ان مما يمنع السعادة الابدية القول

بسريان الخطية الجدّية الى نسل آدم والاعتقاد بان الانسان يحتاج الى تجديد القلب بنعمةٍ من الله تمنعهُ من الاقدام على الخطية وتقبل بهِ الى التوبة. ومن ثمَّ شرعا في ابطال هاتين العقيدتين وعلما الناس بان خطية آدم وحواء لا يؤاخذ بها احد من ذريتهما وان امتناع الانسان عن الخطية لا يتوقف على تلك النعمة وان الانسان موكول في الاعمال الى اختيارهِ فمن عمل صالحاً فلنفسهِ ومن اساء فعليها ثم لما انعقد لذلك مجمع قرطاجنة سنة ٤١٢م وابطل هذا المذهب ذهب بيلاجيوس المذكور الى الشرق واخذ في نشر مذهبهِ هناك واعانهُ على ذلك اسقف اورشليم لانهُ كان في السر على مذهب اوريجانوس وكان هذا المذهب موافقاً الى مذهب بيلاجيوس واخيراً تلاشى هذا المذهب بمجمع انعقد في افسس سنة ٤٣١م.

ثم لما تجاوز بعض اخصام المذهب المذكور الحد في منع عدم الاحتياج الى النعمة من الله قالوا بالقضاء والقدر لكن اندرس مذهبهم بانعقاد مجمع ارلس سنة ٤٧٢م ومجمع اساقفة ليون سنة ٤٧٣م.

ولنكتفِ بهذا القدر الذي ذكرناهُ من البدع اذ القصد ان تُعرف الاسباب الاصلية التي احوجت الى انعقاد المجامع العامَّة وغيرها وان جلّ ذلك كان لاجل ردّ البدع وايضاح حقائق تعاليم هذا الدين لكن لما لم يحصل المعوَّل فيها على هذا الامر فقط بل اخذت على نفسها وضع بعض قوانين وترتيبات واثبات بعض تقليدات كان يستعملها بعض الدخلاء بدون التفات الى نصّ الكتاب احتاج الامر اخيراً الى الانقسام الواقع والحالة هذه بين المسيحيين.

وهذه المجامع تُقسم بالنظر الى عدد اربابها ودرجاتهم وشوكتهم الى ثلاثة اقسام وهي مجامع عامَّة ويقال لها مسكونية ومجامع ملّية اي خاصة بطائفة دون غيرها ومجامع اقليمية أي خاصة باقليم مخصوص لكن مقاصد كلامنا لا تحتاج إلاَّ الى ذكر المجامع التي تُعتبر عامة سواءٌ صادق عليها الجميع أو انكر بعضهم على بعضها لما في ذلك من معرفة النتائج التي تولدت عنها وهي :

اولاً المجمع النيقاوي الملتئم سنة ٣٢٥م بامر قسطنطين الملك ضدًّا للاريوسيين وتثبيتاً للاهوت المسيح وفيهِ ترتَّب دستور الايمان كما سبقت الاشارة الى ذلك وعشرون قانوناً كذلك للنظام والضبط والربط في الدين اضاف اليها نصارى الغرب ستين قانوناً آخر اقرَّها بعضهم لكنهم لم يضعوا عليها علامة الصحة وكانت اعضاؤه (٢٥٠) او (٣١٨) اسقفاً اكثرهم من الشرق.

الثاني المجمع القسطنطيني المنعقد سنة ٣٨١م بامر ثيودوسيوس الملك ضد الابوليناريين وهم المكدونيون تثبيتاً للاهوت الروح القدس وبان المسيح ذو جسدٍ حقيقي ونفس حقيقية وانهُ اله تام وانسان تام وثبَّت دستور الايمان النيقاوي وزاد فيهِ لفظ الروح القدس المنبثق من الآب وكملهُ وكانت اعضاؤه (١٥٠) اسقفاً اكثرهم من الشرق وقد تذاكروا في من يجب تقديمهُ من كبار الاساقفة فانحط رأيهم على ان اسقف القسطنطينية اولى بذلك وانهُ أعظم الأساقفة بعد البابا. قال الرهبان البندكتيون ان المجمع الذي لم يكن اربابهُ الاَّ مئة وخمسين اسقفاً لا ينظم في سلك المجامع المسكونية الاَّ بعد ان اقرهُ جميع الكنائس.

الثالث المجمع الافسسي الملتئم سنة ٤٣١م بامر الملك ثيودوسيوس الثاني وكانت اعضاؤه نحو (٢٠٠) اسقف وكان انعقاده لاجل دحض تعليم نسطوريوس وبيلاجيوس وتمَّ ذلك تحت رياسة كيرللس بطريرك الاسكندرية قبل وصول الاساقفة الشرقيين الذين عند وصولهم اجتمعوا تحت رياسة يوحنا الإنطاكي وعزلوا كيرللس الاسكندري فارتفعت الدعوى الى الملك الذي ختم مع راي الاكثرين ضد نسطوريوس اما هذا المجمع فحكم بوجود اتحاد جوهري بين الطبيعتين في المسيح وبان الاله والانسان في المسيح هما واحد وبان مريم والدة الاله فرفض نسطوريوس ذلك.

ويوجد بين المجمع الثالث والرابع مجمع آخر يُدعى مجمع اللصوص التأم بامر الملك ثيودوسيوس المذكور الذي امر بانعقاد المجمع الثالث وكان التئامهُ في افسس وذلك في شهر آب سنة ٤٤٩م واعضاؤه (١٣٥) اسقفاً تحت رياسة ديسقوروس بطريرك الاسكندرية فحكموا بان المسيح ذو طبيعة واحدة وثبَّتوا تعليم افتيخيوس وبعد نهايتهِ ثار اوباشِ الرهبان على فلافيانوس بطريرك القسطنطينية وضربوهُ حتى مات.

الرابع المجمع الخلكيدوني المنعقد سنة ٤٥١م بامر الملك مرسيانوس وكانت اعضاؤه (٥٢٠) اسقفاً كلهم من اساقفة المشرق ما عدا اثنين كانوا من اساقفة افريقية واربعة من المغرب من طرف ليون وكان انعقادُه ضد ديسقوروس وافتيخيوس وتثبيتا للراي الذي حررهُ بتحرير البابا المذكور وهو ان الطبيعتين في المسيح غير ممتزجتين وغير منفصلتين وان المسيح هو واحد في طبيعتين وليس من طبيعتين ومن القوانين التي انحط رأيهم عليها تخصيص اسقف القسطنطينية بخصائص ومزايا اسقف رومية عينها.

الخامس المجمع القسطنطيني الثاني المنعقد سنة ٥٥٣م بامر الملك يوستيانوس ضد اوريجانوس وضد معلمي الطبيعةَ الواحدة ونتج من ذلك انفصال القبط والارمن واليعقوبيين عن الكنيسة الشرقية الملكية.

السادس المجمع القسطنطيني الثالث المنعقد سنة ٦٨٠م بامر الملك قسطنطين بوغوناتوس تثبيتاً لوجود مشيئتين في المسيح وحرموا البابا هنوريوس وستة بطاركة كانوا يؤيدون راي المنوتوليين وكان البابا المذكور في ذلك الوقت ميتاً.

وهناك مجمع آخر بين السادس والسابع التأم في القسطنطينية سنة ٦٩٢م يُدعى الخامس السادس لكونهِ ملحقاً للجمعين المذكورين تثبيتاً لمساواة سلطان القسطنطينية ورومية لكن الكنيسة الرومانية لم تقبلهُ وهو لم يزل موضوعاً للاختلاف بين الشرقيين والغربيين.

ومجمع ثانٍ بين السادس والسابع عُقد في القسطنطينية ايضاً بامر الملك قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤م وفيهِ جمهور عظيم من اساقفة الجهات المختلفة وفيهِ حرموا اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة والذخائر وطلب الشفاعة من العذراء المباركة في جميع الكنائس الشرقية وكان الملك ليون قبل قسطنطين المذكور يضاد الايقونات والتماثيل وكذلك ليون الرابع الذي خلفهُ وقسطنطين الرابع كانوا نظيرهُ لكن ايريني امهُ قتلتهُ وملكت عوضاً عنهُ ورجّعت الصور والذخائر. اما كنيسة رومية فما قبلت حكم هذا المجمع لكن مجمع جِنتيلي سنة ٧٦٧م ومجمع فرانكفورت سنة ٧٩٤م بامر ليون الخامس حكموا ضد الايقونات والصور والذخائر.

السابع المجمع النيقاوي الثاني المنعقد سنة ٧٨٧م بامر الملكة ايريني المذكورة واعضاؤه (٣٧٧) اسقفاً ضد مكسري الايقونات فقبلت رومية هذا المجمع الاّ ان فرانسا مكث اهاليها مدة طويلة ينكرونهُ وقد التأم ايضاً مجمع في انكلترا والفلمنك ضدهُ وذلك سنة ٧٩٤م.

الثامن المجمع الملتأم في القسطنطينية وهو في الحقيقة مجمعان متضادان اولهما اللاتيني الغربي المنعقد سنة ٨٦٩م وفيهِ تثبتت ثلاث عقائد اولاً كون الانبثاق من الآب والابن ثانياً ان كل دعوى تُرفع اخيراً الى رومية لاجل المحاكمة ثالثاً ان رومية تتسلط على ايليريا وبغدان وكان قبلهُ بسنتين حرم نقولا بابا رومية فوتيوس بطريرك القسطنطينية فعاد فوتيوس وحرم البابا نقولا المذكور.

اما المجمع الثاني فكان انعقادهُ في سنة ٨٧٩م وهو الشرقي اليوناني وفيهِ تثبت فوتيوس بطريرك القسطنطينية وحكم بان الانبثاق من الآب وحدهُ وتمَّ الانشقاق بين الشرق والغرب وصار كلٌّ من هذين المجمعين يُعتبر عند اصحابهِ كالمجمع الثامن المسكوني وكلٌّ منهما ثبت المجامع المسكونية السبعة التي قبلهُ.

وهنا ينبغي ان نذكر المجامع المعتبرة مسكونية اضافةً على ما ذُكر وذلك عند الكنيسة الغربية فقط ومن انقاد اليها من الطوائف الشرقية.

المجمع التاسع المنعقد في رومية سنة ١١٢٣م ويُدعى اللاتيراني الاول حيث كان انعقادهُ في كنيسة اللاتيران في رومية وفيهِ حكم بان سلطان تعيين الاساقفة ليس للحكام بل للبابا.

المجمع العاشر المنعقد في رومية ايضاً سنة ١١٣٩ ويُدعى اللاتيراني الثاني وكانت اعضاؤه (١٠٠٠) اسقف التأم لاجل ارجاع الاتحاد بين الكنيستين الغربية والشرقية وحرم الالبنجيسيين وارنولد البرشياني الايطالياني.

المجمع الحادي عشر وهو اللاتيراني الثالث المنعقد سنة ١١٧٩م لاجل اصلاح التأديب الكنائسي وفيهِ تثبت انتخاب الباباوات باصوات ثلثي عدد الكردينالية وفي هذا الوقت شاع تعليم الاستحالة ولكنهُ لم يُحكم بهِ حكماً مجمعيًّا

المجمع الثاني عشر وهو اللاتيراني الرابع انعقد سنة ١٢١٥م وفيهِ تجدد حرم الالبنجيسيين وتثبتت الاستحالة. والغفرانات. وسُمح باستئصال الهراطقة.

المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من اعمال فرانسا سنة ١٢٤٥م بامر البابا اينوسنت الرابع لاجل عزل فردريك ملك فرانسا وحرمهِ. وهذا المجمع لم تسلم كنيسة فرانسا حتى الآن بصحتهِ او بسلطانهِ مطلقاً. وبعض المؤلفين يدعونهُ اللاتيراني الخامس.

المجمع الرابع عشر التأم في ليون ايضاً سنة ١٢٧٤م وفيهِ صار البحث في امر الانبثاق وشرع في افتتاح باب لاتحاد الكنيستين الشرقية والغربية ولكن من دون نتيجة. وصدر امر بان رتب الرهبنة الشحاذية تكون اربعاً فقط وهي الدومينيكيون والفرانسيسكانيون والكرمليون والاريميون.

المجمع الخامس عشر انعقد في فيانا قصبة النمسا سنة ١٣١١م بامر البابا اكليمندوس الخامس بطلت فيهِ رتبة فرسان الهيكل.

وهناك ايضاً مجمع انعقد في فلورنسا قصبة التوسكانا احدى ممالك ايطاليا سنة ١٤٣٩م حضر فيهِ ثلاثون اكليريكيًّا من الشرقيين وقد اجتهدوا الاجتهاد الكلي في الاتحاد بين الشرق والغرب من دون نتيجة غير انهُ حصل انشقاق في الكنيسة الشرقية بين الارثوذكسيين والروم الكاثوليك وابتدأت ايضاً الارمن الكاثوليك والسريان الكاثوليك.

المجمع السادس عشر انعقد في كونستانس من سنة ١٤١٤ الى سنة ١٤١٨م وكانت

اعضاؤه (١٥٠) اسقفاً و(١٨٠٠) اكليريكي وكان انعقادهُ بطلب اساقفة فرانسا لاجل اصلاح حالة الباباوات فلم يُقبل منهُ في رومية الاَّ الجلسات الاخيرة واما في فرانسا فقد قبلت جلساتُه جميعها وهذا المجمع امر باحراق يوحنا هوس مصلح كنيسة بوهيميا ورفيقهِ جيروم فاحترق هوس في ٦ تموز سنة ١٤١٥م وجيروم في ٣٠ أيار سنة ١٤١٦م وحكم ايضاً بان الباباوات هم تحت اوامر المجامع وسلطانها وعزل البابا يوحنا الثاني والعشرين.

المجمع السابع عشر انعقد في باسيل سنة ١٤٣١م ودام الى سنة ١٤٣٩م وجلساتُه الاولى قبلت في رومية وعدتها خمسٌ وعشرون وفيهِ تأيَّد ايضاً سلطان المجامع على الباباوات.

المجمع الثامن عشر انعقد في رومية سنة ١٥١٢م ودام الى سنة ١٥١٨م بامر البابا يوليوس الثاني لاجل ابطال شرط الحرِّية التي انعقدت سنة ١٤٣٨م مع كنيسة فرانسا فلم يسلم بذلك اكليروس فرانسا.

المجمع التاسع عشر انعقد في تريدنتو ودام من سنة ١٥٤٢ الى سنة ١٥٦٣م وكانت مقاصدهُ ايضاح العقائد الرومانية والرد على الآراء البروتستانتية التي كان شرع بها وقتئذٍ مرتينوس لوثيروس.

وكان السبب الذي شدد عزم لوثيروس المذكور في ذلك بيع اوراق الغفرانات المخترعة في زمن البابا ليون العاشر الذي تولى الكرسي سنة ١٥١٣م وكانت تُباع في ويتمبرج مدينة كان لوثيروس المذكور مدرساً فيها عن يد راهب دومينيكي يُقال لهُ تنزل وهذه صورتها:

ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ويحلك باستحقاقات آلامِه الكلية القداسة وانا بالسلطان الرسولي المعطى لي احلك من جميع القصاصات والاحكام والطائلات الكنائسية التي استوجبتها وايضاً من جميع الافراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علةٍ ولئن كانت محفوظة لابينا الاقدس البابا والكرسي الرسولي وامحو جميع اقذار العجز وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة وارفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر واردك حديثاً الى الشركة في اسرار الكنيسة واقرنك في شركة القديسين واردك ثانيةً الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك حتى انهُ في ساعة الموت يُغلق امامك الباب الذي يدخل منهُ الخطاة الى محل العذابات والعقاب ويفتح الباب الذي يؤدي الى فردوس الفرح

وان لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الاخيرة... باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواخد آمين.

الاخ يوحنا تتزل قد امضى ذلك بيدهِ

وقد حُكي بان لوثيروس عندما كان يسمع اعترافات بعض الناس بذنوب باهظة ويفرض عليهم التكفيرات اللازمة بحسب قواعد التقليديين كانوا يأبون القيام بها بناءً على كونهم اشتروا بها رخصة عُفي بها عنهم ومن ثمَّ شرع اولاً في رفض هذه الاوراق ومضادتها وآل امرهُ اخيراً الى الاستدراج شيئاً فشيئاً لمقاومة كل تعاليم الكنيسة الرومانية وتقليداتها المنافية لروح الكتاب المقدس او التي لا يوجد لها فيهِ اساس تُبنى عليهِ.

المجمع العشرون المنعقد في رومية ١٨٦٩م ولا زال مفتوحاً لم تنتهِ جلساتهُ الى الآن وكان انعقادهُ بامر البابا بيوس التاسع بسعي الرهبان اليسوعيين والذي ظهر والحالة هذه من مقاصدهِ هو اثبات العصمة في الباباوات وقد نشأ عن ذلك انقسام في الطوائف الكاثوليكية ببلاد اوروبا والمشرق والذين خالفوا هذه العقيدة من اهالي اوروبا سموا ذواتهم بالكاثوليكيين القدماء ونهاية ذلك لم تزل مجهولة.

وحيث انهُ من فحوى اسباب انعقاد هذه المجامع تُعلم مبادي التعاليم التقليدية واسباب انقسام المسيحيين والحالة هذه الى تقليديين وانجيليين على ما ذكرنا فلا حاجة الى اطالة الشرح في الكلام على تفاصيل ذلك وانما نتكلم هنا بالاجمال على كلٍّ من هذين القسمين.

الكنائس التقليدية

تُقسم الى عدة فروع كاللاتينية واليونانية واليعقوبية من ارمن وقبط وسريان وطوائف أُخر من نسطورية وكلدانية وغير ذلك الاَّ ان الفروع المهمة التي تستحق الالتفات هي اثنان فقط وهما المذهب اللاتيني الكاثوليكي ومذهب الروم الارثوذكسي.

اما الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية فان رئيسها البابا الروماني وهو المستقل بسياستها ويتسلط ايضاً على الكنائس المنفصلة عن طوائفها الاصلية ومنقادة الى التعاليم الرومانية وتُسمى الكنيسة البطرسية ايضاً لكون اصحابها يعتقدون بان مؤسسها الاصلي هو بطرس الرسول ويرون انهُ اول تلاميذ المسيح ورئيسهم وانهُ راس الكنيسة المنظور والباباوات هم خلفاؤه ولما كان اكثر تسلط هذه الكنيسة على البلاد الغربية يُطلق عليها

عند الشرقيين اسم الكنيسة الغربية وهي تدَّعي بانها ام جميع الكنائس ومعلمتهنَّ وربما حقَّ لها ذلك لجهة التفاسير التي يُبنى عليها اصول التعاليم التقليدية ونظامات المجامع المذكورة هنا وترتيباتها هي ايضاً التي تأمر بها وتمتد شوكتها على الخصوص في بلاد ايطاليا والنمسا وله وباويرة وبلجيكا وفرانسا واسبانيا والبرتوغال وشعوبها منتشرة في سائر اقطار الارض ويبلغون نحو (١٩٠) مليوناً من النفوس.

واما الكنيسة اليونانية ويقال لها أيضاً كنيسة الروم الارثوذكسية أو الكنيسة الشرقية لما ان اكثر سلطانها هو في البلاد الشرقية فانها ولئن كانت تشترك مع الكنيسة اللاتينية في كثيرٍ من تلك التقليدات والتعاليم الاَّ انها تخالفها بكونها لا تعترف سوى بالمجامع السبعة الاولى فقط وتبني معتقداتها عليها وعلى اقوال الآباء القدماء كيوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير وغريغوريوس الثاولوغس وامثالهم من بطاركة المشرق. ولا تعترف لبابا رومية بالسيادة او بالترأس عليها وانما تتساهل بكون لهُ الرتبة الاولى والجلسة المتقدمة بين بطاركتها الاربعة فقط ويليهِ في الرتبة بطريركها القسطنطيني وترى ان لهُ من الحقوق والمزايا كل ما كان لبابا رومية حيث تقرر لهُ ذلك في المجمع الثاني والرابع على ما سبقت الاشارة اليهِ عند الكلام على المجامع المذكورة ولذلك يضيفون الى لقبهِ الذي هو رئيس اساقفة القسطنطينية لقباً آخر وهو البطريرك المسكوني وفي الحقيقة ليس هو الاَّ لقب تشريفي فقط وليس لهُ تسلط على غيرهِ من البطاركة والاساقفة المستقلة بوجهٍ قانوني اصلاً ويليهِ في الرتبة بطريرك الاسكندرية ثم بطريرك انطاكية ثم بطريرك اورشليم ثم المجمع الروسي او المسكوبي وبعدهُ عدة مجامع اسقفيات مستقلة اخرى كاسقفية اثينا واسقفية قبرس وغيرهما وكذلك تخالف هذه الكنيسة الكنيسة اللاتينية المذكورة بعدة امور غير السلطة البابا وية التي اشرنا اليها اعظمها الانكار على انبثاق الروح القدس من الابن والمطهر التي تعتقدهُ اللاتينية وعدم جواز التقديس على الفطير والانكار ايضاً على سعادة القديسين الكاملة وترى ان سعادتهم لا تكمل الاَّ بعد القيامة والدينونة الاخيرة وكذلك تلوم الكنيسة الغربية بمنعها الشعب عن مناولة الكاس في الافخاريستيا اما شوكتها فتمتد في بلاد روسيا واليونان والفلاخ والبغدان والسرب وكثير من جزائر بحر الروم وشعوبها منتشرة قريباً من انتشار الشعوب الرومانية واكثر منها جدًّا في بلاد الدولة العلية العثمانية ويبلغون جميعاً نحو (٩٠) مليوناً من النفوس.

الكنائس الانجيلية

تُقسَم هذه الكنائس الى ثلاثة فرق وهي لوترانية وكلوينية وانكليكانية الاَّ انهم جميعاً

متفقون في المعتقدات على مجرد ما في الكتاب المقدس فقط فلا يخضعون لشيء من التقاليد التي لا يوجد لها فيهِ رسم اصلاً، ولا الى اقوال احدٍ من الآباء او المجامع الاّ اذا كان موافقاً الى نصوصهِ لفظاً ومعنى. اما تفاسير الآيات الغامضة والتي لم يوضحها الوحي الالهي فلا يمارون احداً فيها الاّ اذا كان التفسير ينافي ما كان معناهُ واضحاً في غيرها من تعاليم الكتاب. وليس لكنائسهم من يترأس عليها رياسة عامة وانما تسوسها رعاتها الخصوصية فقط ولذلك امتازوا عن التقليديين بعدة امور اعظمها الانكار على الرياسة العامة المنظورة في الكنيسة وعدم التسليم باسرار غير المعمودية والعشاء الرباني. والانكار على الاستحالة والرهبانية. ،والصلاة الى القديسين وطلب شفاعتهم. واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس. والمطهر. والغفرانات. والصلوة لاجل الموتى. والتبرير بالاعمال الوفائية. والصلوة بلغةٍ غير مفهومة من السامعين وامثال ذلك مما تستعملهُ الكنائس التقليدية ولا توجد لهُ صراحة او دليل واضح في الكتب المُقدسة وشوكتهم ممتدة في جميع اجزاء القارَّة. فاللوتران في بلاد بروسيا والمانيا ودانيماركه واسوج. والكلوينيون في سويسرا وبعض بلاد المانيا وفي بلاد الفلمنك واميركا.والانكليكانيون في بلاد انكلترا وهم منتشرون في الارض كانتشار الروم تقريباً ويبلغون نحو (٩٠) مليوناً من النفوس.

فصلٌ

في انواع الفرق والشيع المسيحية الموجودة في القرن التاسع عشر

لا يخفى بان الكنائس الثلاث المذكورات في ما تقدم هنَّ والحالة هذه الاركان المعتبرة للديانة المسيحية في العالم الحاضر شرقاً وغرباً غير انهُ توجد فِرَق اخرى صغيرة لا يخلو بعضها من الاهمية منها ما هو متفرع من الكنيسة اليونانية ومنها ما هو متشعب من الكنيسة اللاتينية ومنها ما يُعزى الى الكنيسة الانجيلية كما يتضح ذلك من التفاصيل الآتية.

ان اصحاب البدع القديمة الذين قطعتهم الكنيسة اليونانية من شركتها بحكم المجامع على ما سبقت الاشارة اليهِ في ما تقدم واختلفوا عنها في العوائد والطقوس لم يزل حتى الآن يوجد منهم بقايا تُعتبَر نظير طوائف مستقلة في كنائس خصوصية غير انهُ قلَّما خلت طائفة من تلك الطوائف من شعبةٍ خرجت منها منذ اواسط الجيل الخامس عشر وما بعدهُ والتصقت بالكنيسة الرومانية لمجرد تسليمها برياسة الحبر الروماني واعترافها بسيادتهِ عليها مع الموافقة على بعض معتقداته. كالاعتقاد بطبيعتي المسيح وبانبثاق الروح

القدس من الابن وابقاء حريتها في ما عدا ذلك من الطقوس والعوائد والمعتقدات ولئن كانت مكروهة عندهُ ومن ثمَّ تميز ذاتها باضافة لقب الكاثوليكية على اسمها الاصلي كقولك قبط كاثوليك وارمن كاثوليك الخ. واما الطوائف الاصلية نفسها فيُطلِق عليها الروم واللاتين بل ونفس المنضمين منها الى الكنيسة الرومانية على ما تقدم اسم الهراطقة وهي والحالة هذه تُقسم الى نوعين.

النوع الاول موحدو الطبيعة ويختلفون عن الروم واللاتينيين وغيرهم من باقي الطوائف المسيحية في قضايا كثيرة بذات المعتقدات ولكن اسّ افتراقهم هو ما يتفقون بهِ مع ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلّو وغيرهم ممن يعتبرونهم مؤسسي شيعتهم بان طبيعتَي المسيح الالهية والانسانية قد اتحدتا اتحاداً عظيماً حتى صارتا طبيعةً واحدة فيرفضون المجمع الخلكيدوني ورسالة لاون الكبير الشهيرة ولكنهم لكي يتجنبوا ما يُظهر انهم تابعو اوتيخوس الذي ينكرون ان لهم معهُ خلطة يحدّدون معتقدهم بقولهم صراحةً ان طبيعة المسيح مع انها واحدة هي مركّبة ومزدوجة وينكرون امتزاج الطبيعتين والتباس احداهما بالاخرى ولذلك يقول بعض العلماء ان ذوي الطبيعة الواحدة يختلفون عن الروم واللاتينيين باللفظ اكثر من المعنى وهم غالباً اميُّون وعديمو العلم حتى انهم يدافعون عن تعاليمهم المتميزة بالعناد الاعمى وسلطان آبائهم اكثر مما يدافعون عنها بالبراهين العقلية.

ويُطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبةً الى يعقوب البرادعي الذي اعاد هذه الشيعة ورتبها في القرن السادس للتاريخ المسيحي بعد ان كادت تتلاشى ويقسمون ايضاً الى اسيين وافريقيين.

فراس الاسيين هو بطريرك السريان الذي يسكن غالباً في دير ماري حنانيا المسمَّى الآن دير الزعفران بالقرب من مدينة ماردين واحياناً يسكن في اميدامردا التي هي كرسي اسقفيتهِ او في حلب وغيرها من مدن سورية وبما انهُ لا يقدر وحدهُ ان يسوس جماعتهُ لكثرتها جعل لهُ شريكاً في السياسة لاجل ادارة الكنائس التي في ما وراء الدجلة يُدعى مفريان الشرق وكان يسكن سابقاً في مدينة تكريت على حدود ارمينية والآن يسكن في دير ماري متى قرب مدينة الموصل في ما بين النهرين وفي ايامنا هذه كل من تولى بطريركية هذه الجماعة يُسمى اغناتيوس وعدد الشعب نحو (١٧٠) الفاً منهم (٧٥٠٠) كاثوليك وكان لما خرج من هذه الطائفة المونوتليون الذين رفضوا القول بوحدة الطبيعة وسلموا مع الروم بان في المسيح طبيعتين ولكن ارادة واحدة فقط وحرم المجمع السادس المنعقد في سنة ٦٨٠م هذا القول وقع على اصحابهِ اضطهاد شديد ولم

يتَّق لهم مأمناً الاَّ بين المردة في جبل لبنان وفي سنة ٦٦٧م اشتهر القس يوحنا مارون قال القس السمعاني في المجلد الاول من كتابهِ صفحة (٤٩٩) ان اوجان وجميع الافرنج الذين بانطاكية حملوهُ الى الكردينال رسول الكرسي الروماني وساموهُ اسقفاً على البترون وتكفل بان يجلب الى ايمانهم اهل الجبل الاَّ الطائفة اليعقوبية والظاهر انهُ نجح في سعيهِ وصار لهُ حزب كبير وطائفة كثيرة العدد اجتلبها من اصحاب المشيئة الواحدة واليهِ انتسبت الطائفة المارونية التي لا زالت متوطنة في الجبل المذكور وكان اتحادها مع الكنيسة الرومانية في سنة ١١٨٢م ويبلغ عدد نفوسها الآن نحو (٢٢٠) الفاً ولها بطريرك يُلقَّب ببطريرك انطاكية يقيم في دير قنوبين وهو دير رهبان على قانون مار انطونيوس ومنذ يتولى البطريركية لا بدَّ من ان يضيف الى اسمِه اسم بطرس لان بطرس الرسول هو الذي اسس كنيسة انطاكية.

وراس الافريقيين هو بطريرك القبط المقيم غالباً في مصر ويقسمون الى اقباط اصليين وحبش فالاقباط هم القاطنون مصر وبلاد النوبة والاراضي المجاورة لها وعددهم نحو (١٥٠) الفاً بعضهم كاثوليك واما الحبش مع انهم اكثر من الاقباط عدداً وقوةً وارقى منهم حالاً بما ان ملكهم مسيحي فهم خاضعون لبطريرك القبط المذكور وهو يرسم لهم اسقفاً يسوسهم في الامور الدينية يخاطبونهُ بلفظ ابينا وعددهم نحو (٤) ملايين ونصف منهم نحو (٥٠) الفاً دخلوا في طاعة رومية سنة ١٨٥٩م.

ومع ان الارمن يعتقدون مثل ذوي الطبيعة الواحدة يختلفون عنهم في عوائد وآراء وطقوس كثيرة فلا شركة بينهم وبين اليعقوبيين المذكورين ويسوسهم (٣) بطاركة يترأس عليهم الذي يسوس كل ارمينية الكبرى والولايات المجاورة لها وتحت سلطانهِ (٤٢) رئيس اساقفة ويسكن ديراً في اشمياظين ويثبتهُ ملك الفرس ويليهِ البطريرك المسمى كاثوغيكوس ويسكن في مدينة سيس من كيليكية وتحت سلطانِه (١٢) اسقفاً وهو يسوس كنائسهُ التي في كبادوكية وكيليكية وقبرس وسورية وثالث البطاركة واصغرهم لهُ (٨ أو ٩) اساقفة ويسكن في جزيرة اغطمار في وسط بحيرة وان ويحسبهُ بقية الارمن عدو الكنيسة ويوجد لهم بطاركة آخرون لكنهم بالاسم فقط لا بالحقيقة والفعل كرئيس الاساقفة الذي يقيم في القسطنطينية لسياسة الكنائس المجاورة لاسيا واوروبا والذي يقيم في اورشليم والذي يسكن في كامينيك في بولندا الروسية وقد اتخذوا لقب البطريرك لكون راسهم وهو بطريرك اشمياظين المذكور قد اجازهم برسامة الاساقفة وتكريس الميرون وتوزيعهِ كل (٣) سنين بين كنائسهم وذلك من الامور التي لا تجيز الكنائس الشرقية ممارستها الاَّ للبطاركة وتبلغ شعوبهم الى (٣) ملايين من النفوس منهم نحو (٤٥)

الفاً خاضعين الى رومية ولهم بطريرك مخصوص وفي نواحي اشمياظين توجد (٤) قرايا كبيرة اتبع سكانها الكنيسة اليونانية ويسمونهم باقي الارمن هيهوروم وهم يقيمون صلواتهم حسب الطقس اليوناني باللغة الارمينية وكثيرون من سكان اسيا الصغرى اخذوا في اعتناق المذهب الانجيلي ايضاً.

اما النوع الثاني فهو النساطرة ويُسمَّون الكلدان يسكنون خاصةً في ما بين النهرين والبلاد المجاورة لها ولهم تعاليم وعوائد كثيرة مختصة بهم غير انهم يمتازون عن باقي المذاهب باعتقادهم ان نسطوريوس حرمهُ مجمع افسس ظلماً وضف الى ذلك اعتقادهم بانهُ لم يكن في المسيح طبيعتان فقط بل اقنومان ايضاً وكان يُحسَب هذا المعتقد في الزمان القديم ضلالاً مميتاً واما في هذه الايام فيحسبهُ العلماء حتى الكاثوليكيون الرومانيون ايضاً غلطاً لفظيًّا لا معنويًّا لأن هؤلاء الكلدانيين نعم انهم يعتقدون بان في المسيح اقنومين كما ان فيهِ طبيعتين لكنهم يقولون ايضاً بان هذين الاقنومين وهاتين الطبيعتين قد التصقتا حتى صار منهما رؤية واحدة او حسب تعبيرهم برسوبا واحد ومعنى برسوبا باليونانية اقنوم ومن ذلك يتضح انهم يريدون بالرؤية ما يريدهُ باقي المسيحيين بالاقنوم وما يدعوهُ المسيحيون طبيعتين يدعونهُ هم اقنومين ويقال بانهُ حتى الآن لم يمازج عقائد هذه الطائفة شيءٌ من الامور التقليدية غير ان اساقفتهم التزموا البتولية من سنة ١٨٣٠م والمقيمون منهم في الهند يُدعون توماويين او نصارى ماري توما ولهم ميتروبوليت مخصوص والمقيمون في العجم لهم بطريرك يقيم في ربيس (الموصل) ولهُ (١٨) اسقفاً وعدد النساطرة جميعاً نحو (٣٤٠) الف نفس منهم نحو (١١٠) آلاف متحدون مع رومية ويُعرفون في البلاد العثمانية باسم كلدان فقط.

وهناك شيع اخرى كان عندها في الزمن القديم شيءٌ من الديانة المسيحية ولكنها الآن بحالةٍ شريرة جدًّا ويترجح الظن بانها متسلسلة من الابيونيين والمانيين والفالنتيين اتباع فالنتينوس المصري والباسيليين أتباع باسيليوس الاسكندري (وهاتان الاخيرتان هما فرقتان من الغنوسيين) وغيرهم وبسبب تقلبات احوالها وبغض سائر الطوائف المسيحية لها غرق اصحابها في بحور الجهالة والتبربر والخرافات حتى كادوا يفقدون كل علامةٍ تدل على مسيحيتهم وطقوسهم.

ومنهم الصابئون الذين لا يعرفون عن الديانة المسيحية الاَّ ما قلَّ ومع ذلك يسمّون انفسهم مندي يحيى اي تلاميذ ماري حنا والظاهر انهم شيعة يهودية متسلسلة من الهيميروبينست الذين يذكرهم المسيحيون الاولون وهم يسكنون في بلاد فارس والعرب

ولا سيما بصرى ويحسبون ان الديانة المسيحية تقوم بكثرة تطهيرات الجسد التي يمارسها كهنتهم بطقوس معينة.

وكذلك اليزيدية وهم قوم من الرحَّل يسكنون جبل سنجار بارض الجزيرة يعبدون والحالة هذه روح الشر وعندهم الختان والمعمودية كلاهما ويعتقدون التناسخ ويسجدون للشمس الطالعة ثلاث ركعات عند اول ظهورها فوق الافق قال بعض المؤلفين انهم يقسمون الى يزيدية بيض ويزيدية سود فالسود هم الكهنة ورؤساء الشيعة ويلبسون دائماً اثواباً سوداء واما البيض فهم عامة الشعب وثيابهم بيضاء وديانتهم غريبة غير معروفة الاَّ انه يظهر ان بعض مبادئها من المسيحية ممزوجة بخرافات وخزعبلات كثيرة وهم يتميزون خاصةً عن غيرهم من النصارى المفسودين بما يعتقدونهُ في الروح الشرير المسمى عندهم كاروبين اي واحد من اعظم الملائكة وهم وان كانوا لا يعبدونهُ حقيقةً فانهم يكرمونهُ ولا يلعنونهُ ولا يذمونهُ ولا يسمحون لغيرهم بشيء من ذلك ويزعمون بان العذابات لا تلجئُهم الى لعنهِ وان سمعوا احداً لعنهُ وامكنهم قتلهُ قتلوهُ.

هذا ما عرفناهُ من بقايا اصحاب البدع القديمة الذين كانت قطعتهم الكنيسة اليونانية من شركتها على ما اشرنا في ما تقدم غير انهُ توجد بدع وهرطقات اخرى ظهرت بعد ذلك نعم انها ليست من نفس الكنيسة اليونانية الخاضعة للبطاركة الاربعة غير انها من كنيسة روسيا التي هي والحالة هذه اعظم اجزائها.

انهُ في التقرير الرسمي المتقدم لدولة روسيا في القرن التاسع عشر يظهر ان عدد الشيع في بلاد روسيا نحو (٢٠٠) واما اصحابها انفسهم فهم نحو (١٥) مليوناً والشيعة الاكثر عدداً هي شيعة رافضي عماد الاطفال المعتقدين ان البتولية شرط ضروري للدخول الى ملكوت الله (لا ريب بان هذا العدد يدخلهُ ايضاً عدد المكثلكين الذين اتحدوا مع كنيسة رومية وتسموا بالروم المتحدين وعددهم يبلغ نحو (٥) ملايين وكان ابتداء هذا الامر في سنة ١٥٥٩م عندما اعتنق بعض روم بولونيا الكثلكة بواسطة الرهبان اليسوعيين (وقيل قبل ذلك اي انهُ في القرن الرابع عشر وُجدت جمعية من الروسيين في كيو خاضعة الى باباوات رومية ولها اساقفة خصوصيون ممتازون عن الاساقفة الروسيين) واما الذين لم يماثلوهم من الروم سموا غير المتحدين ولا زالوا يزدادون الى ان بلغوا ربما لاكثر مما ذُكر غير انهُ لما جرت واقعة بولونيا وفتكت روسيا بالعصاة في سنة ١٨٣٩م ارتد منهم نحو (٣) ملايين وكذلك بعد المناداة بعصمة الباباوات اخذوا في الارتداد ايضاً افواجاً فافواجاً ومن هنا يستبين بان ظهور الروم الكاثوليكيين في

بلاد روسيا والنمسا كان قبل ظهورهم في بلاد سورية او ان ذلك بالنسبة الى سيامة كيرللس تاناس اول بطاركتهم فيها منذ اواسط القرن الثامن عشر لكن حددهُ احد المؤلفين من الطائفة المارونية بانهُ كان سنة ١١٧٥ للهجرة وقد اطلعت على فرمان سلطاني لا زال موجوداً في دير حماطوره المختص بطائفة الروم الارثوذكس صادر بالقاء القبض على البطريرك المذكور وارسالهِ مقيداً الى دار السعادة تاريخهُ قبل ذلك ببضع سنين ولا نطيل الشرح بهذه القضية بل من اراد الوقوف على تفاصيلها فليراجع (كتاب ايضاح الحقيقة الراهنة بدحض الدعوى الواهنة للحبر الفاضل الارشيمندريتي غبرئيل جبارة).

ثم من الشيع التي كنا بصددها طائفة ذكرت في تاريخ الامبراطور بطرس الاكبر تُسمَّى الرسكلنسيكية يبلغ عددها في عصرهِ نحو (٢٠٠٠) رجل وكان ظهورها في القرن الثاني عشر ابتدع مذهبها جماعة كان لهم بعض معرفة بالعهد الجديد فزعموا بان القسيس اذا شرب الخمر لا يصلح لتعميد الاطفال وان النصارى على حدٍّ سوى لا مزية لاحدهم على الآخر وان للنصراني ان يقتل نفسهُ في حب المسيح ويعدون من الكبائر قول الحمدلله ثلث مرات فلا يسوغ قولها على رأيهم الاَّ مرتين فقط.

ويقال ان ليس هناك اصعب من اتباع هذا المذهب في الاخلاق ولا اكثر منهم في الانتظام فهم في معيشتهم كالكويكر ببلاد الانكليز الاَّ انهم يخالفونهم بكونهم لا يقبلون احداً ممن عداهم من المسيحيين في جمعياتهم ولما اراد غير بطرس الاكبر ان يتتبعهم بالتعذيب احتجبوا في ضياعهم واضرموا النيران في بيوتهم والقوا انفسهم في لهيبها لكن لما سلك معهم بطرس الاكبر مسلكاً حسناً يحملهم على العدول عما كانوا عليهِ حيث جعلهم في عيشةٍ راضية مع الامن والهدوءِ رجعوا الى حالتهم الاصلية.

والظاهر ان هذه الشيعة التي ذكرها العلاَّمة موسهيم حيث يقول انهُ في سنة ١١٦٦م ظهرت بين الروسيين شيعة الاسبراينكي او شيعة المنتخبين ويسميها الروسيون روسكلسكيكان اي الحزب المفتن ولم يُعرَف للآن ما هي اعتراضاتها على الكنيسة الروسية ولا ما هي آراؤُها وطقوسها غير ان اعضاء هذه الشيعة يتظاهرون بالتقوى ويدعون ان الكنيسة الروسية فُسِدت فساداً بعضهُ من توانى الاساقفة وبعضهُ من تراخيهم في المعيشة وقال آخرون ان هذه الشيعة لم تظهر في السنة المذكورة كما قال العلاَّمة المذكور بل كان ظهورها قبل ذلك بنحو (٢٠٠) سنة اعني في القرن الخامس عشر وانما الثورة التي جرت ضدَّها في هذا القرن (وقد سبقت الاشارة اليها) زادت عدد تابعيها واوائل المنشقين ظهروا في نيوكور وتسموا استريكولينكس اما مبدعها فهو

رجل يهودي اسمهُ هوري علم تعاليمَ ممتزجة من المسيحية واليهودية فتبعهُ خوريان احدهما يُسمَّى وينس والثاني الكسي وجذبا معهما جمًّا غفيراً وبعد ذلك انضم اليهما شماس محروم اسمهُ كاربوس اتهم الاكليروس من الرتبة العليا ببيع وظائف الكهنوت وبافساد الكنيسة حتى ان الروح القدس اعتزلها فنجح نجاحاً عظيماً في امتداد هذه الشيعة غير انها كانت قليلة بالنسبة الى الشيعة الآتي ذكرها.

وهي شيعة كبيرة متنوعة يُسمى اصحابها بالراسفلنكيين نتجت من الشروع في اصلاح كتب الطقس المستعملة في الكنائس وعدتها (٢٠) مجلداً وكانت هذه الكتب تُكتب خطًّا بالقلم فوقع فيها مع تمادي الاجيال غلطات كثيرة اوجبت اصلاحها ولما حصلت المباشرة بذلك انشق حينئذٍ اصحاب هذه الشيعة وهم يتفقون مع الكنيسة في قواعد الايمان وبعض الطقوس ويتهمونها بافساد الكتب الكنائسية فقط.

وهناك بعض شيع صغرى غير ما ذُكر تختلف عن الكنيسة ايماناً وعبادةً ومنها البوبوبفتشيـن الذين يقبلون الكهنة المنضمين اليهم من الكنيسة في ممارسة وظيفتهم بينهم بدون اعادة الرسامة وكذلك اليزبوبويفتشيون الذين ليس لهم كهنة مرسومون منهم وتُقسم الاولى الى (٥) احزاب والثانية الى (١٥) حزباً وجميعهم يرفضون العيشة المترفهة وحلاقة الشعر وشرب القهوة والشاي والتدخين.

والميتون الذين يحرقون انفسهم لكي يتطهروا بمعمودية النار قال بعض المؤلفين ان الطائفة التي فاقت الجميع فحشاً وقساوةً هي الطائفة الجديدة التي ظهرت في ايالة ساراتو حسب تقرير الوالي في تلك المقاطعة اذ يقول انهُ قد ظهر في تلك المقاطعة منذ بعض اشهر انبياء ديانةٍ جديدة ينادون بان الطريق الوحيد للخلاص هي قتل كل انسان نفسهُ بواسطة حريق النار وقبل هذا التعليم المريع بسرعةٍ بين الساذجين حتى انهُ في احدى القرى العظيمة اجتمع نحو ١٧٠٠ نفس من الاهلين في بيوت من الخشب وبعد ان اغلقوا جميع الابواب والشبابيك اضرموا فيها النار واحترقوا جميعاً عن آخرهم فانتبه الحكم عند ذلك وشرع في استئصال هذه البدعة الردية التي هي نوع من الجنون ولكن مشروعهُ هذا عسر للغاية اذ لا يستطيع احد مهما كان صارماً ان يجد سبيلاً لردع جماعة لا يرهبون حريق النار بل يعتقدون ذلك واسطةً لدخول السماء.

واصحاب الختان الذين يلتزمون بالختان وتجريح اجسادهم وهذه سرّية باطنية غنيّة ممتدة في جانب عظيم من المملكة.

والجلادون الذين على مقتضى ما قررهُ وزير الامور الداخلية يرقصون رقصاً دينيًّا ويقطعون ثديي بنتٍ من بناتهم يكرسونها لحياةٍ دينية اكراماً للعذراء المباركة.

والخرس وهم شيعة كل من ينضمُّ اليها يصمت ولا يعود يتكلم بصوت مسموع بل يخرس من تلك الساعة قيل ان حاكم سيبريا عذب بعضهم لكي يلزمهم ان يتكلموا فلم ينطقوا بصوت مطلقاً قال بعض الكتبة ان هذه الطائفة لم يبقَ لها اثر في هذه الايام.

والملوكان وهم شيعة تسمى اصحابها بهذا الاسم نظراً لكثرة شربهم الملوكر يعني الحليب حتى في الصيامات ويسمُّون ذواتهم المؤمنين الحقيقيين وهم يتصفون بالتقوى الى درجة الوسواس حتى ان رجلاً منهم يقال لهُ بليرون ادعى النبوة ونادى في سنة ١٨٣٣ باتيان يوم الدين ونهاية العالم بعد سنتين ونصف فسُجن بسبب ذلك وتبعهُ قوم في جيورجيا وكانوا قبل ذلك عند دخول نابوليون الاول الى مدينة موسكا في سنة ١٨١٢ ظنوا انهُ اسد وادي يهوشافاط بحسب بعض تقليداتهم ومن ثمَّ ارسلوا وكلاء لابسين ثياباً بيضاء ومعهم خطاب لهُ فقبض عليهم ضباط العساكر الروسية وقتلوهم ولكن عادوا ظهروا في سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٤٥ في موسكا وتسمَّوا عبدة نابوليون ولم يزالوا للآن حاملين صورتُه ويقدمون لهُ العبادة ومستنظرين رجوعهُ بالجسد.

والمصارعون وهم شيعة تُسمى بالمصارعين الروحيين او مصارعي النفس يعتقدون بتعليم يشبه التقميص ويقتلون من كان من اولادهم ضعيفاً او مَعِيباً واحياناً يرتكبون فواحش مريعة باسم الديانة حتى انهم يقتلون من خرج منهم الى طائفة اخرى وفي سنة ١٨٤٠م فُقد منهم نحو (٢٠٠) شخص واخيراً تحقق الحكم انهم دُفنوا احياء بامر رؤساء ديانتهم فنقل الجانب الاعظم منهم الى جبل كوه كاف في سنة ١٨٤٢م.

والمرتينيون وهم فرقة ظهرت في موسكا وقواعد مذهبها غير معلومة غير انها اشتهرت بالتقوى العملية وكانت الامبراطورة كاترينا اضرَّت باتباع هذه الشيعة وحبست منهم رجلاً يقال لهُ نوفيكون لكن لما مال اليهم اسكندر الاول رجعوا وظهروا في القرن التاسع عشر.

هذا هو المتواتر من اخبار بعض الفرق الموجودة في هذا القرن التاسع عشر من الشيع المنفصلة عن شركة الكنيسة اليونانية ولنأتِ الى ذكر ما عرفناهُ ايضاً من اخبار الفرق الموجودة والحالة هذه من الشيع المنفصلة عن شركة الكنيسة الرومانية.

ان الكنيسة الرومانية تدَّعي بان كل المذاهب المسيحية على وجه الاطلاق هي شيع

هرطوقية خارجة منها ومنفصلة عن شركتها وهذه الدعوى تصحُّ لأية كنيسةٍ امكنها ان تثبت لذاتها القدمية بالثبات على المعتقدات الصحيحة الاصلية اما رومية فليس لها في هذه الدعوى الاَّ الاستناد على امانة صندوق التقليدات غير ان سلامة الذوق تقتضي بانهُ كلما قلَّت التقاليد في كنيسةٍ من الكنائس دل ذلك على قدميتها بالنسبة الى التي تزيد عليها في ما هو من هذا القبيل لان التقليد على ما يستبين من ماجريات رومية قابل الزيادة والزيادة احداث والاحداث في الدين لا ريب في انهُ بدع والابداع هو عين ما يسميهِ المسيحيون هرطقة اما الانجيليون فلا يأنفون من الاعتراف بحداثة ظهورهم منذ القرن السادس عشر غير ان ذلك بالنسبة الى الاصلاح الذي اوقعوهُ في حالة الكنيسة وليس في المعتقدات المنسوبين اليها لاستنادهم فيها الى مجرد الحقائق المدوَّنة في الكتب المقدسة مع صرف النظر عن جميع تلك التقليدات المتضاربة التي تستند اليها رومية وغيرها من الكنائس التقليدية المذكورة.

وكان اول من اقام الحجة على الكنيسة الرومانية واعتزلها الكنيسة اليونانية المقدَّم ذكرها التي ما برحت مزاحمةً لرومية على مجد الرياسة والتقدم منذ اعطى المجمع المسكوني الثاني المنعقد بامر الملك ثاودوسيوس الاكبر في القسطنطينية سنة ٣٨١م الرتبة الاولى لاسقف هذه المدينة بعد اسقف رومية بموجب القانون الثالث من تحديداتهِ ثم تلاهُ المجمع الرابع المعروف بالخلكيدوني المنعقد في سنة ٤٥١م وحكم في القانون الثامن والعشرين من قوانينهِ ان يتمتع اسقف رومية الجديدة بذات الكرامة والتمتعات التي يتمتع بها اسقف رومية القديمة لان المدينتين متساويتان في الرتبة والعظمة ومن ثمَّ قام النزاع بين هذين الاسقفين على هذا المبدا الى ان تولى فوتيوس بطريركية القسطنطينية وصرَّح في بعض ما كتبهُ نحو سنة ٨٦٦م بابتداع كنيسة رومية عدة امور منكرة بالنظر الى تحديدات المجامع المسكونية وهي: (١) صوم السبت (٢) اكل اللبن والجبن في الاسبوع الاول من الصوم الكبير (٣) تحريم زيجة الاكليروس بالكلية (٤) تثبيت المعتمدين ثانيةً بالميرون بعد ان كان مسحهم بهِ القسوس زعماً بانهُ لا احد يقدر على ذلك الاَّ الاساقفة (٥) افساد دستور الايمان باضافتهِ لفظة والابن وهذا كان مبدا الشقاق ثم لما حرم قصاد رومية سرولاريوس بطريرك القسطنطينية لعدم موافقتهِ على مبادي المصالحة التي قدموها لهُ في سنة ١٠٥٤م حرم هو كذلك هؤلاء القصاد واستاف على اعتراضات البطريرك فوتيوس المذكورة اموراً اخرى وهي: (١) استعمال الفطير في الافخارستيا (٢) اكل الدم والمخنوق (٣) اكل رهبان اللاتين دهن الخنزير (٤) سماحهم للمرضى باكل اللحم (٥) لبس اساقفتهم الخواتم في اصابعهم (٦) حلق الكهنة لحاهم (٧) تغطيس المعمودين

مرةً واحدة في جرن المعمودية[1]. فلما يئس البابوات من اخضاع اليونانيين بالوسائط السلمية والتمليق والمواعيد عدلوا الى استعمال القساوة والجبر فحرك البابا انوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونانيين فافتتحوا القسطنطينية في ١٢ نيسان سنة ١٢٠٤م وداموا متسلطين عليها الى سنة ١٢٦١م وكذلك استعملوا ما امكنهم من البربرة في الاراضي التي امتلكوها من بلاد سورية وفلسطين ليخضعوا بطاركة اورشليم وجميع الاكليروس اليوناني بواسطة الحبس وقفل الكنائس الى ان احوجوهم ان يفضّلوا موادَّة العرب حكام البلاد الاصليين على موادّتهم ويختاروا تسلط شعبٍ يرتضي بجزيةٍ على ان يتسلط عليهم ملك روحي طمعهُ وطمع قصادهِ لا يشبعان وهكذا لما تمَّ الحال اخيراً بافتتاح الدولة العثمانية مدينة القسطنطينية وسقوط دولة اليونان في سنة ١٤٥٣م كانوا يصرخون نعم نعم عمامة السلطان محمد ولا تاج البابا المثلث غير ان المجمع الذي كان عُقد في فلورنسا سنة ١٤٣٩م اعني قبل فتوح القسطنطينية بنحو (١٥) سنة لأجل المصالحة واخضاع اليونانيين بواسطة الوعد بمساعدة ملوك اوروبا في دفع الاتراك عن قصبة مملكتهم لم يذهب سدى بالكلية لانهُ وان لم يتم فيهِ مراد رومية بالتمام فقد ابقى لها بذاراً في عقول البعض ممن حضرهُ من اكليروس الطوائف الشرقية لاثبات الكثلكة بين شعوبهم على ما سبقت الاشارة اليهِ في الكلام على المجامع.

وكان في سنة ١١٦٠م اشتهر في ليون احدى مدن فرانسا شيعة يُسمَّى اصحابها بالولدنسيين نسبةً الى بطرس ولدس رجل تقي للغاية فاز بقراءة الكتاب المقدس وعرف الاختلاف الحاصل في كنيسة رومية عن اصل الديانة المسيحية فوزع املاكهُ على الفقراء واخذ في التبشير مع بعض اشخاص نظيرهُ فاذعن لهم حالاً جمهور كبير تاسست بهِ

---

(١) حاشية * توجد اختلافات غير هذه بين الروم واللاتين لم يصرّح بها هؤلاء البطاركة ربما لكونها ما كانت تحددت وقتئذٍ كقاعدة دينية في كنيسة رومية كالمطهر الذي لم يُثبَّت الاّ في مجمع فلورنسا المنعقد في سنة ١٤٣٩ ثم اوجب قبولهُ على كل الكنائس الغربية المجمع التريدنتيني في القرن السادس عشر اما الفرق بينهُ وبين عقالات الجحيم التي يقررها الروم هو ان المطهر نار مطهرة يتخلص منها الخاطي بعد ان يُقاصَّ فيها بمقدار جرم ذنوبهِ اما عقالات الجحيم فهي نظير حبس يقيم فيهِ الخطاة الى يوم الدينونة الذي بهِ ينالون القصاص الابدي في جهنم والصلوات التي يقدمونها لاجل الموتى يعتقدون انها تلطف نوعاً احوال هذا الحبس عليهم تلطيفاً وقتيًّا فقط وكذلك منع الشعب من الاشتراك في الكاس اذ لم تثبتهُ كنيسة رومية الاَّ في مجمع كونستانس سنة ١٤١٥م والحبل بالعذراء المباركة بلا دنس فانهُ لم يُحدَّد كعقيدة دينية الاَّ في زمن البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٤م ولئن كان البابا مكستس الرابع وعد بمغفرة الخطايا لجميع الذين يحفظون هذا العيد في كل سنةٍ وذلك في سنة ١٤٧٦م نعم ان الروم يعيدون لحبل حنة ولكن ليس بهذا الاعتقاد.

جمعيات اولاً في فرنسا ثم في لمارديا وانتشر أتباعهُ في كل اوروبا ولم تنجح مساعي رومية في ملاشاتهم لا بالقتل ولا بغيرهِ من انواع الاضطهادات ولم يزالوا الى وقتنا هذا بل زاد نجاحهم حتى وفي نفس بلاد ايطاليا وتعاليمهم تنحصر في انكار رياسة البابا والرغبة في ان تتمثل روساء الكنيسة وخدامها بالرسل في المسكنة وتحصيل قوتهم البخس الدني بتعب ايديهم ويعتقدون بان لجميع المسيحيين سلطاناً على نوعٍ ما لتعليم وتثبيت وانذار الناس وارادوا ان يرجعوا تهذيب التوبة القديم والتكفير عن الخطية بالصلاة والصوم والاحسان على الفقراء ويرون ان هذا التكفير يستطيع كل انسان ان يأمر بهِ المعترفين فلا يلتزم الناس ان يعترفوا بخطاياهم للكهنة بل يكشفونها للاخوة فقط ويستمدون رايهم فيها وان سلطان مغفرة الخطايا والغاء قصاصها منوط بالله وحده وان الصلاة لاجل الموتى لا تجدي نفعاً لان النفوس المنتقلة لا تُعاق ولا تقبل التطهير في محل متوسط بل تنتقل بعد الموت حالاً اما الى السماء واما الى جهنم وكانت آدابهم صارمة جدًّا لانهم حرَّموا الحرب والمحاكمة والاجتهاد في طلب الغنى والقصاص بالموت والحلف ومحاماة الانسان عن حياتِه او عن اعضاء جسدِه اذا عُوقب وقت الاضطهاد بتشويهها. قال بعض المؤلفين ان رانيريوس ساكو كان الَّف كتاباً ضد هذه الطائفة قال فيهِ ان هذه الشيعة كانت من اضرّ الشيع لكنيسة الله (اي الرومانية) لسبب قدميتها لان اصلها حسب راي البعض كان في القرن الرابع في زمن البابا سليبسترس وعلى راي آخرين كان من زمان الرسل وهذا هو السبب في قول القدماء بان اصل هذه الطائفة قديم جدًّا على انهُ لا ينكر بانهُ منذ اجيال وقرون كثيرة وُجد في اودية بيدومنت فرق متنوعة من الذين لم يتفقوا مع كنيسة رومية.

وفي القرن السابع عشر ظهرت فرقة الجنسيين اتباع كرنيليوس جنسينيوس اسقف ايبرس في الفلمنك منذ طبع كتابهُ في سنة ١٦٤٠ وهيج اليسوعيون البابا اوربانوس الثامن لدحض معتقداتِه لكونها تغاير تعاليمهم فحرمها هذا البابا في سنة ١٦٤٢ واخص ما انتقدوا عليهِ فيها خمس قضايا وهي: (١) انهُ يوجد في وصايا الله ما يتعذر على الناس الابرار الصالحين طاعتهُ ولو كانوا يرغبون في ذلك لان الله لا يعطيهم نعمةً كافيةً تمكنهم من حفظهِ (٢) انهُ لا احد في هذه الطبيعة الفاسدة يستطيع ان يصدَّ النعمة الالهية التي تفعل في العقل (٣) ان الانسان لا يقتضي ان يكون غير مضطر لما يوجب مدحهُ او ذمهُ بل ان يكون غير مجبور اليهِ فقط (٤) ان نصف البيلاجيين (فرقة تقدم ذكرها في الكلام على البدع القديمة) غلطوا كثيراً بزعمهم ان الارادة البشرية يمكنها ان ترفض او تقبل عمل النعمة الداخلية (٥) ان كل من يثبت ان يسوع المسيح كفَّر بالامهِ وموتهِ

عن خطايا جميع البشر فهو نصف بيلاجيوسي فالقضايا الاربع الاولى من هذه صرَّح البابا انوسنت العاشر بانها هرطوقية محضة اما الخامسة فقال عنها انها قيلت بطيش وهي زائغة تهين الله. ثم باقي تعاليم هذه الطائفة تتضمن بان لا شيء في اعمال الكنيسة الرومانية وعقائدها صحيح بتمامِهِ وغير فاسد اذ انهم يتشكون من كون جميع طغمة الاكليروس اهملوا واجبات وظيفتهم اهمالاً تامًّا ويؤكدون بان الرجال هم بالحقيقة مرتدون ويودون لو يرجعون الى طهارتهم الاصلية والى تلك السيرة المدققة التي وضعها منشئو رهبناتهم ويرغبون في تنوير الشعب جيداً بمعرفة الديانة المسيحية والتقوى ويجاهرون بان الكتاب المقدس والكتب الحاوية طقوس العبادة يجب ان تكون مبذولة اعني موجودة في ايادي الشعب باللغة العامة ويصرّحون بوجوب تعليم الشعب لان مخافة الله الحقيقية لا تقوم بالاعمال والطقوس الخارجية بل بنقاوة القلب والمحبة الالهية ويرون بان التوبة تقوم خاصةً في الاماتات الاختيارية التي يضعها الخاطي على نفسِهِ بالنسبة الى جرمِهِ اذ يقولون بان الانسان شقي للغاية وفاسد طبعاً يجب ان يعتزل عن العالم والاشغال ويكفّر عن فسادِهِ الطبيعي بالمقاساة الدائمة وتعذيب الجسد بالصوم والاعمال الشاقة والصلاة والتأمل وكلما كثر انحطاط الانسان اما طبعاً واما عادةً يجب ان يزيد اماتة جسدِهِ وتذليلهُ وقد افرطوا في هذا الامر الى ان اعتقدوا بان الذين اضعفوا اجسامهم على هذه الصورة الى ان هزلت وماتوا بسبب ما تكبدوهُ من الآلام والمشقات هم اعظم القديسين لكونهم شهداء فرائض التوبة وقد تلاشوا بنار المحبة الالهية وبناءً على ذلك يمكنهم ان يستعطفوا الله ويردوا غضبهُ لاحرازهم استحقاقاً عظيماً للكنيسة ولاصحابهم امامهُ تعالى بواسطة اوجاعهم والامهم ثم لما كثر الاضطهاد على هذه الشيعة لم يبقَ لاصحابها ملجأ الاَّ الفلمنك لان اكثر الباباويين هناك هم منهم ومن ثمَّ لم يستطع البابوات ولا قصادهم ان يخضعوهم لا بالانذارات ولا بالتوسلات بل لا زالوا مستقلين عن رومية الى يومنا هذا.

وفي القرن التاسع عشر شرع البابوات الرومانيون في توسيع دائرة سلطتهم على الفرق الشرقية الخاضعة لسلطانهم وكان اول امرٍ شرعوا فيهِ التنبيه على الروم الكاثوليكيين باستعمال حساب السنة الغوريغورياني وابطال التاريخ اليوليوسي القديم الذي كانوا لم يزالوا مستعمليهِ اتباعاً لطقسهم القديم فرفض هذا الامر مكسيموس مظلوم بطريرك الطائفة المذكورة فلم يتم مراد رومية الاَّ بعد ان توفي وخلَفهُ البطريرك اكليمندوس بحوس فاشترط عليهِ قصاد رومية المناداة بهذه القضية وانفاذها والاَّ لا يثبتهُ البابا بيوس التاسع كما هي العادة فقبل الشرط وسيم بطريركاً في سنة ١٨٥٧م وبعد ذلك اصدر منشوراً في هذا الخصوص وعندما شرع في تلاوتهِ بكنيسة دمشق لم يسمح

الشعب للقاري بان يتمم قراءَته بل انزلوهُ عن موضعهِ وهاج القوم وماجوا في كل البلاد التي وُجدوا فيها منقسمين الى حزبين الواحد تبع البطريرك وتسمت اصحابهُ بحوسيين والثاني تسمت اصحابهُ شرقيين واخذوا في الجدال وتآليف رسالات ضد بعضهم بعضاً منهم من صرَّح باسمهِ في ما كتب ومنهم من لم يصرح وكان المبتدي بذلك الحزب الشرقي فكُتب (١) رسالة من الخواجا خليل بن بطرس الجاويش اعلن بها اعتزالهُ عن الكنيسة الكاثوليكية سماها نجاة المكره المظلوم من اختراع العوائد والرسوم طُبعت بنفقتهِ في سنة ١٨٥٧م لكنهُ اخيرا ارتد اليها منذ تولى قائمقامية زحلة (٢) رسالة تأليف الخواجا شبلي بن خليل ايوب عنوانها تنزيه الشريعة المسيحية عن الآراء الفلكية طُبعت في اورشليم سنة ١٨٥٨م (٣) رسالة عنوانها الايضاح القويم في حق الثابتين على الحساب القديم طُبعت في بيروت سنة ١٨٥٩م بنفقة وكلاء الروم الكاثوليك الشرقيين وعند ذلك ظهرت رسالة كبيرة الحجم عنوانها الرد المبين لافادة الروم الملكيين نقضاً لما هو موررود في الكتاب المسمى الايضاح القويم في حق الثابتين على الحساب القديم طبعها الرهبان اليسوعيون في بيروت ولم يُعرف مؤلفها بانهُ الخواجا ابرهيم عورا الاَّ من الجوابات التي حررها الحزب الشرقي ردًّا عليها واكَّد ذلك رتبة الكواليرية التي انعم بها عليهِ البابا بيوس المشار اليهِ وورقة الغفران الكامل التي اجازهُ بها ان يمنح هذا الغفران الى سبعة انفار يختارهم هو من عائلتهِ وكان اول جواب ظهر على هذه الرسالة عنوانهُ رسالة البراهين في كشف زيف الرد المبين مطبوعاً بنفقة وكلاء الشرقيين في بيروت سنة ١٨٦٠ وتلاهُ رسالة اخرى مطبوعة بنفقة الوكلاء المذكورين في هذه السنة عينها ايضاً عنوانها ايضاح من احد ابناء طائفة الروم الملكيين وهناك رسالات أُخر منها رسالة مطبوعة في مصر في سنة ١٨٦٠ ايضاً عنوانها تنبيهات النفوس ردًّا على الرسالة الواردة الى الجزيل الشرف السيد بحوس ورسالة اخرى مطبوعة في بيروت محرر باعلاها الرسالة الاولى بعد الاتحاد وعنوانها هذه الاجوبة اليقينية على الاختراعات البحوسية اما من الحزب الثاني المسمَّى بالبحوسي فلم يظهر الاَّ الرسالة المقدَّم ذكرها ورسالة ثانية عنوانها دليل المستفيد على الفصح المجيد للسيد اثناسيوس توتونجي مطران طرابلس في سورية مطبوعة بمطبعة الطائفة المارونية بحلب ١٨٦٣م ورسالة ثالثة لا يُذكر اسم مؤلفها ولا محل طبعها عنوانها ازالة الشك والارتياب في تحقيق المخاطبة والجواب تتضمن صورة المراسلات التي جرت بين السيد يوسف ڤاليركا بطريرك اللاتين ومطارنة الكاثوليك بشأن هذه المسئلة التي كادت ان تمزق الطائفة وتبددها لولا بعض اسباب جرت باثناء حادثة الشام لاشت امرها ولم يبقَ من الشرقيين الاَّ بعض انفار قلائل جدًّا انضموا اخيراً الى الكنيسة الارثوذكسية.

ولكن الشقاق الاعظم هو الذي وقع باسباب العصمة التي عُقد لاجل تثبيتها المجمع الڤاتيكاني سنة ١٨٦٩م وأثر تأثيراً عظيماً في دار السعادة العلية بانقسام طائفة الأرمن الكاثوليك الى حزبين حسوني وهم جماعة البطريرك حسون الذي طردتهُ الدولة العلية من بلادها لموافقتهِ المجمع المذكور على هذه العقيدة وكوبلياني وهم جماعة البطريرك كوبليان الذي اقامتهُ الطائفة المنسوبة اليهِ وثبتتهُ الدولة المشار اليها فحرمهُ وجماعتهُ البابا بيوس المقدَّم ذكرهُ.

واعظم من ذلك جميعهِ خروج جماعة ليست بقليلة من اساقفة نفس الكنيسة اللاتينية وشعوبها في اوربا اعتزلوا البابأوية راساً ولقَّبوا ذواتهم بالكاثوليك القدماء وقرَّ رايهم على معتقدات تتضح مما ياتي وهو انهُ بعد تحديد عقيدة العصمة على ما تقدم هاج بعض العلماء اللاتينيين في اكثر ممالك اوربا لمقاومة هذا التعليم الذي اعتقدوهُ ظلماً وتعدياً على ضمائر البشر واجتمعوا في اواخر تموز سنة ١٨٧٠م للبحث في هذا الامر فحرمهم الاساقفة ومنعوهم عن الاشتراك ثم اجتمع مجمع في مدينة مونيخ عاصمة باڤاريا سنة ١٨٧١م حضرهُ جمهور من الاهالي واتفقوا على المبادي الآتية وهي (١) انهم باقون على الايمان الكاثوليكي القديم المصرَّح في الكتب المقدسة وفي تقليدات الكنيسة (٢) يرفضون تحديدات الفاتيكان كبدعٍ لانهُ لا يحق لمجمعٍ ان يكرر عقائد مضادَّة لايمان الشعب وضمائرهِ (٣) انهم مصممون على المباحثة العلمية والاتفاق مع ممالك هذا العصر على مضادة الجدول البابأوي ومشروعات اليسوعيين المضرَّة جدًّا لصالح العموم (٤) ان غاية قصدهم هي تنظيم ابرشيات جديدة واصلاح التاديب الكنائسي واعادة الاتحاد مع الكنائس المنشقة عن رومية ثم اجتمعوا ثانيةً في كولونيا سنة ١٨٧٢م حيثما انضم اليهم جمهور آخر عظيم من الكهنة واشهر اللاهوتيين والمؤرخين والفلاسفة واكثر معلمي المدارس الكلية الجرمانية من الكاثوليكيين ورتبوا الاتفاق الآتي ويشتمل اربعة مبادي وهي: (١) انهُ لا يمكنهم بعد الآن ان يعتبروا اساقفة رومية الحاليين كرؤساء الكنيسة الكاثوليكية ولا كذلك الاساقفة الذين امضوا عقيدة العصمة فاذاً حرمهم (الذي هددهم بهِ) باطل (٢) ان للكاثوليك القدماء جميع الحقوق والامتيازات التي كانت قديماً للكنيسة الكاثوليكية سواءٌ كانت نظامية او شرطية او شرعية (٣) ان الحالة الحاضرة ليست مكدرة للكاثوليك القدماء فقط الذين حيث قطِعوا من الكنيسة اضطرُّوا الى نظام ابرشيات جديدة تطلب مصادقة الحكومة عليها ولكنها مكدرة لكل الكنيسة ايضاً اذ انهُ كان قبل الآن يمكن عزل البابا اذا هرطق ولكن الآن لا يمكن ذلك بعد نشر هذه العقيدة الجديدة فاذاً ما من ريب اذا قالوا بانهُ لم يبقَ

والحالة هذه وجود لبابا شرعي ولا لاساقفة شرعيين من اتباعهِ (٤) حيث لا يمكنهم ان يسمّوا اساقفة حسب الترتيب القانوني قد قرَّ رأيهم على ان يرجعوا الى انتخاب الاساقفة بصوت الاكليروس والشعب حسب الترتيب القديم. ثم ابطلوا في هذا المجمع الغفرانات والصلاة الى القديسين ودفع اجرة على القداديس والتزموا بالخضوع الى نظامات الممالك التي هم من رعاياها وابطلوا امر البابا الذي يمنع العامة عن مطالعة الكتاب المقدس وهم مستعدون الآن الى عمل جمعية اعضاؤها من كل الكنائس المختلفة لاجل الفحص عن قوانين ايمان الكنيسة في الاجيال الاولى من تاسيسها والآراء والتعاليم والآداب والنظامات والتراتيب التي اعتُبرت جوهرية وضرورية في الكنيسة الجامعة الشرقية والغربية قبل انفصالهما غير قاصدين بذلك اتحاداً يجعل كلَّ الكنائس واحدة ولكن وضع قانون كنائسي للاشتراك في الايمان الواحد عنوانهُ الوحدة في الامور الجوهرية الضرورية مع محافظة كل كنيسةٍ على خصوصياتٍ لا تفسد جوهر الايمان القديم وعدد اصحاب هذه الشيعة الآن نحو (٦٠) الفاً.

وهناك شيع اخرى ليست بذات اهمية نظراً لقلة عدد اصحابها يدخلهم الرومانيون في صفّ البروتستانت لكون مؤسسيها ظهروا بعد ظهور الاصلاح اعني بعد القرن السادس عشر او لكونهم كانوا منسوبين الى بعض الكنائس الانجيلية وخاصةً ان هذا الاسم لا يتاخر الرومانيون عن اطلاقهِ على كل مخالفي عقائدهم من اية كنيسةٍ كانوا على ان كل من اطلع على اعمال جمعية الاتحاد الانجيلي وعرف مبادي الاتحاد بين عموم البروتستانت الذي وقع الاتفاق عليهِ منهم اجمعين يقدر من اول وهلةٍ ان يميز معتقدات اية شيعةٍ كانت بمجرد اطلاعهِ عليها هل هي بروتستانتية ام لا وهذه المبادي تنحصر في تسعة عقائد وهي: (١) وحي الكتب المقدسة وسلطانها وكفاتها (٢) حق كل انسان الشخصي ووجوب حكمهِ في تفسير الكتب المقدسة (٣) وحدة اللاهوت وتثليث الاقانيم فيهِ (٤) فساد طبيعة الانسان الكلي ناتج عن السقوط (٥) تجسد ابن الله وعملهُ الفداء لاجل الخطاة من البشر وشفاعتهُ وملكهُ نظير وسيط (٦) تبرير الخاطي بالايمان وحدهُ (٧) عمل الروح القدس في تجديد الخاطي وتقديسهِ (٨) خلود النفس وقيامة الجسد ودينونة العالم بالرب يسوع المسيح مع سعادة الابرار الابدية وشقاوة الاشرار الابدية (٩) كون القسوسية المسيحية نظاماً الهيًّا ووجوب ممارسة سرَّي المعمودية والعشاء الرباني على الدوام. ثم ان هذه الجمعية لا تشهر هذه المبادي كقانونٍ كنائسي ولا تدَّعي بحق تعيين حدود الاخوية المسيحية بل تبين فقط اي نوعٍ من الناس مدعو للاشتراك في هذا الاتحاد وكان اجتماعها الاجتفالي الاول في باريس سنة ١٨٥٦ ثم في

برلين سنة ١٨٥٧ ثم في نيويورك سنة ١٨٧٣ وكان حاضراً جمهور حافل من قسوس وعلماء ومبشرين ومعلمين من اميركا وانكلترة وفرانسا وجرمانيا والفلمنك واسبانيا وايطاليا وبلاد اليونان وبلجيكا وتركيا ومصر والهند والصين وافريقية وجزائر البحر وظهرت في ذلك الاجتماع وحدة الايمان البروتستانتي مع وجود الاختلافات في الامور غير الجوهرية وتصرح حينئذٍ الاتحاد بالمبدا الاوغسطيني الذي هو (١) الوحدة في الامور الجوهرية (٢) الحرية في غير الجوهرية (٣) المحبة في كل شيء ولذلك نضرب صفحاً عن تسويد صحائف في الكلام على كل فرقةٍ انجيلية على حدتها من لوثيريين وكلفينيين واسقفيين ومتودسيين وباتستيين واندبيندتيين وقسوسيين وكونكريشونال الى غير ذلك اذ انهُ لا يفيد غير الابانة عن امور طقوسية وعادات مكانية ناشئة اما عن تغلُّب التقليدات التي كان شبَّ عليها المصلحون الاولون على ضمائر البعض منهم واما عن آراء تفسيرية لا دخل لها في جوهر الايمان اصلاً كما صرفنا النظر عن ذكر فروقات واختلافات كثيرة توجد من هذا القبيل بين طغمات الرهبان والكنائس اللاتينية ومن ينقاد اليها من سائر الطوائف الشرقية ولنرجع الى تتميم الكلام على تلك الشيع الصغرى المنسوبة والحالة هذه الى البروتستانت على ما سبقت الاشارة اليهِ وهي:

(١) السوسينيون نسبةً الى بيت سوسيني الذي كان عاملاً في سينا مدينة شهيرة في التوسكانا والاصل في هذه الشيعة رجلان من اهل هذا البيت وهما ليليوس وفستوس سوينوس اسَّساها نحو سنة ١٥٤٧م وتُقسم الى نوعين الاول ينكر تثليث الاقانيم الالهية ولا يسلم بالوهية المسيح ومنهم ميخائيل سرفا او سرفينوس المشهور الذي ادَّعى بان تعاليم المسيح الحقيقية قد فُقدت قبل تعاليم مجمع نيقية وانهُ أُوحي اليهِ هو ان يرجعها ويفسرها ولهُ معتقدات في اللاهوت يطول شرحها والثاني يقر بان كل معرفة الهية يجب ان تؤخذ من الكتب المقدسة لكنهُ يعتقد بان معنى الكتاب الالهي لا يجب ان يوخذ على ظاهرهِ بل يُعتبر ويُشرح تطبيقاً لما يقبلهُ العقل السليم يعني ان يُشرح بما لا يضادُّ مفهوم البشر المألوف ولا العقل البشري فكانما يقول اصحابهُ ان الكتب الموحى بها من الله لا تعلن العقائد التي يجب الاعتقاد بها بل ان الفطنة البشرية هي التي تدل على حقيقة نظام الديانة الذي يجب ان يبحث عنهُ في الكتاب المقدس وهم منتشرون في عدة مدن من بلاد اوربا وعددهم غير معروف.

(٢) الكويكرس اي الاصحاب وصاحب بدعتهم رجل يقال لهُ جورج فوكس من انكلترة وضعها في سنة ١٦٤٧م وهم يعتقدون بالنور الباطني اي ان الله سبحانهُ قد اعطى لكل انسان نوراً كافياً لخلاصهِ ان استعملهُ حق الاستعمال حتى ان الوثنيين لهم

هذا النور عينهُ ولذلك ابطلوا الوعظ والتعليم في الكنيسة وانكروا على القسوسية وابطلوا العشاء الرباني والمعمودية لئلا يُعتبر من يمارسهما كاهناً او قسيساً ولا يتكلم في اجتماعاتهم الدينية الاَّ من حركهُ الروح رجلاً كان او امرأة وعددهم الآن ليس باكثر من (٢٠٠) الف ثم ظهر بينهم شقاق بواسطة تعليم رجل يقال لهُ ايلياس هيكس الذي انكر تثليث اللاهوت والتبرير بالايمان وفداء المسيح.

(٣) السويدنبرجيون اتباع رجل يقال لهُ عمانوئيل سويدنبرج فيلسوف اسوجي مات سنة ١٧٧٢م وكان من اشهر علماء شمال اوربا في العلوم الرياضية والطبيعية والهيئة واللاهوت والشعر ادَّعى في سنة ١٧٤٥م اذ كان ابن (٥٧) سنة بالوحي وظهور الرب يسوع المسيح لهُ شخصيًّا وانهُ اراهُ العالم الروحي وسمح لهُ بان يخاطب الملئكة والارواح الطاهرة ومن ثمَّ ألَّف عدَّة مؤلفات في اكتشافاتهِ هذه وملخص ما اودعهُ فيها من التعاليم هو ان الله واحد وهو انسان الهي ومحبة جوهرية. وان لفظة آدم لا تشير الى شخص حقيقي بل الى حالة الانسان الاصلية وكذلك شيت واخنوخ ونوح وسام وغيرهم ليسوا الاَّ اشارة الى كنائس او درجات احوال البشر والايمان الديني. وان بعض الكتب المقدسة كسفر راعوث وسفري الايام الاول والثاني واعمال الرسل وجميع الرسائل ليس فيها المعنى السري الروحي فاذاً لم يُوحَ بها من الله. وان الانسان الذي يموت لا تنفصل روحهُ عن الجسد الاَّ بعد (٣) ايامٍ من موتهِ. وان جميع الاطفال الذين يموتون في سن الطفولية يخلصون. وان كنيستهُ التي ابتدعها هي اورشليم الجديدة المُشار اليها في سفر الرؤيا بتأسيس السموات الجديدة. وغير ذلك مما يطول شرحهُ وقد تبع تعليمهُ هذا قليل من الناس غير معروف عددهم في اسوج وفرانسا وجرمانيا وسويسرا وانكلترة واميركا.

(٤) الارڤنكيون اتباع ادوار ارڤين الذي مات سنة ١٨٣٤م وكان بعد ان درس العلوم واللاهوت وشرع في الوعظ بخطاباتٍ فصيحة وقياسات منطقية تهيج الضمائر قيل انهُ لا يوجد اعظم منها في اللغة الانكليزية ترجم في سنة ١٨٢٦م كتاباً من اللغة الاسبانيولية تأليف راهب يسوعي يُسمى لا كونزا في اميركا الجنوبية عنوانُه مجيء المسيح في الجلال والمجد ثم بلغهُ خبر في سنة ١٨٣٠م ان في سكوتلاندا قد تكلم البعض من الناس بالسنةٍ مجهولة فتحقق من ذلك تجديد المواهب الروحية في الكنيسة ومن ثمَّ اخذ قوم من جماعتهِ في الكلام بالسنةٍ متنوعة حتى صارت كنيستُه مثل بابل في بلبلة الالسنة وحينئذٍ نفر الاكثرون ولم يبقَ معهُ سوى (٨٠٠) نفس اصرُّوا على الادّعاءِ بقوة النبوة والوحي واخيراً ارجعوا وظائف الرسل والانبياء حتى ان احدهم

تعيَّن رسولاً ومنح الروح القدس بوضع الايادي ثم بعد وفاتهِ صار عدد الرسل (١٢) رسولاً وسموا كنيستهم الكاثوليكية الرسولية وغايتهم العظمى هي الرجاء بمجيءِ المسيح سريعاً و لم يبقَ من تابعيه الآن الاَّ بعض افراد مشتتين.

(٥) اخوة بليموث ويقال لهم الدربيون نسبةً الى يوحنا دربي اول رؤسائهم وهو قسيس اسقفي انكر في سنة ١٨٣٠م وجود كنيسةٍ مسيحية منتظمة وادَّعى بانهُ يجب على المسيحين المتفقي الاراءِ ان يجتمعوا في فرق صغيرة استعداداً لمجيءِ الرب الثاني الذي كان يتوقع ان يراهُ عياناً. ويقال بان ليس لهم قواعد ايمان ولا قوانين وانهُ يسوغ لكلٍّ منهم ان يعتقد كيفما شاء وانما اجمعوا على فساد الانسان فساداً كليًّا ولزوم التجديد بالروح القدس والفداء بآلام المسيح وموتهِ ورفض كل تعيينٍ خصوصي او رسامة للوظيفة القسيسية لكونهم يحتسبون كل المسيحيين الحقيقيين كهنةً ومن امكنهُ منهم بنيان الاخوة يُرخَّص لهُ بالتبشير وتوزيع الاسرار بدون دعوة ولا رسامة ولا يعمدون سوى البالغين وربما اقنعوا اعضاء كنيستهم بلزوم اعادة عمادهم ولا يقبلون في اجتماعاتهم للعبادة يوم الرب غير جماعتهم واخيراً انقسمت هذه الشيعة الى (٣) فرق لكلٍّ منها اعتقادات مخصوصة منها فرقة دربي رئيسها الاول الذي مر ذكرهُ فانهُ توجه من انكلترة الى سويسرا وانتظم من قومهِ جماعات في باريس وليون ومرسيليا وبعض جهات ايطاليا وظهرت منهم جماعة في فيلدلفيا من اميركا ايضاً لكنها انشقت الى فرقتين لا تشترك احداهما مع الاخرى لان الفرقة الواحدة انكرت وجود قصاص ابدي ولا سبيل الى تفاصيل معتقداتهم بالتمام بل من رغب في ذلك فعليهِ بمراجعة الكتاب المعنون اخوة بليموث المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٤م.

حاشية

قد عُلم مما تقدم ما بين النصارى واليهود من الخلاف حتى ان اليهود لا يسلمون بادنى شيءٍ من المعتقدات التي امتازت بها الديانة المسيحية مع انهم لا ينكرون في باطن الامر حقيقة الآيات والعجائب التي اصطنعها المسيح بما هي عليهِ وعندهم كتاب مخصوص فيها يسمونهُ حياة يسوع الناصري ذكرهُ بولس داود بن موسى مونسيسيوس الازميري المتنصر سنة ١٧٥٧م في مؤلفه وقال انهم يعترفون فيهِ بانه فتَّح اعين العمي واسمع آذان الصم وانطق السنة الخرس واقام مقعدين وطهر برصاً وشفى امراضاً واحيى امواتاً وطرد شياطين الى غير ذلك مما هو دليل واقعي الاَّ ان احد اصحابي من اليهود

اخبرني بان عندهم ان يسوع كان يفعل هذه الآيات بواسطة اسم الله الاعظم وكان سرقهُ من الهيكل وشقَّ بطّة رجلِه ووضعهُ داخلها وخاط عليهِ لحم جرحهُ ولهم خرافات طويلة السياق في هذا المعنى ومن جهة يهوذا الاسخريوطي وكيف احتال عليهِ وسلمهُ الى رؤساء الكهنة ووجوه اليهود ليقتلوهُ. واما المسلمون فانهم يعتبرون المسيح نبيّا فقط وانهُ من اولي العزم ويعترفون لهُ بعمل العجائب الخارقة بازيد مما هو مذكور في الانجيل فان في سورة آل عمران التي يُذكر فيها تبشير زكريا بيحيى وهو يوحنا وتبشير مريم بكلمةٍ من الله اسمهُ المسيح ومراجعتها في ذلك بكونها لم يمسها بشر يخبر عنهُ بانهُ كان يكلم الناس في المهد طفلاً وخلَق لهم من الطين كهيئة الطير وكان ينبئهم بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم زيادةً على كونهِ إبرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى وفي سورة البقرة يقول اتينا عيسى البينات وايدناهُ بروح القدس الى غير ذلك من الآيات وانما يخالفون النصارى في التثليث اذ يقول في سورة المائدة لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة. ولقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وفي سورة النساء انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم وروح منهُ فآمنوا بالله ورسلهِ ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم انما لله اله واحد سبحانهُ ان يكون لهُ ولد وكذلك لا يعترفون بصلب المسيح وموتهِ مع انهم مقرون بموت صاحب شريعتهم ويظن البعض منهم بانهُ توفي مسموماً من امراةٍ يهودية اما المسيح فلا يسلمون بموتهِ اذ في سورة النساء ما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شبه لهم ويتأولون قولهُ في سورة آل عمران يا عيسى اني متوفيك وارفعك اليَّ. ويوجد ايضاً بينهم وبين النصارى خلاف كبير في وصف النعيم والحياة الخالدة. ومع كونهم يعتقدون بان النصارى حرفوا الانجيل فهم يعتقدون بمودتهم لهم دون اليهود اذ جاء في سورة المائدة لتجدنَّ اشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنَّ اقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا انَّا نصارى.

الكلام على المسلمين

المسلمون ويقال لهم ايضاً محمديون او امة محمد يبلغ عددهم الآن نحو (١٥٠) مليوناً من النفوس البشرية وشوكة هذا الدين ممتدة في اوربا واسيا وافريقية واصحابه ينقسمون الى ثلثة اصول وهي السنّية والشيعية والبدعية وتحت كلٍّ منها فروع سوف يأتي الكلام عليها وتجمعهم جميعاً مباني هذا الدين الخمسة وهي :

اولاً النطق بالشهادتين اللتين احداهما تتضمن الاقرار بوحدانية الله تعالى والثانية

الاعتراف برسالة صاحب الشريعة الاسلامية ويُعبَّر عنهما كلتيهما بكلمة الاخلاص.

الثاني اقامة الصلوة

الثالث ايفاءُ الزكوة.

الرابع صوم شهر رمضان اياما معدودات فمن كان مريضاً او على سفرٍ فعدةٌ من ايامٍ أُخر واما ان صام فهو خير لهُ.

الخامس حجُّ البيت من استطاع اليهِ سبيلاً.

اما مشترع هذه الديانة فهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم شريف مكة احدى مدن الحجاز وهو من قبيلة قريش احدى قبائل العرب تُنسب كغيرها من القبائل الى احد اولاد اسماعيل بن ابرهيم الخليل الذي مر ذكرهُ في الكلام على ديانة اليهود وُلد في سنة ٥٧٠م ولما بلغ من العمر اربعين سنة ابتدأ في دعوة العرب.

قال رفاعة بك الطهطاوي ولما كان من صفات العرب عزة النفس والشجاعة والتولع بالاشعار والحكم والامثال وكان من صفاتهم ايضاً الطرب بما يسمعونهُ وتأثيرهُ عندهم جاءَهم بالقرآن وهو الكتاب الجامع لعقائد الدين الاسلامي ولما كانت معجزة كل نبيّ من جنس ما غلب على اهل زمانهِ وتهالكوا عليهِ وتفاخروا بهِ كالسحر في زمن موسى والطب في زمن عيسى (يعني يسوع المسيح) والموسيقى في زمن داود وكان زمنهُ هو زمن فصاحة وبلاغة كانت معجزتُه هذا الكتاب الذي عجز فصحاءُ العرب وبلغاؤهم عن معارضته.

ومن تعاليمِه ما جاء بِه من الآيات البليغة الفصيحة المقفاة المحرضة على الغزو والجهاد. والمواعظ والحكم في شان التخلق بآداب هذا الدين ووعد المطيع بالخلود في جنان النعيم. والاعتقاد بالقضاء والقدر اذ ان هذه العقيدة قديمة عند المشارقة وكان قد داخل بلاد العرب احكام من التوراة والانجيل فاقرَّها هذا الشارع وآمن برسل اليهود والنصارى وقال ان موسى وعيسى نواب عنهُ مبشرون بهِ وان دينهُ ناسخ لما تقدم قبلهُ من الاديان (ولا يلزم ان نكرر هنا ما اوردناهُ من هذا القبيل في الكلام على ديانتي اليهود والمسيحيين).

ويعتقدون ان الله تعالى انزل هذا القرآن من اللوح المحفوظ جملةً واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمَضان في ليلة القدر منهُ ثم كان ينزلهُ مفرقاً على لسان جبرائيل الملاك ويسمونهُ روح القدس الى صاحب الشريعة الاسلامية مدة رسالتهِ عند الحاجة وبحدوث ما يحدث.

ثم ان ترتيب نزول هذا الكتاب هو غير ترتيبهِ في التلاوة والمصحف ومنهُ ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة فالذي نزل بمكة ثلاث وثمانون سورة والذي نزل بالمدينة احدى وثلاثون سورة فيكون جملة ذلك مئة واربع عشرة سورة وهي تُقسم باعتبار الناسخ والمنسوخ الى اربعة اقسام وهذه تفاصيلها.

الاول ليس فيهِ منسوخ ولا ناسخ وهو ثلاث واربعون الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات والنبأ والنازعات والانفطار والمطففين والانشقاق والبروج والفجر والبلد والشمس والليل والضحى والم نشرح والقلم والقدر والقيامة والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر والهمزة والفيل وقريش وأرايت والكوثر والنصر وتبت والاخلاص والفلق والناس.

الثاني فيهِ منسوخ وناسخ وهو خمس وعشرون البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة وابرهيم ومريم والانبياء والحج والنور والفرقان والشعراء والاحزاب وسبا والمؤمن وشورى والذاريات والطور والمجادلة والواقعة والمزمل والمدثر والتكوير والعصر.

الثالث فيهِ منسوخ فقط وهو اربعون الانعام والاعراف ويونس وهود والرعد والحجر والنحل والاسرا والكهف وطه والمومنون والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة وفاطر والصافات وص والزمر وحم السجدة والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف ومحمد وق والنجم والقمر والامتحان والمعارج والقيامة والانسان وعبس والطارق والغاشية والتين والكافرون.

الرابع فيهِ ناسخ وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والاعلى.

وقد ذكرنا في الفصل الاول من المقالة الاولى كيف كان جمع هذه السور الى صحف متفرقة في ايام ابي بكر بعد وفاة صاحب الشريعة الاسلامية فتمَّ ذلك عن يد زيد بن ثابت قال فجعلت اتَّبعهُ من الرقاع والعسب واللِخاف (العسب في اللغة سعوف النخل واللخاف الحجارة تكون بيضاء ورقيقة واحدها لخفة) وهما الادوات التي كان يكتب عليها في الزمن القديم قبل ظهور الورق المعتاد وخلاصة الامر هي انهُ لولا هذا الانتباه لفُقِد كثير منهُ وكذلك الاعتناء الذي حصل من عثمان بن عفان خليفة ابي بكر المذكور بنسخ الصحف في مصاحف حيث امر بذلك زيداً بن ثابت المذكور وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالله بن الحارث بن هشام وقال للوسط من القريشيين الثلثة بانهم اذا اختلفوا وزيد بن ثابت في شيء فليكتبوهُ بلسان قريش فانهُ انما نزل بلسانهم ثم بعد

ان نسخوا تلك الصحف في المصاحف ارسل الى كل افق بمصحفٍ مما نسخوا وامر بما سواهُ من القرآن في كل صحيفة او مصحف يُحرق ولولا ذلك لكثر وقوع الاختلاف في قرآتِه بين الحفظة لكن نظراً لعدم جودة الخط العربي لاول المسلمين كان رسمهم اياهُ في المصاحف غير مستحكم في الاجادة وخالف الكثير من رسومهم ما اقتضتهُ صناعة الخط قال ابن خلكان في ترجمة ابي عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري لما كتب المصحف عُرض على عثمان فقال ان فيهِ لحناً ولتقيمنَّهُ العرب بالسنتها. وعبر الناس يقرأُون في مصحف عثمان نيفاً واربعين سنةً ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق في ايام عبد الملك بن مروان الى ان قام النصر بن عاصم ووضع النقط افراداً وازواجاً وخالف بين اماكنها فعبر الناس بذلك لا يكتبون الاَّ منقوطاً فكان مع استعمال النقط يقع التصحيف ايضاً فاحدثوا الاعجام ومع ذلك جميعه لا بد عن الاخذ من افواه الرجال بالتلقين.

وقد قال صاحب الشريعة الاسلامية انزل القرآن على سبعة احرف فاقرأُوا ما تيسر منهُ الاَّ انهم اختلفوا في المراد من قولهِ على سبعة احرف على اقوال رجحوا منها ان المراد بها القرآآت السبع قال رفاعة بك الطهطاوي ان هذه القرآآت ضبطها الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً وان هذه الاحرف مختلف معانيها تارةً والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متباينة.

قال ابن خلدون المغربي وربما أُضيف الى فن القرآآت فن الرسم ايضاً وهي اوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومهُ الخطّية لان فيهِ حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في بايئيد وزيادة الالف في لا اذبحنهُ ولا اوضعوا والواو في جزاؤ الظالمين وحذف الالفات في مواضع دون اخرى وما رُسم فيهِ من التاآت ممدوداً والاصل فيهِ مربوط على شكل الهاء ولحاجات هذه المخالفة لاوضاع الخط وقانونهِ احتيج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضاً عند كتبهم في العلوم.

وهذا جميعهُ كان السبب في وضع العلوم أو بالحري فنون اللغة العربية قال صاحب تذكرة الحكم في طبقات الامم ان العلوم المستنبطة من القرآن الكريم قد عدَّ منها الامام الشافعي في مجلس هرون الرشيد ثلاثة وستين نوعاً وقد نصَّت العلماء العظام بانهُ قد تدوَّن منها في الكتب والرسائل ثلث مئة وستة وستون علماً واما العلوم اللازمة الى تفسيرهِ فهي اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والقراءة والاصول في الدين واصول الفقه واسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث وعلم الهبة الالهية.

فصلٌ

في البدع التي ظهرت واوجبت وضع علم الكلام عند المسلمين

اما علم الكلام (ويعبّر عنهُ النصارى بعلم اللاهوت) الذي هو عند المسلمين عقائد اهل السنَّة والجماعة وموضوعهُ حسب اختيار القاضي الارموي هو ذات الجلالة وعلى قول ابي حامد الغزالي وطائفة من المتكلمين هو الموجود مطلقاً بحيثية كونهِ موجوداً وقال جمهور المتاخرين ان موضوع الكلام هو العلوم بتلك الحيثية وهي الاثبات لهُ بالتعلق على العقائد الدينية تعلقاً قريباً او بعيداً فيكون اذاً موضوعهُ متناولاً لمباحث ذات الله وصفات الله وافعال الله وغايتُه السعادة في الدنيا والاخرة فلم يوجد داعٍ للاشتغال بهِ في مبادي ظهور الدين الاسلامي قال الامام المقريزي وقد كان في مبادي الامر لم يرد قط من صحيحٍ ولا سقيمٍ عن احدٍ من الصحابة انهُ سأل عن معنى شيءٍ مما ورد في القرآن من الصفات الالهية ولا فرق احد منهم بين كونها صفة ذات او صفة فعل وانما اثبتوا لهُ تعالى صفات ازلية من العلم والمقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وهكذا ثبتوا ما اطلقهُ سبحانهُ على نفسهِ من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين ولم يكن عند احد منهم ما يستدل بهِ على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد سوى القرآن ولا عرف احد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة.

ثم حدث في زمنهم القول بالقدَر وتسمت اصحابُه بالقدَريَّة وهم الذين اخذ السلَف في ذمهم وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث وبعدهُ حدث ايضاً مذهب الخوارج الذين صرَّحوا بالتكفير بالذنب والخروج على الامام وقتالِه واخيراً حدث كذلك مذهب التشيُّع لعلي بن ابي طالب والغلوّ فيهِ الى ان قالوا بان الجزء الالهي يحل في الايمة بعدهُ يريدون بذلك خلفاءه من نسلِه والسبب الاعظم في ذلك هو اختلاف الاغراض السياسية والتحزبات الشخصية لاجل ايجاد عصابة دينية اخرى غير العصابة الاسلامية التي كانت تجمع بين عامة المسلمين في مبدا ظهور هذا الدين وبواسطتها تغلَّبوا على ما تغلبوا عليهِ من البلاد التي افتتحوها لكي تقوم مقامها في نوال تلك المقاصد التي كانت تُحسَب في مبادي الامر ثانوية بالنسبة الى الدين ولكنها اخيراً صارت عند البعض منهم اهمّ من غيرها حتى انها ليس فقط اوصلت الى ما يضاد مبادي الدين

الاسلامي ويغاير مقاصدهُ بل ولما ينافيهِ كل المنافاة أيضاً نظير ديانتي النصيرية والدروز اللتين سوف يأتي الكلام عليهما في الخاتمة فضلاً عن انقسام القوم الى سنية وشيعية كما هو الحاصل في أيامنا هذه.

ثم بعد عصر الصحابة ظهر مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق وفي اثناء ذلك ظهر مذهب المعتزلة ايضاً ثم مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال ثم مذهب القرامطة اصحاب علم الباطن واقبلت اصحاب هذه المذاهب على النظر في كتب الفلاسفة التي تُرجمت في عهد المأمون سابع الخلفاء العباسيين في بداءة القرن الثالث للهجرة واكثروا من التصفح لها فعظم بالفلسفة ضلالهم وقويت شوكة الرافضة عند ما قوي امر الخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب ودولة بني بويه ببلاد المشرق وكانت بينهم وبين اهل السنَّة من الفتن والحروب والمقاتل ما لا يمكن حصرهُ واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت البلاد الاسلامية منهم ولا زال الحال على هذا المنوال الى ان ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري وكان من المعتزلة ثم بدا لهُ فترك مذهب الاعتزال واشهر مذهباً انتشر في البلاد الاسلامية وتميز بهِ اهل السنة عن غيرهم من الفرق التي مر ذكرها وكان ذلك في اوائل القرن الرابع من التاريخ الاسلامي كما يتضح مما ياتي في محلهِ ومن ثمَّ اخذ العلماء في التوسع بمباحث علم الكلام وتمييز صحيحهِ من سقيمهِ بحسب ما وقع من الاختلافات الآتي ذكرها.

فصلٌ

في ملخص ما اختلفت بهِ الفرق الاسلامية المذكورة وما منها من الفرق التي يعتقدون هلاكها

فانقسم حينئذٍ المسلمون الى خمس فرق متباينة. وهي السنية والمرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج وتحت كلٍّ من الاربع الاخيرة فروع منهم من يخالف اهل السنة الخلاف البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فاقرب فرق المرجئة من قال ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معاً فقط وان الاعمال انما هي فرائض الايمان وشرائعهُ فقط وابعدهم اصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام واقرب فرق المعتزلة اصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسي وابعدهم اصحاب ابي الهذيل العلاف واقرب

مذاهب الشيعة اصحاب الحسن بن صالح بن حي وابعدهم الامامية واما الغالية فليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردة وشرك واقرب فرق الخوارج اصحاب عبدالله بن يزيد الاباضي وابعدهم الازارقة واما البطيخية ومن حجد شيئاً من القرآن او فارق الاجماع من العجاردة وغيرهم فيعتبرونهم كفّاراً باجماع الامة وقد حصروا الفرق الهالكة في عشر طوائف.

(الاولى المعتزلة) الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وان المعارف كلها عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعدهُ واكثرهم على ان الامامة بالاختيار وهم عشرون فرعاً.

احدهم الواصلية اصحاب واصل بن عطا ابي حذيفة الغزال المتوفى سنة ١٣١ للهجرة اخذ العلم عن ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية وخالفهُ في الامامة واعتزالهُ يدور على اربع قواعد هي نفي الصفات والقول بالقَدَر والقول بمنزلة بين المنزلتين واوجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة والقول بان احدى الطائفتين من اصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها (قولهُ الجمل وصفين هي واقعة جرت بين الامام علي والخوارج).

الفرع الثاني العمروية اصحاب عمرو ومن قولهِ ترك قول علي بن ابي طالب وطلحة والزبير.

الثالث الهذلية اتباع ابي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومن قولهِ ان جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهي ان علم الله وقدرتهُ وحياتهُ هي ذاتهُ واثبت ارادات لا محل لها يكون الباري مريداً لها وقال بعض كلام الله لا في محل وهو قولهُ كن وبعضهُ في محل كالامر والنهي وقال في امور الآخرة كمذهب الجبرية وقال تنتهي مقدورات الله حتى لا يقدر على احداث شيء ولا على افناء شيءٍ ولا احياء شيءٍ ولا اماتة شيءٍ وتنقطع حركات اهل الجنة والنار ويصيرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين اعمال القلوب واعمال الجوارح وقال تجب معرفة الله قبل ورود السمع. وان المرء المقتول ان لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يُزاد العلم ولا ينقص بخلاف الرزق. وقال ارادة الله عين المراد-والحجة لا تقوم في ما غاب الاَّ بخبر عشرين.

الرابع النظامية اتباع ابرهيم بن سيار النظَّام زعيم المعتزلة انفرد بعدَّة مسائل وهي

قولهُ ان الله تعالى لا يُوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وانها غير مقدورة لله. وقال ليس لله ارادة وافعال العباد كلها حركات. والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط. وان كل ما جاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعلهُ. وانكر الجوهر الفرد واحدث القول بالطفرة. وقال الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت. وزعم ان الله خلق الموجودات دفعةً على ما هي عليهِ. وان الاعجاز في القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط. وانكر ان يكون الاجماع حجة. وطعن في الصحابة وقال ابو هريرة اكذب الناس وزعم انهُ ضرب فاطمة بنت صاحب الشريعة الاسلامية. ومنع ميراث العترة. واوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع. وحرَّم نكاح الموالي العربيات. وقال لا تجوز صلاة التراويح ونهى عن ميقات الحج. وكذَّب بانشقاق القمر. واحال رؤية الجنّ وزعم ان من سرق مئتي دينار فما دونها لم يفسق. وان الطلاق بالكتابة لا يقع وان كان بنيَّةٍ. وان من نام مضطجعاً لا ينتقض وضوءُ ما لم يخرج منهُ الحدث. وقال لا يلزم قضاء الصلوات اذا فاتت.

الخامس الاسوارية اتباع ابي علي عمرو بن قائد الاسواريّ القائل ان الله تعالى لا يقدر ان يفعل ما علم انهُ لا يفعلهُ.

السادس الاسكافية اتباع ابي جعفر محمد بن عبدالله الاسكافي ومن قولهِ ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وانهُ لا يُقال ان الله خالق المعازف والطنابير وان كان هو الذي خلق اجسامها.

السابع الجعفرية اتباع جعفر بن حرب بن ميسرة ومن قولِه ان في فساق هذه الامة من هو شرّ من اليهود والنصارى والمجوس. واسقط الحد عن شارب الخمر وزعم ان الصغائر من الذنوب توجب تخليد فاعلها في النار. وان رجلاً لو بعث رسولاً الى امرأةٍ ليخطبها فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليهِ حدٌّ ويكون وطؤهُ اياها طلاقاً لها.

الثامن البشرية اتباع بشر بن المعتمر ومن قولِه الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز ان تحصل متولدة. وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح. وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالماً وهو يقدر على ذلك. وقال ارادة الله من جملة افعالهِ ثم هي تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات. وقال باللطف المخزون وان الله لم يخلقهُ لان ذلك يوجب عليهِ الثواب. وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع لا بعدم الوقوع في الذي وقع فيهِ فان وقع لم تنفعهُ التوبة الاولى.

التاسع المزدارية اتباع ابي موسى عيسى بن صبيح راهب المعتزلة المعروف بالمزدار انفرد بمسائل منها قولهُ ان الله قادر على ان يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك في الربوبية.

وجوَّز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولُّد. وزعم ان القرآن مما يقدر عليهِ وان بلاغتهُ وفصاحتهُ لا تعجز الناس بل يقدرون على الاتيان بمثلها واحسن منها وهو اصل المعتزلة في القول بخلق القرآن. وقال من اجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاكّ في كفرهِ كافر ايضاً.

العاشر الهشامية اتباع هشام بن عمرو الفوطي الذي يبالغ في القَدَر ولا ينسب الى الله فعلاً من الافعال حتى انهُ انكر ان يكون الله هو الذي ألَّف بين قلوب المومنين وانهُ يحبُّ الايمان للمومنين وانهُ اضل الكافرين وعاند ما في القرآن من ذلك. وقال لا تنعقد الامامة في زمن الفتنة واختلاف الناس. وان الجنة والنار غير مخلوقتين. ومنع ان يُقال حسبنا الله ونعم الوكيل. وقال ان الوكيل دون الموكل. وقال لو اسبغ احد الوضو ودخل في الصلاة بنية القربة لله تعالى والعزم على اتمامها وركع وسجد مخلصاً في ذلك كلهِ الاَّ ان الله علم انهُ يقطعها في آخرها فان اول صلاتِه معصية. ومنع ان يكون البحر انفلق لموسى وان عصاهُ انقلبت حيَّة وان المسيح احيى الموتى باذن الله. وان القمر انشق لصاحب الشريعة الاسلامية. وانكر كثيراً من الامور التي تواترت كحصر عثمان بن عفان وقتلهِ بالغلبة وقال انما جاءتهُ شرذمة قليلة تشكو عما لهُ ودخلوا عليهِ وقتلوهُ فلا يُدرى قاتلهُ. وان طلحة والزبير وعلي بن ابي طالب ما جاءوا للقتال في حرب الجمل وانما برزوا للمشاورة وتقاتل اتباع الفريقين في ناحيةٍ اخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركت الظلم والفساد احتاجت الى امامٍ يسوسها فاما اذا عصت وفجرت وقتلت واليها فلا تنعقد الامامة لاحدٍ وبنى على ذلك ان امامة عليٍّ لم تنعقد لانها كانت في حال الفتنة بعد قتل عثمان. وانكر افتضاض الابكار في الجنة. وانكر ان الشيطان يدخل في الانسان وانما يوسوس لهُ من خارج والله يوصل وسوستهُ الى قلب ابن آدم. وقال لا يُقال خلق الله الكافر لانهُ اسم العبد والكفر جميعاً وانكر ان يكون في اسماء الله الضارّ النافع.

الحادي عشر الحائطية اتباع احمد بن حائط. ومن قوالهِ ان للخلق الهين احدهما خالق وهو الاله القديم والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم. ومنها ان المسيح ابن الله وانهُ هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة وانهُ هو المعنى بقولهِ في القرآن هل ينظرون الاَّ ان ياتيهم الله في ظل من الغمام. وزعم في قول صاحبِ الشريعة الاسلامية ان الله خلق آدم على صورتِه ان معناهُ خلقهُ اياهُ على صورة نفسهِ. وان معنى قولِه ايضاً انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر انما اراد بهِ عيسى. وزعم ان في الدواب والطيور والحشرات حتى البقّ والبعوض والذباب انبياء لقولهِ في القرآن وان من امةٍ الاَّ خلا

فيها نذير. وقولهُ وما من دابةٍ في الارض ولا طائر يطير بجناحيهِ الاَّ امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيءٍ ولقول صاحب الشريعة الاسلامية لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها. وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ. وزعم ان الله ابتدا الخلق في الجنة وانما خرج من خرج منها بالمعصية. وطعن في صاحب الشريعة الاسلامية من اجل تعدد نكاحهِ وقال ابا ذرّ الغفاري انسك وازهد منهُ. وزعم ان كل من نال خيراً في الدنيا انما هو بعمل كان منهُ ومن نالهُ مرض او آفة فبذنبٍ كان منهُ. وزعم ان روح الله تناسخت في الايمة.

الثاني عشر الحمارية اتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم. ومن مذهبهم ان الممسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر اوجب المعرفة وهو لا فاعل لهُ وكذلك الجماع اوجب الولد فشك في خلق الولد. وان الانسان يخلق انواعاً من الحيوانات بطريق التعفين. وزعموا انهُ يجوز ان يقدّر الله العبد على خلق الحياة والقدرة.

الثالث عشر المعمرية اتباع معمر بن عباد السلمي وهو اعظم القَدَرية غلوًّا وبالغ في رفع الصفات والقدرة بالجملة وانفرد بمسائل منها ان الانسان يدير الجسد وليس بحالٍ فيه. والانسان عندهُ ليس بطويل ولا بعريض ولا ذي لون وتأليف وحركة ولا حالّ ولا متمكن. وان الانسان شيءٌ غير هذا الجسد وهو حي عالم قادر مختار. وليس هو بمتحركٍ ولا ساكن ولا متلون ولا يُرى ولا يُلمس ولا يحلُّ موضعاً ولا يحويهِ مكان. فوصف الانسان بوصف الالوهية عندهُ فان مدبر العالم موصوف عندهُ كذلك وزعم ان الانسان منعَّم في الحياة وموزر في النار وليس هو في الجنة ولا في النار حالاً ولا متمكناً. وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وان الاعراض لا تتناهى في كل نوع. وان الارادة من الله للشيء غير الله وغير خلقهِ وان الله ليس بقديم لان ذلك اخذ من قدم يقدم فهو قديم.

الرابع عشر الثمامية أتباع ثمامة بن اشرس النميري الذي جمع بين النقائض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطّر الى معرفة الله فليس بمأمور بها وهو كالبهائم ونحوها. وزعم ان اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة تراباً كالبهائم لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذ هم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى. وزعم ان الافعال كلها متولدة لا فاعل لها وان الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وان العقل هو الذي يحسن ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع. وان لا فعل للانسان الاَّ الارادة وما عداها فهو حدث.

الخامس عشر الجاحظية اتباع ابي عثمان عمرو بن الجاحظ ولهُ مسائل تميز بها عن اصحابه منها ان المعارف كلها ضرورية وليس شيءٌ من ذلك من افعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة. وان العباد لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها. وان الله لا يدخل احداً النار وانما النار تجذب اهلها بنفسها وطبيعتها. وان القرآن المنزل من قبيل الأجساد يمكن أن يصير مرةً رجلاً ومرةً حيواناً. وان الله لا يريد المعاصي وانهُ لا يرى. وان الله يريد بمعنى انهُ لا يغلط ولا يصح في حقهِ السهو قط وانهُ يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام.

السادس عشر الخياطية أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط من معتزلة بغداد زعم ان المعدوم شيءٌ وانهُ في العدم جسم ان كان حدوثهُ جسماً وعرض ان كان في حدوثِه عرضاً.

السابع عشر الكعبية اتباع ابي القاسم عبدالله بن احمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي من معتزلة بغداد ايضاً انفرد باشياء منها ان ارادة الله ليست صفة قائمة بذاتِه ولا هو مدبر لذاتِه ولا ارادتهُ حادثة في محل وانما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك ايضاً وانكر الرؤية وقال اذا قلنا انهُ يرى المرئيات فانما يرجع ذلك الى علمهِ بها وتمييزها قبل ان توجد.

الثامن عشر الجبائية اتباع ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة تفرد بمقالات منها ان الله تعالى يُسمى مطيعاً للعبد اذا فعل ما اراد العبد منهُ. وان الله محبل للنساء بخلق الولد فيهنَّ. وان كلام الله عرض يوجد في امكنة كثيرة وفي مكان بعد مكان من غير ان يعدم من مكانهِ الاول ثم يحدث في الثاني. وكان يقف في فضل عليّ على ابي بكر وفضل ابي بكر على علي ومع ذلك يقول ان ابا بكر خير من عمر وعثمان ولا يقول ان عليًّا خير من عمر وعثمان.

التاسع عشر البهشمية اتباع ابي هاشم عبد السلام بن ابي علي الجبائي انفرد في مقالاتِه التي منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم ان القادر منا يجوز ان يخلو عن الفعل والترك. وان القادر المأمور المنهي اذا لم يفعل فعلاً ولا ترك يكون عاصياً مستحق العقاب والذم لا على الفعل لانهُ لم يفعل ما أُمر بهِ. وان الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعلٍ مكتسب ولا على محدث منهُ وقال التوبة لا تصح من قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمهُ او يعتقدهُ قبيحاً وان كان حسناً. وان التوبة لا تصح مع الاصرار على منع حسنةٍ واجبة عليهِ. وان توبة الزاني بعد ضعفهِ عن الجماع لا تصحُّ. وزعم ان الطهارة غير واجبة وانما أُمِر العبد بالصلاة في حال كونهِ متطهراً. وان الطهارة

تجزىءُ بالماء المغصوب ولا تجزىءُ الصلاة في الارض المغصوبة. وزعم ان الزنج والترك والهنود قادرون على ان يأتوا بمثل هذا القرآن. وقال ابو علي وابنهُ ابو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة.

الفرع العشرون الشيطانية اتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كلاًّ من المعتزلة والروافض وقلما يوجد معتزلي الاَّ وهو رافضي الاَّ قليلاً منهم انفرد بقولهِ ان الله لا يعلم الشيءَ الاَّ ما قدرهُ وارادهُ وامَّا قبل تقديرهِ فيستحيل ان يعلمهُ ولو كان عالماً بافعال عبادهِ لاستحال ان يمتحهم ويختبرهم.

وللمعتزلة اسامٍ منها الثنوية سُموا بذلك لقولهم الخير من الله والشرّ من العبد ومنهم الكيسانية والناكثية والاحمدية والوهمية والبترية والواسطية والواردية سُموا بذلك لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ومن أُدخل النار لا يخرج منها قط. ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لا تحرق الاَّ مرَّةً. والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار. والواقفية القائلون بالوقف في خلق القرآن. ومنهم اللفظية القائلون الفاظ القرآن غير مخلوقة. ومنهم الملتزمة القائلون الله بكل مكان. ومنهم القبرية القائلون بانكار عذاب القبر.

(الفرقة الثانية المشبهة) وهم يغلون في اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم سبعة فروع.

الاول الهشامية اتباع هشام بن الحكم ويقال لهم ايضاً الحكمية ومن قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبهِ ويرمون مقاتل بن سليمان بانهُ قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق وان طولهُ مثل عرضهِ وعرضهُ مثل عمقِه وهو ذو لون وطعم ورائحة وهو سبعة اشبار بشبر نفسِه ولم يصح هذا القول عن مقاتل.

الثاني الجولقية اتباع هشام بن سالم الجولقي وهو من الرافضة ايضاً ومن قولِه ان الله تعالى على صورة الانسان نصفهُ الاعلى مجوف ونصفهُ الاسفل مصمت ولهُ شعر اسود وليس بلحمٍ ودم بل هو نور ساطع ولهُ خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم وعين واذن وشعر اسود لا الفرج واللحية.

الثالث البيانية اتباع بيان بن سمعان القائل هو على صورة الانسان ويهلك الاَّ وجههُ لظاهر الآية كل شيءٍ هالكٌ الاَّ وجههُ.

الرابع المغيرية اتباع مغيرة بن سعيد العجلي وهو ايضاً من الروافض ومن اقوالِه ان اعضاء المعبود على صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميهِ. وزعم انهُ رجل

من نور على راسِه تاج من نور. وزعم ان الله كتب باصبعِه اعمال العباد من طاعة ومعصية ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقهِ بحران عذب ومالح وزعم انهُ بكل مكان لا يخلو منهُ مكان.

الخامس المنهالية اصحاب منهال بن ميمون. والسادس الزرارية اتباع زرارة بن اعين. والسابع اليونسية اتباع يونس بن عبد الرحمن القمّي وكلهم من الروافض وسيأتي ذكرهم. ومنهم ايضاً السابية والشاكية والعملية والمستثنية والبدعية والعشرية والاترية. ومنهم الكرامية اتباع محمد بن كرَّام السجستاني وهم طوائف الهيضمية والاسحاقية والجندية وغير ذلك الاَّ انهم يُعدُّون فرقة واحدة لان بعضهم لا يكفر بعضاً وكلهم مجسمة الاَّ ان فيهم من قال هو قائِم بنفسِه. ومنهم من قال هو اجزاءٌ مؤتلفةٌ ولهُ جهات ونهايات. ومن قول الكرامية ان الايمان هو قول مفرد وهو قول لا اله الاَّ الله وسواءٌ اعتقد اولا. وزعموا ان الله جسم ولهُ حدّ ونهاية من جهة السفل وتجوز عليهِ ملاقاة الاجسام التي تحتهُ وانهُ على العرش والعرش مماس لهُ. وانهُ محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والمسموعات. وان الله لو علم أنَّ احداً من عبادهِ لا يؤمن بهِ لكان خلقهُ اياهم عبثاً. وانهُ يجوز ان يعزل نبيًّا من الانبياء والرسل. ويجوز على الانبياء كل ذنب لا يوجب حدًّا ولا يسقط عدالةً. وانهُ يجب على الله تواتر الرسل. ويجوز ان يكون امامان في وقت واحد. وان عليًّا ومعاوية كانا امامين الاَّ ان عليًّا كان على السنة ومعاوية على خلافها. وانفرد ابن كرام في الفقه بأشياء منها ان المسافر يكفيهِ من صلاة الخوف تكبيرتان واجاز الصلاة في ثوبٍ مستغرق في النجاسة. وزعم ان الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفي نية الاسلام وان النية تجب في النوافل. وانهُ يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عمداً ثم البناء عليها. وزعم بعض الكرامية ان لله علمين احدهما يعلم بهِ جميع المعلومات والآخر يعلم بهِ العلم الاول.

(الثالثة القدرية) الغلاة في اثبات القدرة للعبد في اثبات الخلق والايجاد وانهُ لا يحتاج في ذلك الى معاونة من جهة الله تعالى.

(الفرقة الرابعة المجبرة). الغلاة في نفي استطاعة العبد قبل الفعل وبعدهُ ومعهُ ونفي الاختيار لهُ ونفي الكسب وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افترقت المجبرة على ثلاث فرق.

الجهمية اتباع جهم بن صفوان الترمذي الذي قتل في آخر دولة بني امية وهو ينفي الصفات الالهية كلها ويقول لا يجوز ان يُوصف الباري تعالى بصفةٍ يُوصف بها خلقه. وان الانسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وان الجنة والنار

يفنيان وتنقطع حركات اهلهما. وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يكفر لان العلم لا يزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفرهُ المعتزلة في نفي الاستطاعة وكفرهُ اهل السنة بنفي الصفات وخلق القرآن ونفي الرؤية. وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر. وزعم ان علم الله حادث لا بصفةٍ يوصف بها غيرهُ.

والبكرية اتباع بكر ابن اخت عبد الواحد وهو يوافق النظام الذي مرَّ ذكرهُ في ان الانسان هو الروح. ويزعم ان الباري تعالى يُرى في القيامة في صورةٍ يخلقها ويكلم الناس منها. وان صاحب الكبيرة منافق في الدرك الاسفل من النار وحالهُ اسوأ من حال الكافر. وحرَّم اكل الثوم والبصل. واوجب الوضوء من قرقرة البطن.

والضرارية اتباع ضرار بن عمرو انفرد باشياء منها ان الله تعالى يُرى في القيامة بحاسةٍ زائدة سادسة. وانكر قراءة ابن مسعود. وشك في دين عامة المسلمين وقال لعلَّهم كفَّار. وزعم ان الجسم اعراض مجتمعة كما قالت النجارية. ومن جملة المجبرة البطيخية اتباع اسماعيل البطيخي والصباحية اتباع ابي صباح بن معمر والفكرية والخوفية.

(الفرقة الخامسة المرجئة) الارجاء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون لا يضر مع الايمان معصية كما انهُ لا ينفع مع الكفر طاعة. او يكون مشتقًا من الارجاء وهو التأخير لانهم اخروا حكم اصحاب الكبائر الى الآخرة وحقيقة المرجئة انهم الغلاة في اثبات الوعد والرجاء ونفي الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلاثة اصناف. صنف جمعوا بين الرجاء والقدر وهم غيلان وابو شمر من بني ضيفة. وصنف جمعوا بين الارجاء والجبر مثل جهم بن صفوان. وصنف قال بالارجاء المحض وهم اربع فرق.

اليونسية اتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمي الرافضي زعم ان الايمان معرفة الله والخضوع لهُ والمحبة والاقرار بانهُ واحد ليس كمثلهِ شيءٌ.

والغسانية اتباع غسان بن ابان الكوفي المنكر نبوة عيسى ومذهبهُ في الايمان كمذهب يونس الاَّ انهُ يقول كل خصلةٍ من خصال الايمان تُسمى بعض الايمان ويونس يقول كل خصلةٍ ليست بايمان ولا بعض ايمان. وزعم غسان ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعند ابي ضيفة الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس.

والثوبانية أتباع ثوبان المرجئي ثم الخارجي المعتزلي ويقولون لهُ جامع النقائص هاجر الخصائص ومن قولهِ الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل ما يجب في العقل فعلهُ فاوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية في ذلك.

والتؤمنية اتباع ابي معاذ التؤمني الفيلسوف زعم ان من ترك فريضة لا يقال لهُ فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق. وزعم ان هذه الخصال التي تكون جملتها ايماناً فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان. وان من قتل نبيًّا كفر لا لاجل القتل بل لاستخفافِه بهِ وبغضهِ لهُ.

ومن فرق المرجئة المريسية اتباع بشر بن غياث المريسي قال بنفي الصفات وخلق القرآن فاكفرتهُ الصفاتية بذلك. وزعم ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا استطاعة مع الفعل فاكفرتهُ المعتزلة بذلك. وزعم ان الايمان هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الربوبدي. ولما ناظرهُ الشافعي في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات قال لهُ نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفي الصفات ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقَدَر وخلق اكتساب العباد. وبشر هذا معدود من المعتزلة لنفي الصفات وقوله بخلق القرآن.

ومن فرق المرجئة الصالحية اتباع صالح بن عمرو بن صالح. والحجدرية اتباع حجدر بن محمد التميمي. والزيادية اتباع محمد بن زياد الكوفي. والشبيبية اتباع محمد بن شبيب. والناقضية. والبهشمية. ومن المرجئة جماعة من الايمة كسعيد بن جبير. وطلق بن حبيب. وعمرو بن مرة. ومحارب بن دثار. وعمرو بن ذر. وحماد بن سليمان. وابي مقاتل. وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة في انهم لم يكفروا بالكبائر ولا حكموا بتخليد مرتكبها في النار. ولا سبوا احداً من الصحابة ولا وقعوا فيهم.

(الفرقة السادسة الحرورية) الغلاة في اثبات الوعيد والخوف على المومنين والتخليد في النار مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة في النفي والاثبات والوعد والوعيد. ومن مفرداتهم ان من ارتكب كبيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج انهُ كافر وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافق في الدرك الاسفل من النار. فعند الحرورية ان الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يُسمى مومناً بل كافراً مشركاً والحكم فيهِ انهُ يخلد في النار واتفقوا على ان الايمان هو اجتناب كل معصية وقيل لهم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال علي بن ابي طالب.

(الفرقة السابعة النجارية) أتباع الحسين بن محمد بن عبدالله النجار كان حائكاً وقيل انهُ كان يعمل الموازين وهم يوافقون اهل السنة في مسألة القضاء والقدَر واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد وامامة ابي بكر ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات وخلق القرآن وفي الرؤية وهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة.

(الفرقة الثامنة الجهمية) اتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون اهل السنة في مسألة

القضاء والقدر مع ميل الى الجبر. وينفون الصفات والرؤية ويقولون بخلق القرآن وهم فرقة عظيمة وعدادهم في المعطلة المجبرة.

(الفرقة التاسعة الروافض) الغلاة في حب علي بن ابي طالب وبغض ابي بكر وعمر وعثمان وعايشة ومعاوية وآخرين من الصحابة قيل ان سبب تسميتهم بالروافض هو رفضهم زيداً ابن الامام علي بعد ان كانوا بايعوهُ عقب وفاة ابيهِ لكونهِ لم يوافقهم على التبرؤ من الشيخين وكان لما اختلف الناس في الامام بعد صاحب الشريعة الاسلامية وذهب الجمهور الى انهُ ابو بكر وقال العباسية والربوبدية هو العباس بن عبد المطلب لانهُ العمّ والوارث فهو احق من ابن العم. وقال العثمانية وبنو امية هو عثمان بن عفان. وذهب آخرون الى غير ذلك. وقال الرافضة هو علي بن ابي طالب ثم اختلفوا في الامامة اختلافاً كثيراً حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منها عشرون فرقة عدا عن الزيدية والصباحية الذين اقروا امامة ابي بكر ورأوا انهُ لا نصَّ في امامة علي واختلفوا في امامة عثمان فانكرها بعضهم واقرَّ بعضهم انهُ الامام بعد عمر بن الخطاب لكن قالوا ان عليًّا افضل من ابي بكر وامامة المفضول جائزة.

اما الغلاة فقالوا هو علي بالنصّ ثم الحسن وبعدهُ الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الاَّ بامامة علي فقط وقال آخرون نُصَّ على علي بالوصف لا بالعين والاسم. وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثني عشر آخرهم المهدي المنتظر وفرقهم العشرون هي:

الامامية وهم مختلفون في الامامة بعد صاحب الشريعة الاسلامية فزعم اكثرهم ان الامامة في علي بن ابي طالب واولادهِ بالنص. وان الصحابة كلهم ارتدوا الاَّ عليًّا وابنيهِ الحسن والحسين وابا ذر الغفاري وسلمان الفارسي وطائفة يسيرة. وذهب القطيعة منهم الى ان الامامة في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في علي بن الحسين ثم في محمد ابن علي ثم في جعفر بن محمد ثم في موسى بن جعفر ثم في علي بن موسى وقطعوا الامامة فلذلك سُموا بالقطعية. وقالت الناووسية جعفر بن محمد لم يمت وهو حي ينتظر. وقالت المباركية اتباع مبارك. الامام بعد جعفر بن محمد ابنُه اسماعيل بن جعفر ثم محمد بن اسماعيل. وقالت الشميطية اتباع يحيى بن شميط الاحمسي. الامامة بعد جعفر في ابنه محمد واولادهِ. وقالت المعمرية اتباع معمر الامامة بعد جعفر في ابنه عبدالله ابن جعفر وأولادِهِ ويُقال لهم الفطيحة لأن عبدالله بن جعفر كان أفطح الرجلين. وقالت الواقفية الامام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر وهو حي لم يمت وهو الامام المنتظر وسُموا الواقفية لوقوفهم على امامة موسى. وقالت الزرارية اتباع زرارة بن اعين الامام

بعد جعفر ابنه عبدالله الاّ انهُ سألهُ عن مسائل فلم يمكنهُ الجواب عنها فادَّعى امامة موسى بن جعفر من بعد أبيهِ. وقالت المفضلية أتباع المفضل بن عمرو الامام بعد جعفر ابنهٗ موسى وانهُ مات فانتقلت الامامة الى ابنهِ محمد بن موسى. وقالت المفوضة من الامامية ان الله تعالى خلق محمداً وفوض اليهِ خلق العالم وتدبيرهُ وقال بعضهم بل فوض ذلك الى علي بن ابي طالب.

الفرقة الثانية الكيسانية اتباع كيسان مولى علي بن ابي طالب وقيل غير ذلك زعموا ان الامام بعد علي ابنهُ محمد بن الحنفية ثم اختلفوا في الامام بعدهُ فقال بعضهم رجع الامر بعدهُ الى اولاد الحسن والحسين وقيل بل ان انتقل الى ابي هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفية وقالت الكربية اتباع ابي كرب بان ابن الحنفية حي لم يمت وهو الامام المنتظر ومن قول الكيسانية ان البدأ جائز على الله.

الفرقة الثالثة الخطابية اتباع ابي الخطاب محمد بن ابي ثور ومذهبهُ الغلوّ في جعفر ابن محمد الصادق وهو أيضاً من المشبهة وأتباعهُ خمسون فرقة وكلهم متفقون على ان الايمة مثل علي واولاده كلهم انبياء وانهُ لا بد من رسولين لكل امةٍ احدهما ناطق والآخر صامت فكان محمد ناطقاً وعلي صامتاً وان جعفر بن محمد الصادق كان نبيًّا ثم انتقلت النبوة الى ابي الخطاب الاجدع وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم وزعموا انهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة. وقالت المعمرية منهم الامام بعد ابي الخطاب رجل اسمُه معمر وزعموا ان الدنيا لا تفنىٰ وان الجنة هي ما يصيبُه الانسان من خير الدنيا والنار ضدُّ ذلك واباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلوة وقالوا بالتناسخ. وان الناس لا يموتون وانما تُرفع احوالهم الى غيرهم. وقالت البزيفية منهم ان جعفر بن محمد اله وليس هو الذي يراهُ الناس وانما تشبه على الناس. وزعموا ان كل مؤمن يوحى اليهِ وان منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد وزعموا انهم يرون امواتهم بكرةً وعشيًّا. وقالت العميرية منهم اتباع عمير بن بيان العجلي مثل ذلك كلِه وخالفوهم في ان الناس لا يموتون. وافترقت الخطابية بعد قتل ابي الخطاب فرقاً منها فرقة زعمت ان الامام بعد ابي الخطاب عمير بن بيان العجليٰ ومقالتهم كمقالة البزيفية الاّ ان هؤلاء اعترفوا بموتهم ونصبوا خيمةً على كناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق. ومن فرقهم المفضلية اتباع مفضل الصيرفي زعم ان جعفر بن محمد اله وزعمت الخطابية باجمعها ان جعفر بن محمد الصادق اودعهم جلداً يقال لهُ جفر فيهِ كل ما يحتاجون اليهِ من علم الغيب وتفسير القرآن وزعموا ان الآية في القرآن ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة معناهُ عايشة ام المومنين وان الخمر والميسر ابو بكر وعمر

وان الجبت والطاغوت معوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص.

الفرقة الرابعة الزيدية اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القائلون بامامتهِ وامامة من اجتمع فيهِ ست خصال العلم والزهد والشجاعة وان يكون من اولاد فاطمة الزهرا حسنيًّا او حسينيًّا ومنهم من زاد صباحة الوجه وان لا يكون فيهِ افة. وهم يوافقون المعتزلة في اصولهم كلها الاَّ في مسألة الامامة وهم اربع فرق الجارودية اتباع ابي الجارود ويكنى ابا النجم زياد بن المنذر العبدي زعم ان صاحب الشريعة الإسلامية نصَّ على امامة علي بالوصف لا بالتسمية وان الناس كفروا بتركهم مبايعة علي والحسن والحسين واولادهما والجريرية اتباع سليم بن جرير ومن قولهم لم يكفر الناس بتركهم مبايعة علي بل اخطأوا بترك الافضل وهو علي وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة الاَّ انهم كفروا عثمان بن عفان بالاحداث التي احدثها وقالوا لم ينص علي على امامة احدٍ وصار الامر من بعدهِ شورى. ومنهم البترية اتباع الحسن بن صالح بن كثير الابتر وهم يقولون ان عليًّا افضل واولى بالامامة غير ان ابا بكر كان اماماً ولم تكن امامتهُ خطأً ولا كفراً بل تَرَك علي الامامة لهُ واما عثمان فيتوقف فيهِ. ومنهم اليعقوبية اتباع يعقوب وهم يقولون بامامة ابي بكر وعمر ويتبرأُون ممن تبرَّأَ منهما وينكرون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرأُون ممن دان بها الاَّ انهم متفقون على تفضيل علي على ابي بكر وعمر من غير تفسيقهما ولا تكفيرهما ولا لعنهما ولا الطعن على احدٍ من الصحابة.

والفرقة الخامسة السبائية اتباع عبدالله بن سبا الذي قال شفاهاً لعلي بن ابي طالب انت الاله ولهُ قصة طويلة في هذا المعنى لا يسعنا ايرادها هنا.

والفرقة السادسة الكاملية اتباع ابي كامل الذي اكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة علي وكفر علياً بتركهِ قتالهم وقال بتناسخ الانوار الالهية في الايمة.

الفرقة السابعة البيانية اتباع بيان بن سمعان زعم ان روح الاله حل في الانبياء ثم في علي وبعدهُ في محمد بن الحنفية ثم في ابنهِ ابي هاشم عبدالله بن محمد ثم حل بعد ابي هاشم المذكور في بيان بن سمعان يعني نفسهُ.

الفرقة الثامنة المغيرية اتباع مغيرة بن سعيد العجلي مولى خالد بن عبدالله طلب الامامة لنفسهِ بعد محمد بن عبدالله بن الحسن وقال بالتشبيه الفاحش وادّعى النبوة وزعم ان معجزتهُ علمُه بالاسم الاعظم وانهُ يحيي الموتى وزعم ان الله لما اراد ان يخلق العالم كتب باصبعهِ اعمال عبادهِ فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقِه بحران احدهما

مالح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة وخلق من البحر المالح الكفرة. وزعم ان المهدي يخرج وهو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب.

الفرقة التاسعة الهشامية وهم صنفان احدهما اتباع هشام بن الحكم والثاني اتباع هشام الجولقي وهما يقولان لا تجوز المعصية على الامام وتجوز على الانبياء وان محمداً عصى ربهُ في اخذ الفداء من اسرى بدر وهما ايضاً من المشبهة.

الفرقة العاشرة الزرارية اتباع زرارة بن اعين احد الغلاة في الرفض ويزعم مع ذلك ان الله تعالى لم يكن في الازل عالماً ولا قادراً حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك.

الحادية عشرة الجناحية اتباع عبدالله بن معاوية ذي الجناحين بن ابي طالب زعم انهُ اله وان العلم ينبت في قلبهِ كما تنبت الكماة وان روح الاله دارت في الانبياء كما كانت في علي واولادهِ ثم صارت فيهِ ومذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح المحارم وانكروا القيامة وتأولوا الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في ما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات. وزعموا ان كل ما في القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل ما في القرآن من الفرائض التي امر بها كناية عمَّن يلزم موالاتهم مثل علي والحسن والحسين واولادهم.

الثانية عشرة المنصورية اتباع ابي منصور العجلي احد الغلاة المشبهة زعم ان الامامة انتقلت اليهِ بعد محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وانهُ عرج بهِ الى السماء بعد انتقال الامامة اليهِ وان معبودهُ مسح بيدِه على راسهِ وقال لهُ يا بُنيَّ بلّغ عني آية الكسف الساقط من السماء في قولهِ الآية وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم. وزعم ان اهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل عليّ بن ابي طالب واولادهِ وان اهل النار قوم تجب معاداتهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية.

الثالثة عشرة الغرابية زعموا ان جبريل اخطأ فانهُ أُرسل الى علي بن ابي طالب فجاءَ الى محمد وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا ان يقولوا العنوا صاحب الريش يعنون بذلك جبريل.

الرابعة عشرة الذَّمية بفتح الذال المعجمة زعموا ان الله بعث عليًّا بن ابي طالب نبيًّا وانهُ بعث محمداً ليظهر امرهُ فادَّعى النبوة لنفسهِ وارضى عليًّا بان زوَّجهُ ابنتهُ وموَّلهُ. ومنهم العليانية اتباع عليان بن ذراع السدوسي وقيل الاسدي كان يفضل عليًّا على

محمد ويزعم ان عليًّا بعث محمداً وكان يذم صاحب الشريعة الاسلامية لزعمهِ ان محمداً بُعث ليدعو الى علي فدعا الى نفسِه ومن العليانية من يقول بالهية محمد وعلي جميعاً ويقدمون محمداً في الالهية ويقال لهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة وهم اصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شيءٌ واحد والروح حالّة فيهم بالسوية لا فضل لواحدٍ منهم على الآخر وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم.

والخامسة عشرة اليونسية اتباع يونس بن‌عبد الرحمن القمي احد الغلاة المشبهة.

والسادسة عشرة الرزامية اتباع رزام بن سابق زعم ان الامامة انتقلت بعد علي بن ابي طالب الى ابنهِ محمد بن الحنفية ثم الى ابنهِ ابي هاشم ثم الى علي بن عبدالله بن عباس بالوصية ثم الى ابنهِ محمد بن علي فاوصى بها محمد الى ابي العباس عبدالله بن محمد السفاح الظالم المتردد في المذاهب الجاهل بحقوق اهل البيت.

السابعة عشرة الشيطانية اتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك المعتزلة والرافضة في جميع مذاهبهم وانفرد بزعمهِ ان الله لا يعلم الشيءَ حتى يقدرهُ وقبل ذلك يستحيل عملهُ.

الثامنة عشرة البسلمية وهم من الراوندية زعموا ان الامامة بعد صاحب الشريعة الاسلامية صارت في علي واولادهِ الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ثم في ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية وانتقلت منهُ الى علي بن عبدالله بن عباس بوصيته اليهِ ثم الى ابي العباس السفاح ثم الى ابي سلمة صاحب دولة بني العباس. وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من اهل مرو اعور يقال لهُ هاشم ادَّعى ان ابا سلمة الهاً انتقل اليهِ روح الله ثم انتقل اليهِ بعدهُ فانتشرت دعوتهُ هناك واحتجب عن اصحابه واتخذ لهُ وجهاً من ذهب فعرف بالمصيغ ثم ان اصحابهُ طلبوا رؤيتهُ فوَعدهم ان يريهم نفسهُ إن لم يحترقوا وعمل تجاه مرآهُ مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليهِ احترق بعضهم ورجع الباقون وقد فتنوا واعتقدوا انهُ اله لا تدركهُ الابصار ونادوا في حروبهم بالهيتهِ.

التاسعة عشرة الجعفرية. والعشرون الصباحية وهم الزيدية أمثال الُشيعة فانهم يقولون بامامة ابي بكر وانهُ لا نصّ في امامة علي مع انهُ عندهم افضل وابو بكر مفضول.

ومن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون ان عليًّا شريك محمد والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة الذين يزعمون ان جبريل اخطأ

والاسحاقية والخلفية الذين يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير الامام. والرجعية القائلون سيرجع علي بن ابي طالب وينتقم من اعدائِه والمتربصية الذين يتربصون خروج المهدي والامرية والجبية والجلالية والكريبية اتباع ابي كريب الضرير والحزنية اتباع عبدالله بن عمرو الحزنّي.

(الفرقة العاشرة الخوارج) ويقال لهم النواصب والحرورية نسبةً الى حروراء موضع خرج فيهِ اولهم على علي وهم الغلاة في حبّ ابي بكر وعمر وبغض علي بن ابي طالب وينقسمون الى عشرين فرقة.

الاولى الحكمية وقيل لهم ذلك لانهم خرجوا على علي في صفين وقالوا لا حكم الاّ لله ولا حكم للرجال.

الثانية الازارقة اتباع ابي راشد نافع بن الازرق الخارج بالبصرة في ايام عبدالله بن الزبير وهمَّ على التبرُّؤ من عثمان وعلي والطعن عليهما وان دار مخالفيهم دار كفر وان من اقام بدار الكفر فهو كافر وان اطفال مخالفيهم في النار ويحلُّ قتلهم وانكروا رجم الزاني وقالوا من قذف محصنةً حُدَّ. ومن قذف محصناً لا يحدُّ. ويقطع السارق في القليل والكثير.

الثالثة النجدات اتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفي الخارج باليمامة وكان راساً ذا مقالة مفردة وتسمَّى بامير المومنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان فاظهر مذهبهُ بمرو فعرفت اتباعهُ بالعطوية ومذهبهم ان الدين امران احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسولِه وتحريم دماء المسلمين واموالهم والثاني الاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملةً وما سوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها. وانهُ لا يأثم المجتهد اذا اخطأ. وان من خالف ان يعذب المجتهد فقد كفر. واستحلوا دماء اهل الذمة في دار التقية. وقالوا ان من نظر نظرة محرمة او كذب كذبةً واصرَّ على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر. ومن زنى او سرق او شرب خمراً من غير ان يصرَّ على ذلك فهو مومن غير كافر.

والرابعة الصفرية اتباع زياد بن الاصفر وافقوا الازارقة في جميع معتقداتهم الاَّ في قتل الاطفال. ويقال لهم ايضاً الزيادية والنكار ايضاً من اجل انهم ينقصون نصف علي وثلث عثمان وسدس عايشة.

الخامسة العجاردة اتباع عبد الكريم عجرد. والسادسة الميمونية اتباع ميمون بن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الاَّ في شيئين احدهما قولهم تجب البراءة

من الاطفال حتى يبلغوا ويصفوا الاسلام والثاني استحلال اموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال احدٍ خالفهم ما لم يقتل المالك فاذا قتل صار مالُه فيأ. الاَّ انهم اجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات اولاد الاخوة وبنات اولاد الاخوات فقط.

السابعة الشعيبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية الاَّ في الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية.

الثامنة الحمزية اتباع حمزة بن ادرك الشامي الخارج بخراسان في خلافة هرون الرشيد وكان يقول بالقدر فكفرتهُ الازارقة بذلك وقال اطفال المشركين في النار فكفرتهُ القدرية بذلك وكان لا يستحل غنائِم اعدائِه بل يأمر باحراق جميع ما يغنمهُ منهم.

التاسعة الحازمية وهم فرقة من العجاردة قالو في القدر والمشيئة كقول اهل السنة وخالفوا الخوارج في الولاية والعداوة فقالوا لم يزل الله تعالى محبًّا لاوليائِه ومبغضاً لاعدائِه.

العاشرة المعلومية مع المجهولية تباينتا في مسألتين احداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائِه فهو كافر. وقالت المجهولية لا يكون كافراً والثانية وافقت المعلومية اهل السنة في مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية في ذلك.

الحادية عشرة الصلتية اتباع عثمان بن ابي الصلت وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم من اسلم توليناهُ لكن نتبرأ من اطفالِه لانهُ ليس للاطفال اسلام حتى يبلغوا.

الثانية عشرة الاحسنية والثالثة عشرة المعبدية وهما فرقتان من الثعالبة اتباع ثعلبة ابن عامر. وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا في الاطفال فقال عبد الكريم نتبرأ منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لا نتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة على هذا الى ان خرج رجل عرف بالاخنس فقال نتوقف عن جميع من في دار التقية الاَّ من عرفنا منهُ ايماناً فانَّا نتولاهُ ومن عرفنا منهُ كفراً نتبرأُ منهُ ولا يجوز ان نبدأ احداً بقتال فتبرأت منهُ الثعالبة وسموهُ بالاخنس لانهُ خنس منهم اي رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل لها المعبدية اتباع معبد فخالفت الثعالبة في اخذ الزكاة من العبيد والبهائم وكفَّرت كل فرقةٍ منهما الاخرى.

الرابعة عشرة الشيبانية اتباع شيبان بن سلمة الخارج في ايام ابي مسلم الخراساني القائِم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معهُ فتبرأت منهُ الثعالبة لمعاونتهِ لابي مسلم وهو اول من اظهر القول بالتشبيه.

الخامسة عشرة الشبيبية اتباع شبيب بن يزيد بن ابي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف وهم على ما كانت عليهِ الحكمية الاولى الاَّ انهم انفردوا عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شبيب هذا امَّهُ غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلَّت الصبح بالمسجد الجامع.

السادسة عشرة الرشيدية اتباع رشيد ويقال لهم ايضاً العشرية من اجل انهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيهِ العشر فتبرأت كل فرقةٍ من الاخرى وكفرتها بذلك.

السابعة عشرة المكرمية اتباع ابي المكرم ومن قولهِ تارك الصلاة كافر وليس كفرهُ لترك الصلاة لكن لجهلهِ بالله وكذا قولهُ في سائر الكبائر.

الثامنة عشرة الحفصية اتباع حفص بن المقدام تفرد بقولهِ من عرف الله تعالى وكفر بمن سواهُ من رسول وغيرهِ فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك.

التاسعة عشرة الاباضية اتباع عبدالله بن اباض خرج في ايام مروان وكان من غلاة الحكمية.

الفرقة العشرون اليزيدية اتباع يزيد بن ابي انيسة وكان اباضيًّا فانفرد ببدعة وهي ان الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً جملةً واحدة ينسخ شريعة محمد.

ومن فرق الخوارج ايضاً الحارثية والاصومية اتباع يحيى بن اصوم والبيهسية اتباع ابي البيهس الهيصم بن خالد واليعقوبية اتباع يعقوب بن علي الكوفي ومن فرقهم الفضلية اتباع فضل بن عبدالله. والشمراخية اتباع عبدالله بن شمراخ. والضحاكية اتباع الضحاك. وتسمَّى الخوارج بالشراة ايضاً لاسباب يطول شرحها منها شدة غضبهم على اهل السنَّة اذ في اللغة شرى الرجل اذا استطار غضباً.

فصلٌ

في ما يتعلق باهل السنّة

هذا ما كانت عليهِ الاحوال بعد عصر الصحابة الى ان ظهر ابو الحسن الاشعري الذي اشهر مذهبهُ في بداءة القرن الرابع للهجرة كما ذكرنا في ما مرَّ وحقيقة مذهبهِ

انهُ سلك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهبَ اهل التجسيمِ وجملة عقيدتهِ ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع يسمع بصير يبصر وان صفاتِه ازلية قائمة بذاتِه تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيرهُ ولا هي هو ولا غيرهُ. وعلمهُ واحد يتعلق بجميع المعلومات. وقدرتهُ واحدة تتعلق بجميع ما يصحُّ وجودهُ وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص. وكلامهُ واحد هو امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامِه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي فالمدلول وهو القرآن المقروُ قديم ازلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءَة مخلوقة محدثة. قال وفرق بين القراءَة والمقروء والتلاوة والمتلو كما فرق بين الذكر والمذكور. قال والكلام معنى قائِم بالنفس والعبارة دالة على ما في النفس وانما تُسمَّى العبارة كلاماً مجازاً. قال واراد الله تعالى جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها ومال في كلامِه الى جواز تكليف ما لا يُطاق لقولِه ان الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبلهُ وهو غير مستطيع قبلهُ على مذهبهِ قال وجميع افعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد. والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقةً لا يشاركهُ في الخلق غيرهُ فاخصّ وصفِه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسمِه البارىء قال وكل موجود يصح ان يُرى والله تعالى موجود فيصح ان يُرى وقد صح السمع بان المومنين يرونهُ في الدار الاخرى في الكتاب والسنة ولا يجوز ان يُرى في مكانٍ ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كلهُ محال وماهية الرؤية لهُ فيها رايان احدهما انهُ علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم والثاني انهُ ادراك وراء العلم. واثبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما ادراكان وراء العلم. واثبت اليدين والوجه صفات خبرية ورد السمع بها فيجب الاعتراف بهِ. وخالف المعتزلة في الوعد والوعيد والسمع والعقل من كل وجه. وقال الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالاركان فروع الايمان فمن صدَّق بالقلب اي اقرَّ بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقاً لهم في ما جاءوا بهِ فهو مومن. وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبةٍ حكمهُ الى الله اما ان يغفر لهُ برحمتِه او يشفع لهُ صاحب الشريعة الاسلامية. واما ان يعذبهُ بعدلِه ثم يدخلهُ الجنة برحمتِه ولا يخلّد في النار مؤمن. قال ولا اقول انهُ يجب على الله سبحانهُ قبول توبتهِ بحكم العقل لانهُ هو الموجب لا يجب عليهِ شيءٌ اصلاً بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرّين وهو المالك لخلقه يفعل ما يشاءُ ويحكم ما يريد فلو ادخل الخلائق باجمعهم النار لم يكن جوراً ولو ادخلهم الجنة لم يكن حيفاً ولا يتصور

منهُ ظلم ولا يُنسَب اليهِ جور لانهُ المالك المُطلق. والواجبات كلها سمعية فلا يوجب العقل شيئاً البتة ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً فمعرفة الله تعالى وشكر المنعم واثابة الطائع وعقاب العاصي كل ذلك بحسب السمع دون العقل ولا يجب على الله شيءٌ لا صلاح ولا اصلح ولا لطف بل الثواب والصلاح واللطف والنعم كلها تفضل من الله تعالى. ولا يرجع اليهِ تعالى نفع ولا ضر فلا ينتفع بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر بل يتعالى ويتقدس عن ذلك. وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل فاذا بعث الله تعالى الرسول وايَّدهُ بالمعجزة الخارقة للعادة وتحدَّى ودعا الناس وجب الاصغاء اليهِ والاستماع منهُ والامتثال لاوامرهِ والانتهاء عن نواهيهِ. وكرامات الاولياء حق. والايمان بما جاء في القرآن والسنة من الاخبار عن الامور الغائبة عنا مثل اللوح والقلم والعرش والكرسيَ والجنة والنار حق وصدق. وكذلك الاخبار عن الامور التي ستقع في الاخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيهِ والحشر والمعاد والميزان والصراط وانقسام فريق في الجنة وفريق في السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف بهِ. والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النصّ والتعيين على واحدٍ معين والايمة مترتبون في الفضل ترتبهم في الامامة. قال ولا اقول في عايشة وطلحة والزبير الاَّ انهم رجعوا عن الخطا. واقول ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة. واقول في معاوية وعمرو بن العاص انهما بغيا على الامام الحق علي بن ابي طالب فقاتلهم مقاتلة اهل البغي وأقول ان أهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين وان عليًّا كان على الحق في جميع احوالِهِ والحق معهُ حيث دار.

قال الامام المقريزي فهذه جملة من اصول عقيدتِهِ التي عليها الآن جماهير اهل الامصار الاسلامية والتي من جهر بخلافها أُريق دمهُ.

وقد انتشر هذا المذهب في العراق من نحو ٣٨٠ سنة للهجرة وانتقل منهُ الى الشام وعقد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي وخلفاؤه الخناصر وشدوا البنان على هذه العقيدة وتمادى الحال على ذلك حتى في ايام ملوك مصر الاتراك واتفق مع ذلك توجه عبدالله محمد بن تومرت احد رجالات المغرب الى العراق واخذ عن ابي حامد الغزالي مذهب الاشعري ثم عاد الى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم ووضع لهم عقيدةً لقّفها عنهُ عامتهم ثم مات فخلفهُ عبد المومن بن علي القيسي وتلقب بامير المومنين وغلب على ممالك المغرب هو واولادهُ من بعدهِ مدة سنين وتسموا بالموحدين فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت اذ هو عندهم الامام المعلوم والمهدي المعصوم واراقوا بسبب ذلك دماءً كثيرة.

فهذا هو السبب في انتشار مذهب الاشعري في امصار الاسلام بحيث نسي غيرهُ من المذاهب وجهل حتى لم يبقَ اليوم مذهب يخالفهُ الاَّ ان يكون مذهب الحنابلة اتباع الامام أحمد بن حنبل فانهم كانوا على ما كان عليهِ السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفات الى ان كان بعد القرن السابع من الهجرة اشتهر بدمشق واعمالها تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحراني فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على الاشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيهِ فريقين فريق يقتدي بهِ ويعوّل على اقوالِه ويعمل برأيهِ ويرى انهُ شيخ الاسلام وفريق يبدعهُ ويضللهُ ويزري عليهِ باثباتِه الصفات وينتقد عليهِ في مسائل غيرها.

وكذلك كان بين الاشاعرة والماتريدية اتباع ابي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وهم طائفة الفقهاء والحنفية مقلدو الامام ابي حنيفة النعمن من الخلاف في العقائد ما يبلغ نحو بضع عشرة مسألة تسبب عنها في اول الامر تباين وتنافر وقدح كلٌّ منهم في عقيدة الآخر الاَّ ان الامر آل اخيراً الى الاغضاء.

وكانت الاشاعرة يسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افترقوا في الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجيء على فرقتين فرقة تؤوّل جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء الاشعرية الاسرية فصار للمسلمين في ذلك خمسة اقوال احدها اعتقاد ما يُفهم مثلهُ من اللغة. وثانيها السكوت عنها مطلقاً. وثالثها السكوت عنها بعد نفي ارادة الظاهر ورابعها حملها على المجاز. وخامسها حملها على الاشتراك ولكل فريق ادلة وحجاج تضمنتها كتب اصول الدين عندهم ولا يزالون مختلفين فيها.

ولما كان الاختلاف الكائن بين اهل السنة هو في الفتيا ونبذ يسيرة في الاعتقادات فقد ذهبوا في ذلك الى اربعة مذاهب. مالكية وحنفية وشافعية وحنابلة وجميعهم يبنون ما ذهبوا اليهِ على القرآن واحاديث صاحب الشريعة الاسلامية.

وهناك حكاية اوردها ابن خلكان في ترجمة ابي القاسم محمود بن ناصر الدولة ابي منصور سبكتكين الملقب اولاً سيف الدولة منها يمكن ان تُعرف درجة الفرق والاختلاف بين الايمة المذكورين في الاجتهاد وملخصها ان هذا السلطان كان يستفسر الاحاديث فوجد اكثرها موافقاً لمذهب الشافعي فجمع الفقهاء من الحنفية والشافعية والتمس منهم الكلام في ترجيح احد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على ان يصلّوا بين يديهِ ركعتين

على مذهب الامام الشافعي وعلى مذهب ابي حنيفة لينظر فيهِ السلطان ويختار ما هو احسنهما فصلى القفال المروزي وكان شافعيًّا بطهارةٍ مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة واتى بالاركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجوه الكمال والتمام وقال هذه صلاة لا يجوّز الامام الشافعي دونها ثم صلى ركعتين على ما يجوّز ابو حنيفة فلبس جلد كلب مدبوغاً ثم لطخ ربعهُ بالنجاسة وتوضا بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتماع الذباب والبعوض وكان وضوءُ منكساً منعكساً ثم استقبل القبلة واحرم بالصلوة من غير نية في الوضو وكبَّر بالفارسية ثم قرأ آيةً بالفارسية ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهَّد وضرط في آخره من غير نية السلام وقال ايها السلطان هذه صلاة ابي حنيفة فقال السلطان لو لم تكن صلاة ابي حنيفة لقتلتك فانكرت الحنفية ان تكون هذه صلاة ابي حنيفة فامر القفال باحضار كتب ابي حنيفة وامر السلطان كاتباً نصرانيًّا يقرا المذهبين جميعاً فوُجدت الصلاة على مذهب ابي حنيفة على ما حكاهُ القفال.

ويستبين من بعض المؤلفات انهُ ظهر اخيراً في بلاد العرب مذاهب جديدة مضادة لاهل السنة منها مذهب الزيدية في بلاد اليمن قال رفاعة بك الطهطاوي ان هذا المذهب يبيح ترك الفروع ولا يوجب الاصل المشروع. ومذهب آخر في اليمن ايضاً ينتمي الى رجل يقال لهُ الشيخ المكرمي. ومذهب الوهابية في بلاد نجد والدرعية. ومذهب غيره في بلاد عمان يقول بعدم خصائص الاشراف ويشنع على قريش مع غاية الاسراف.

الخاتمة

في ما وصل الينا من اخبار القرامطة والنصيرية والدروز وهم من غلاة الشيعة الذين لا تحصيهم اهل السنة مع عداد المذاهب الاسلامية ولكنهم اهل ردَّةٍ وشرك ولذلك لم يُذكر عنهم شيءٌ في الطوائف التي يعتقدون هلاكها من الفرق الخمسة التي سبقت الاشارة اليها في الكلام على الفرق الاسلامية وينقسم الكلام هنا الى مقدمة وثلاثة فصول

المقدمة

في ظهور ميمون القدَّاح من غلاة الشيعة وترتيب مذهبهِ

يُحكى انهُ كان شخص بالعراق يُعرف بميمون القدَّاح من ولد ربصان النوبي الذي

يُنسَب الى النوبة ولُقِّبَ بالقدَّاح لكونه كان كحالاً يقدح العين وكان من غلاة الشيعة فولد ابناً يُعرف بعبدالله بن ميمون اتسع علمهُ وكثرت معارفهُ وكاد ان يطَّلع على جميع مقالات الخليقة فرتب لهُ مذهباً وجعلهُ في تسع دعوات ودعا الناس الى مذهبهِ فاستجاب لهُ خلق وكان يدعو الى الامام محمد بن اسماعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار لهُ مال واشتهرت دعاتهُ. وذلك في اواخر القرن الاول من الهجرة.

وصف دعوتهِ وترتيبها

الدعوة الاولى سؤال الداعي لمن يدعوهُ الى مذهبهِ عن المشكلات وتأويل الآيات والمعاني الامور الشرعيَّة وشيء من الطبيعيات والامور الغامضة فان كان المدعو عارفاً سلَّم لهُ الداعي والاَّ تركهُ يعمل فكرهُ في ما القاهُ عليهِ من الاسئلة وقال لهُ يا هذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر لهُ منكرون وبهِ جاهلون ولو علمت هذه الامة ما خصَّ الله بهِ الايمة من العلم لم تختلف فيتشوق حينئذٍ المدعو الى معرفة ما عند الداعي من العلم فاذا علم منهُ الاقبال اخذ في ذكر معاني القرآآت وشرائع الدين وتقرير ان الافة التي انزلت بالامَّة وشتتت الكلمة واورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أيمةٍ نصبوا لهم واقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير ان الناس لما عدلوا عن الايمة ونظروا في الامور بعقولهم واتبعوا ما حسن في رايهم وقلدوا سفلتهم واطاعوا سادتهم وكبراهم اتباعاً للملوك وطلباً للدنيا التي هي ايدي متبعي الاثم واجناد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجتهدون في طلب الرئاسة على الضعفاء ومكايدة رسول الله في امتهِ وتغيير كتاب الله وتبديل سنَّة نبيهِ ومخالفة دعوتِه وافساد شريعتهِ وسلوك غير طريقتهِ ومعاندة الخلفاء الايمة من بعدهِ فصار الناس الى انواع الضلالات فان دين محمد ما جاء بالتحلي ولا باماني الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خفَّ على الالسنة وعرفتهُ دهماء العامَّة ولكنَّهُ صعب مستصعب وامر مستقبل وعلم خفي غامض سترهُ الله في حجبهِ وعظم شانه عن ابتذال اسرارهِ فهو سر الله المكتوم وامرهُ المستور الذي لا يطيق حملهُ ولا ينهض باعبائِه وثقلِه الاَّ ملك مقرّب او نبي مرسل او عبد مومن امتحن الله قلبهُ للتقوى.

فاذا ارتبط المدعو على الداعي وانس لهُ نقلهُ الى غير ذلك فمن مسائلهم ما معنى رمي الجمار والعدو بين الصفا والمروة. ولِمَ كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة. وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير

القذر. وما بال الله خلق الدنيا في ستة ايام أعجز عن خلقها في ساعة واحدة. وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلاً. والكاتبين الحافظين وما لنا لا نراهما أخاف ان نكابرهُ ونجاحدهُ حتى ادلى العيون واقام علينا الشهود وقيَّد ذلك في القرطاسَ بالكتابة. وما تبديل الارض غير الارض. وما عذاب جهنم. وكيف يصح تبديل جلدٍ مذنبٍ بجلدٍ لم يذنب حتى يُعذّب. وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية. وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا بهِ واين مستقرهم وما مقدار قدرهم. وما ياجوج وماجوج وهاروت وماروت واين مستقرهم. وما سبعة ابواب النار. وما ثمانية ابواب الجنة. وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم. وما دابة الارض. ورؤوس الشياطين. والشجرة الملعونة في القرآن. والتين والزيتون. وما الخنس الكنس. وما معنى الم والمص. وما معنى كهيعص وحمعسق. ولمَ جُعلت السموات سبعاً والارضون سبعاً. والمثاني من القرآن سبع آيات. ولمَ فجرت العيون اثنتي عشرة عيناً. ولمَ جعلت الشهور اثني عشر شهراً. وما يعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة. فكروا اولاً في انفسكم اين ارواحكم وكيف صورها واين مستقرها وما اوَّل امرها. والانسان ما هو وما حقيقتُه وما الفرق بين حياتهِ وحياة البهائمِ. وفضل ما بين حياة البهائِم وحياة الحشرات. وما الذي بانت بهِ حياة الحشرات من حياة النبات. وما معنى قول رسول الله خُلقت حواء من ضلع آدم. وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير. ولمَ كانت قامة الانسان منتصبة دون غيرهِ من الحيوانات. ولمَ كان في يديهِ من الاصابع عشر وفي رجليهِ عشر اصابع وفي كل اصبع من اصابع يديهِ ثلاثة شقوق الاَّ الابهام فان فيهِ شقين فقط. ولمَ كان في وجههِ سبع ثقب وفي سائر بدنِه ثقبان. ولمَ كان في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقِه سبع عقد. ولمَ يجعل عنقهُ صورة ميم ويداهُ حاء وبطنهُ ميماً ورجلاهُ دالاً حتى صار ذلك كتاباً مرسوماً يترجم عن محمد. ولمَ جُعِلَت قامتهُ اذا انتصب صورة الف واذا ركع صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكانت كتاباً يدل على الله ولمَ جُعلت اعداد عظام الانسان كذا واعداد اسنانِه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشريح. والقول في العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان.

ثم يقول الداعي ألا تتفكرون في حالكم وتعتبرون وتعلمون ان الذي خلقكم حكيم غير مجازف وانهُ فعل جميع ذلك لحكمةٍ ولهُ فيها اسرار خفية حتى جمع ما جمع وفرَّق ما فرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عزَّ وجلَّ وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم

يتفكرون سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انهُ الحق فاي شيء رآه الكفار في انفسهم وفي الافاق حتى عرفوا انهُ الحق واي حقٍّ عرفهُ من حجد الديانة ألا يدلكم هذا على ان الله جلَّ اسمهُ اراد ان يرشدكم الى بواطن الامور الخفية واسرار فيها مكتومة لو تنبهتم لها وعرفتموها لزالت عنكم كل حيرةٍ ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التي من جهلها كان حريًّا ان لا يعلم غيرها اليس الله تعالى يقول ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضلّ سبيلاً ونحو ذلك من تأويل القرآن وتفسير السنن والاحكام وايراد ابواب من التجويز والتعليل.

فاذا علم الداعي ان نفس المدعو قد تعلقت بما سألهُ عنهُ وطلب منهُ الجواب عنها قال لهُ حينئذٍ لا تعجل فان دين الله اعلى واجلّ من ان يبذل لغيرِ اهلهِ ويجعل غرضاً للعب وجرت عادة الله وسنتهُ في عبادهِ عند شرع من نصبهُ ان يأخذ العهد على من يرشدهُ ولذلك قال واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وقال عزَّ وجلَّ من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليهِ فمنهم من قضى نحبهُ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً وقال جلّ جلالُه يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً. وقال لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل. ومن امثال هذا فقد اخبر الله تعالى انهُ لم يملّك حقَّهُ الاَّ لمن اخذ عهدهُ فاعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموكد من ايمانك وعقودك ان لا تفشي لنا سرًّا ولا تظاهر علينا احداً ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحاً ولا توالي لنا عدوًّا.

صورة العهد الذي يُؤخذ على المدعو

وهو ان الداعي يقول لمن ياخذ عليهِ العهد ويحلفهُ جعلت على نفسك عهد الله وميثاقهُ وذمة رسولهِ وانبيائهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ وما اخذهُ على النبيين من عقدٍ وعهد وميثاق انك تستر جميع ما تسمعهُ وسمعتهُ وعلمتهُ وتعلمهُ وعرفتهُ وتعرفهُ من امري وامر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقراري لهُ ونصحي لمن

عقد ذمته وامور اخوانهِ واصحابهِ وولدهِ واهل بيتهِ المطيعين لهُ على هذا الدين ومخالصته لهُ من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ولا شيئاً يدل عليهِ الاَّ ما اطلقت لك ان تتكلم بهِ او اطلقهُ لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بامرنا ولا تتعداهُ ولا تزيد عليهِ وليكن ما تعمل عليهِ قبل العهد وبعدهُ بقولك وفعلك ان تشهد ان لا اله الاَّ الله وحدهُ لا شريك لهُ وتشهد ان محمداً عبدهُ ورسولهُ وتشهد ان الجنة حق وان النار حق وان الموت حق وان البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهادهِ على ما امر الله بهِ ورسولهُ وتوالي اولياء الله وتعادي اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننِه وسنن رسول الله ظاهراً وباطناً وعلانيةً سرًّا وجهراً فان ذلك يوكد هذا العهد ولا يهدمهُ ويثبتهُ ولا يزيلهُ ويقربهُ ولا يباعدهُ ويشدهُ ولا يضعفهُ ويوجب ذلك ولا يبطلهُ ويوضحهُ ولا يعميهِ كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء بهِ النبيون من ربهم على الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم. فيقول المدعو نعم. ثم يقول الداعي لهُ والصيانة لهُ بذلك واداء الامانة على ان لا تظهر شيئاً اخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب ولا على حال رضى ولا على رغبةٍ ولا في حال رهبةٍ ولا عند شدَّةٍ ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على الستر لذلك والصيانة لهُ على الشرائط المبينة في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقهُ وذمتهُ وذمة رسولهِ ان تمنعني وجميع من اسميهِ لك واثبتهُ عندك ممَّا تمنع منهُ نفسك وتنصح لنا ولوليك وليّ الله نصحاً ظاهراً وباطناً فلا تخن الله ووليهُ ولا احداً من اخواننا واوليائنا ومن تعلم انهُ منا بسببٍ في اهل ولا مال ولا راي ولا عهد ولا عقد تتأول عليهِ بما يبطلهُ فان فعلت شيئاً من ذلك وانت تعلم انك قد خالفتهُ وانت على ذكر منهُ فانت بريءٌ من الله خالق السموات والارض الذي سوى خلقك وألَّف تركيبك واحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسلهِ الاولين والآخرين وملائكتهِ المقربين الكروبين والروحانيين والكلمات التامات والسبع والمثاني والقرآن وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاهُ الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبدٍ رضي الله عنهُ وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائهِ وخذلك الله خذلاناً بيناً يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة وانت بريءٌ من حول الله وقوته ملجا الى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرَّم عليهِ بها الجنة وخلدهُ في النار ان خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاهُ وهو عليك غضبان ولله عليك

ان تحج الى بيتهِ الحرام ثلاثين حجة حجًا واجباً ماشياً حافياً لا يقبل الله منك الاَّ الوفاء بذلك وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفهُ فيهِ فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليهِ ولا يدخل عليك بذلك منفعة وكل مملوك لك من ذكر وانثى في ملكك او تستفيدهُ الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهم احرار لوجه الله وكل امرأة لك او تتزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهنَّ طوالق ثلاثاً بتةً طلاق الحرج لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وانا المستحلف لك لامامك وحجتك وانت الحالف لهما وان نويت او عقدت او اضمرت خلاف ما احملك عليهِ واحلفك بهِ فهذه اليمين من اولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الاَّ الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك. قل نعم. فيقول نعم. ولهم مع ذلك وصايا كثيرة قد اضرب عنها صاحب الاصل وبهذا كفاءَة.

فاذا اعطى العهد على هذه الصورة قال لهُ الداعي اعطنا جُعلاً من مالك نجعلهُ مقدمة امام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها والرسم في هذا الجُعل بحسب ما يراهُ الداعي فان امتنع المدعو امسك عنهُ الداعي وان اجاب واعطى نقلهُ الى الدعوة الثانية.

الدعوة الثانية لا تكون الاَّ بعد ما تقدم. فاذا تقرر في نفس المدعو جميع ما تقدم واعطى الجعل قال لهُ الداعي ان الله تعالى لم يرضَ في اقامة حقهِ وما شرعهُ لعبادهِ الاَّ ان ياخذوا ذلك عن ايمةٍ نصبهم للناس واقامهم لحفظ شريعتهِ على ما ارادهُ الله تعالى ويسلك في تقرير هذا ويستدل عليهِ بامور مقررة في كتبهم حتى يعلم ان اعتقاد الايمة قد ثبت في نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقلهُ الى الدعوة الثالثة.

الدعوة الثالثة مرتبة على الثانية وذلك انهُ اذا علم الداعي ممن دعاهُ ان ارتباطهُ على دين الله لا يُعلم الاَّ من قبل الايمة قرر حينئذٍ عندهُ ان الايمة سبعة قد رتبهم الباري تعالى كما رتب الامور الجليلة فانهُ جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعاً وجعل الارضين سبعاً ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات وهولاء الايمة السبعة هم علي بن ابي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي بن الحسين الملقب زين

العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائِم صاحب الزمان[1].

فاذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو شرع في ثلب بقية الايمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو ان محمد بن اسمعيل عندهُ علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن ان توجد عند احدٍ غيرهُ وان عندهُ ايضاً علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعندهُ سر الله تعالى في وجه تدبيرهِ المكتوم واتقان دلالتهِ في كل امرٍ يسأل عنهُ في جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كلهِ والتأويلات وتأويل التأويلات وان دعاتهُ هم الوارثون لذلك كلِه من بين سائر طوائف الشيعة لانهم اخذوا عنهُ ومن جهتهِ رووا وانهُ لا يستطيع احد من الناس المخالفين لهم ان يساويهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم الاَّ منهم ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما يطول شرحهُ فاذا انقاد المدعو واذعن لما تقرر نقلهُ الى الدعوة الرابعة.

الدعوة الرابعة لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فاذا تيقن منهُ صحة الانقياد قرر عندهُ ان عدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لاحكامها اصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الايمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بدَّ لهُ من صاحبٍ ياخذ عنهُ دعوتهُ ويحفظها على امتهِ ويكون معهُ ظهيراً لهُ في حياتِه وخليفة لهُ من بعد وفاتهِ الى ان يبلغ شريعتهُ الى احدٍ يكون سبيلهُ معهُ كسبيلِه هو مع نبيّهِ الذي اتبعهُ. ثم كذلك كل مستخلفٍ خليفة الى ان ياتي منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعةٍ اقتفوا فيها اثر واحدٍ هو اولهم ويُسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانهُ لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دورٍ ثانٍ يظهر فيهِ نبي ينسخ شرع من مضى من قبلِه وتكون الخلفاء من بعدهِ امورهم تجري كامر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبي ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابداً وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبلهُ ويكون صاحب

---

(١) الشيعة مختلفون في هذا القائِم فمنهم من يجعلهُ محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسمعيل بن جعفرٍ ومنهم من يعدُّ اسمعيل بن جعفر اماماً ثم يعدُّ ابنهُ محمد بن اسمعيل فاذا تقرر عند المدعو ان الايمة سبعة انحلَّ عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثني عشر اماماً وصار الى معتقد الاسماعيلية بان الامامة انتقلت الى محمد بن اسماعيل بن جعفر والاسماعيلية هم الذين يُسمُّون بالباطنية لانهم يقولون لكل ظاهرٍ من الاحكام الشرعية باطن ولكل تنزيلٍ تأويل.

الزمان الاخير. فكان اول هولاء الانبياء النطقاء آدم وكان صاحبهُ وسوسهُ (وفي بعض المؤلفات اسّهُ) ابنهُ شيت وعدُّوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثاني من الانبياء النطقاء نوح فانهُ نطق بشريعةٍ نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبهُ وسوسهُ ابنهُ سام وتلاهُ بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح. ثم كان الثالث من الانبياء ابرهيم الخليل فانهُ نطق بشريعةٍ نسخ بها شريعة نوح وآدم وكان صاحبهُ وسوسهُ ابنهُ اسمعيل ولم يزل يخلفهُ صامت بعد صامت حتى تمَّ دور السبعة الصمت وكان الرابع من الانبياء النطقاء موسى بن عمران وكان صاحبهُ وسوسهُ اخوهُ هرون ولما مات هرون في حياة موسى قام من بعد موسى يشوع بن نون خليفةً لهُ صمت على شريعتهِ وبلَّغها عنهُ فاخذها واحد بعد واحد الى ان كان آخر الصمت على شريعة موسى يحيى (يوحنا) بن زكريا. ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم نطق بشريعةٍ نسخ بها شرائع من كان قبلهُ وكان صاحبهُ وسوسهُ شمعون الصفا ومن بعد تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح كان السادس من الانبياء النطقاء محمد فانهُ نطق بشريعةٍ نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها الانبياء من قبلهِ وكان صاحبهُ وسوسهُ علي بن ابي طالب ثم من بعد علي ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث اسرارها وهم ابنهُ الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم اسمعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الايمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان محمد بن اسماعيل بن جعفر الذي انتهى اليهِ علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليهِ المرجع في تفسيرها دون غيرهِ وعلى جميع الكافة اتّباعهُ والخضوع لهُ والانقياد اليهِ والتسليم لهُ لان الهداية في موافقتهِ واتباعهِ والضلال والحيرة في العدول عنهُ فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة.

الدعوة الخامسة مترتبة على ما قبلها وذلك انهُ اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد اخذ الداعي يقرر انهُ لا بد مع كل امام قائمٍ في كل عصرٍ حجج متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدَّة هؤلاء الحجج ابداً اثنا عشر رجلاً في كل زمان كما ان عدد الايمة سبعة ويستدل لذلك بامورٍ منها ان الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً ولا بد في خلق كل شيءٍ من حكمةٍ والاَّ فلِمَ خلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة وجعل ايضاً السموات سبعاً والارضين سبعاً والبروج اثني عشر والشهور اثني عشر ونقباءَ بني اسرائيل اثني عشر نقيباً ونقباءَ محمد من الانصار اثني عشر نقيباً وخلق في كف كل انسان اربع اصابع وفي كل اصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثني عشر شقًا على انهُ في ابهام كل يد شقّان دلالة على ان الانسان بدنهُ كالارض واصابعهُ كالجزائر الاربع

والشقوق التي في الاصابع كالحجج والابهام الذي بهِ قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذي يقوّم الارض بقدر ما فيها والشقان اللذان في الابهام اشارةً الى ان الامام وسوسهُ لا يفترقان ولذلك صار في ظهر الانسان اثنتا عشرة خرزة اشارةً الى الحجج الاثني عشر وصار في عنقِه سبع فكان العنق عالياً على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والايمة السبعة وكذلك الاثقاب السبعة التي في وجه الانسان العالي على بدنِه واشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو ما دعاهُ اليهِ الداعي تقرر نقلهُ حينئذٍ الى الدعوة السادسة.

الدعوة السادسة لا تكون الاَّ بعد ثبوت جميع ما تقدم في نفس المدعو وذلك انهُ اذا صار الى الرتبة الخامسة اخذ الداعي في تفسيرِ معاني شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأُمورٍ مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعد تبين في ازمنةٍ من غير عجلة تؤدي الى ان هذه الاشياء وُضِعَت على جهة الرموز لمصلحة العامَّة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغيٍ بعضهم على بعض وتصدُّهم عن الفساد في الارض حكمةً من الناصبين للشرائع وقوةً في حسن سياستهم لاتباعهم واتقاناً منهم لِما رتَّبوهُ من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد من نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد ان احكام الشريعة كلها وُضعت على سبيل الرمز لسياسة العامَّة وان لها معاني أُخَر غير ما يدل عليهِ الظاهر نقلهُ الداعي الى الكلام في الفلسفة وحضَّهُ على النظرِ في كلام افلاطون وارسطو وفيثاغورس ومن في معناهم ونهاهُ عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزيَّن لهُ الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقرَّ ذلك عندهُ واعتقدهُ نقلهُ الى الدعوة السابعة ويحتاج ذلك الى زمان طويل.

الدعوة السابعة لا يفصح بها الداعي ما لم يكثر انسهُ بمن دعاهُ ويتيقن انهُ قد تأهل الى الانتقال الى رتبةٍ اعلى مما هو فيهِ فاذا علم ذلك منهُ قال ان صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغني بنفسهِ ولا بدَّ لهُ من صاحبٍ معهُ يعبّر عنهُ ليكون احدهما الاصل والآخر عنهُ كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلي لما يحويهِ العالم العلوي فان مدبر العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنهُ اول موجود بغير واسطة ولا سببٍ نشأ عنهُ واليهِ الاشارة بقولهِ تعالى انما امرهُ اذا اراد شيئاً ان يقول لهُ كن فيكون اشارةً الى الاول في الرتبة والآخر هو القُدر الذي قال فيهِ انَّا كل شيء خلقناهُ بقدر وهذا معنى ما نسمعهُ من ان الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح ما هو كائن واشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم ماخوذة من كلام الفلاسفة القائلين

الواحد لا يصدر عنهُ الاَّ واحد. واذا تقرر ما ذُكر في هذه الدعوة عند المدعو نقلهُ الداعي الى الدعوة الثامنة.

الدعوة الثامنة متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو ديناً لهُ قال لهُ الداعي اعلم ان احد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنهُ انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلَّة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيبٍ معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم لهُ ولا صفة ولا يُعبَّر عنهُ ولا يُقيَّد فلا يُقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينهُ وبين المحدثات والنفي يقتضي التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم امرهُ وكلمتهُ والمحدث خلقهُ وفطرتهُ كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عندهُ الداعي ان التالي يدأب في اعمالِه حتى يلحق بمنزلة السابق وان الصامت في الارض يدأب في اعمالهِ حتى يصير بمنزلة الناطق سواءً وان الداعي يدأب في اعمالِه حتى يبلغ منزلة السوس وحالهُ سواء وهكذا تجري امور العالم في اكوارهِ وادوارهِ ولهذا القول بسط كثير فاذا اعتقدهُ المدعو قرر عندهُ الداعي ان معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير اشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوى معاني فلسفية تنبيءُ عن حقيقة انية السماء والارض وما يشتمل العالم عليهِ باسرهِ من الجواهر والاعراض فتارةً برموز يعقلها العالمون وتارةً بافصاحٍ يعرفهُ كل احدٍ فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقرر عندهُ ايضاً ان القيامة والقرآن او الثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمهُ العامَّة وغير ما يتبادر الذهن اليهِ وليس هو الاَّ حدوث ادوار عند انقضاء ادوار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطهُ الفلاسفة في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقلهُ الداعي الى الدعوة التاسعة.

الدعوة التاسعة هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوهُ فاذا تيقن انَّ المدعو تأهَّل لكشف السر والافصاح عن الرموز احالهُ على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما وراء الطبيعة والعلم الالهي وغير ذلك من اقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعهُ وقال ما ذُكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادي وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاءُ النفس فيجدُ النبيّ في فهمِ ما يُلقى اليهِ ويتنزل عليهِ فيبرزهُ

الى الناس ويعبر عنهُ بكلام الله الذي ينظم بهِ النبي شريعتهُ بحسب ما يراهُ من المصلحة في سياسة الجميع ولا يجب حينئذٍ العمل بهما الاَّ بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماءِ بخلاف العارف فانهُ لا يلزمهُ العمل بها ويكفيهِ معرفتهُ فانها اليقين الذي يجب المصير اليهِ وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هي اثقال وآصار حملها الكفار اهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب ومن جملة المعرفة عندهم ان الانبياء النطقاء اصحاب الشرائع انما هم السياسة العامَّة وان الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة وان الامام انما وجودهُ في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليهِ وظهورهُ الآن انما هو ظهور امرهِ ونهيهِ على لسان اوليائهِ ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم التي منها اختصر صاحب الاصل ما تقدم ذكرهُ.

الفصل الاول

في سبب تسمية مقلدي هذا المذهب بالقرامطة وكيفية انتشارهِ

قد ذكرنا في المقدمة كيف كان نزول عبد الله بن ميمون القدَّاح صاحب هذه الدعوة بعسكر مكرم واشتهار دعاتهِ على هذه الصورة الى الامام محمد بن اسماعيل فانكر الناس عليهِ وهمُّوا بهِ ففرَّ الى البصرة ومعهُ من اصحابه الحسين الاهوازي فلما انتشر ذكرهُ بها طُلب فصار الى بلاد الشام واقام بسلمية وبها وُلد لهُ ابن سمَّاهُ احمد فقام احمد هذا بعد وفاة ابيهِ عبدالله المذكور بالدعوة وسير الحسين الاهوازي داعيةً لهُ الى العراق فلقي رجلاً يقال لهُ حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط وقيل حمدان بن قرمط عُرف بهذا اللقب من اجل قصر قامتِه وقصر رجليهِ وتقارب خطوهِ وكان يُقال لهُ صاحب الخال والمدَّثر والمطوّق فدعاهُ فاستجاب لهُ وقام بالامر واليهِ تُنسب القرامطة وكان ابتداءُ امرهِ في سنة ٢٦٤ للهجرة (سنة ٧٧٨م) وحيث كان ظهورهُ بسواد الكوفة اشتهر مذهبهُ بالعراق وسُمي تعليمهُ علم الباطن. ثم قام بالبحرين منهم ابو سعيد الجنابي من اهل جنابة وذلك في سنة ٢٨٨ للهجرة (سنة ٨٩١م) وابنهُ ابو طاهر سليمان ابن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي.

وذكر بن خلكان نقلاً عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن الشيخ ابي محمد الجويني ان الجنابي المذكور توغل في اكناف الاحساء ورجل آخر يقال لهُ ابن الشلمغاني توغل في اكناف بلاد الترك ورجل ثالث يُسمى بابي المغيث الحسين بن منصور الحلاج

الزاهد المشهور من اهل البيضا وهي بلدة بفارس ونشأ بواسط والعراق ارتاد قطر بغداد لأن هؤلاء الثلثة كانوا تواطأوا على قلب الدولة والتعرّض لافساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها.

وكان من حديث ابن الشلمغاني المذكور وهو ابو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن ابي الغراقر واظهر ذلك من فعلهِ ابو القسم الحسين بن روح الذي تسميهِ الامامية الباب عندما طُلب الشلمغاني هذا واستتر وهرب الى الموصل وبعد ان اقام بها سنتين انحدر الى بغداد وظهر منهُ انهُ يدَّعي الربوبية وقيل انهُ اتبعهُ على ذلك الحسين ابن القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب وزير المقتدر العباسي. وابنا بسطام وابرهيم ابن أحمد بن أبي عون وغيرهم فطلبوا في أيام وزارة ابن مقلة للدنسدر المذكور فلم يوجدوا ثم ظهر ابن الشلمغاني في سنة ٣٢٢ للهجرة (سنة ٩٣٣م) فقبض عليهِ ابن مقلة وحبسهُ وكبس دارهُ فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدَّعي انهُ على مذهبِه يخاطبونهُ بما لا يخاطب بهِ البشر بعضهم بعضاً فعرضت على ابن الشلمغاني فاقر انها خطوطهم وانكر مذهبهُ واظهر الاسلام وتبرأ مما يُقال فيهِ ثم أُحضر ابن ابي عون وابن عبدوس معهُ عند الخليفة فامرهما بصفعهِ فامتنعا فلما اكرها مدَّ ابن عبدوس يدهُ فصفعهُ واما ابن ابي عون فانهُ مد يدهُ الى لحيتهِ ورأسِهِ وارتعدت يدهُ وقبل لحية ابن الشلمغاني وراسهُ وقال الهي وسيدي ورازقي فقال لهُ الخليفة الراضي بالله قد زعمت انك لا تدَّعي الالهية فما هذا فاجابهُ ما عليَّ من قول ابن ابي عون والله يعلم انني ما قلت لهُ اني الهٌ قط فقال ابن عبدوس انهُ لم يدَّعِ الالهية وانما ادَّعى انهُ الباب الى الامام المنتظر ثم ان الخليفة استفتى بقتلهِ وبعد ذلك احرقهُ بالنار في السنة المذكورة وكذلك ابن ابي عون ضُرِبَت عنقهُ بعد ان ضُرب بالسياط ثم صُلب وأُحرق بالنار وكان من اعيان الكتَّاب ولهُ تآليف منها التشبيهات والاجوبة المسكتة.

وامّا الحلاج فقد قال الامام المقريزي انهُ كان في اول امرهِ يدّعي انهُ داعية المهدي ثم ادَّعى انهُ المهدي ثم ادعى الالهية وان الجنّ تخدمهُ وانهُ احيى عدَّةً من الطيور لكن ابن خلكان يقول ان الناس مختلفون في امر هذا الرجل منهم من يبالِغ في تعظيمِه ومنهم من يكفّرهُ وقال ايضاً في ترجمتهِ انهُ كان يعتذر عن الالفاظ التي كانت تصدر عنهُ مثل قولهِ انا الحق وقولهِ ما في الجنة الاَّ الله وحملها كلها على محامل حسنة واوّلها وقال هذا من فرط المحبة وشدَّة الوجد وجعل هذا مثل قول القائل :

انا من اهوى ومن اهوى انا　　نحن روحانِ حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرتهُ　　واذا ابصرتهُ ابصرتنا

ومن الشعر المنسوب اليهِ على اصطلاحهم واشاراتهم قولهُ:

لا كنتُ ان كنت ادري كيف كنت ولا لا كنت ان كنت ادري كيف لم اكن

وقولهُ ايضاً على هذا الاصطلاح:

القاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال لهُ اياك اياك ان تبتلَّ بالماء

وقد افتى اكثر علماء عصرهِ باباحة دمهِ فقُتل بامر المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ للهجرة (سنة ٩٢١م)

واما ابو طاهر بن ابي سعيد الجنابي فهو الذي نجح بين هولاء الجماعة وقد كان في مبدأ امرِه يظهر العبادة والتقشف وكان يسف الخوص وياكل من كسبهِ ويدعو الناس الى الامام من اهل البيت على ما ذكرنا فاستجاب لهُ خلق كثير وعظمت دولتهُ ودولة بنيهِ من بعدهِ حتى اوقعوا بعساكر بغداد واخافوا خلفاء بني العباس وفرضوا الاموال التي تُحمل اليهم في كل سنةٍ على اهل بغداد وخراسان والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعاتهم باقطار الارض فدخلت جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا الى قولهم الذي سمَّوهُ علم الباطن كما سبقت الاشارة الى ذلك لكونهم يؤولون شرائع الاسلام ويصرفونها عن ظواهرها الى امور زعموها كما يتضح ذلك من تفاصيل دعوة ابن القدَّاح التي ذكرناها ونهبوا الحجاج وقلعوا الحجر الاسود في زمن خلافة المقتدر بالله بن المعتضد العباسي الذي مرَّ ذكرهُ وانفذوهُ الى هجر وذلك في سنة ٣١٧ للهجرة المقابلة الى (سنة ٩٢٩م) لكن اخيراً ردُّوا هذا الحجر الى موضعِه واستعادوا ما امكن من اموال اهل مكة لما انكر على ابي طاهر المذكور فعلهُ هذا المهدي عبيد الله اول الخلفاء الفاطميين بافريقية وكان ذلك في سنة ٣٣٩ للهجرة (سنة ٩٥٠م) في ايام الخليفة المطيع لله العباسي بعد ان مكث هذا الحجر عندهم نحو اثنتين وعشرين سنةً.

حاشية

ومن تفاصيل دعوة ابن القداح وهذه الاخبار التي ذُكرت هنا عن القرامطة المذكورين يمكننا ان نعرف بعض المعرفة اذا لم تكن كلها عن الرجل الذي انتشرت اخبارهُ في الجرائد في هذه السنين الاخيرة ويقال لهُ هيبة الله وقد أسس مذهباً جديداً في بلاد العجم سمَّاهُ باب الحق زعم انهُ وفَّق فيهِ بين تعاليم الانجيل وتعاليم القرآن وانتشرت تعاليمهُ هذه بسرعةٍ منذ نحو ثلاثين سنة وانقاد اليهِ نحو مئتي ألف من الناس

ثم اقيمت عليهم الاضطهادات وقُتل منهم نحو عشرين الفاً ففرَّ هيبة الله المذكور مع رهطٍ من قومِهِ الى بغداد وكان يراسل قومهُ في بلاد العجم ولذلك طلبت دولة ايران الى الدولة العلية العثمانية تأمر بابعادهِ الى حيث لا يقدر ان يقيم مخابراتِه بسهولةٍ فارسلتهُ الدولة الى درنه، ومنها الى عكا وهو الآن مقيم فيها قال بعض الكتبة انهُ تمكَّن من زيارة هؤلاء القوم في فصل الربيع عام ١٨٧١م وهم في منفاهم والظاهر ان هيبة الله المذكور لا يواجه من الغرباء الاَّ الذين يطلبون اليهِ ان يعلمهم التعاليم الدينية ولذلك ما قدر ان يقابلهُ وانما قابل ولدهُ الذي يُظَنُّ انهُ ابن ثلاثين سنة وتلوح على وجههِ لوائح الحذق الشديد وشعر راسهِ ولحيتهِ اسود وكان لابساً ثوباً من الصوف الابيض وعلى راسهِ عمامة صغيرة بيضاءُ وعليه عباءٌ من الجوخ الابرش فسرَّ بمقابلتهِ ولكن تمنَّع ان يخبرهُ عن اصل هذا المذهب وتاريخه وقال الاوفق ان نتكلم عن امور روحية وكانت لوائح الوقار والجد تلوح على وجههِ وكان يتكلم باللغة العربية الفصحى وتبين لهُ منهُ انهُ كان يعرف التوراة والانجيل حقَّ المعرفة كما كان يعرف تاريخ الافكار الدينية في اوربا وكان يحاول ان يقنع الذين يسالونهُ بصحة معتقدهِ ويتكلم كمن يعرف انهُ اعرف من غيرهِ اي كما يكلّم المعلم تلاميذهُ ثم سأل الراوي قائلاً لهُ لماذالم يومن الاسرائيليون بالمسيح عندما اتاهم حال كونهم كانوا منتظرين قدومهُ فاجابهُ لانهم لم يفهموا التوراة حق الفهم فقال هذا هو الصواب وما ادرانا ان المسيحيين الآن لا يفهمون التوراة والانجيل كما كان الاسرائيليون لا يفهمونها ففهم من كلامهِ هذا ان مرادهُ يفهمهُ ان الله قد ارسل اباهُ ليعلم التعاليم الصحيحة ثم انهُ فهم ايضاً من رجل آخر من تلامذة هذا الرجل الحاذقين ان بعض قومهِ اذا لم يقل اكثرهم يقولون انهُ هو الملاك المحكى عنهُ في العدد الاول من الاصحاح الثامن عشر من رؤيا يوحنا وان تعاليمهُ الاساسية. اولاً ان المسيح هو ابن الله مخلص العالم. ثانياً انهُ مات وقام من بين الاموات. ثالثاً ان الخلاص يكون بالايمان بهِ. رابعاً ان الولادة الجديدة هي ضرورية للخلاص وان الاعمال الحسنة هي برهان التجديد. خامساً ان الروح القدس الفاعل في القلب ياتي بهذا التجديد. وانهم لا يعتمدون بالماء ولكنهم يختتنون ومع ذلك لا يعتبرون الختان من الفروض الدينية وقد كتب هيبة الله وغيرهُ كتابات كثيرة والظاهر انهم لا يومنون انها من الكتابات المُلهَم بها ويعتقدون ان المسيح سيرجع رجوعاً روحيًّا انتهى ملخصاً.

الفصل الثاني

في ما عُرف في هذه السنين الاخيرة عن دين النصيرية

ذكر ملطبرون هذه الامة في جغرافيتهِ فقال النصيرية فرقة قديمة سريانية كانت موجودة في زمن الرومانيين وكان لها شيخ خاصٌّ بها يُلقَّب الططرق وهو اميرها وان في هذا الاقليم وجد الافرنج الصليبيون الطائفة الشهيرة باسم الحشاشين الذين كان حاكمهم هو شيخ الجبل وكان اميراً عظيم السطوة (والحشاشين جمع حشاش وهو المتعاطي للحشيشة التي هي نبات مخدّر مغيّب) هذا ما كان من امر قدميتهم.

واما ما كان من امر نسبتهم التي هم عليها الآن فقد قال ابو الفداء نقلاً عن ابن سعيد ان النصيرية يُنسَبون الى نُصَير مولى علي بن ابي طالب ويزعمون ان عليًّا وقفت لهُ الشمس كما وقفت ليشوع بن نون وكلمتُه الجمجمة كما كلمت المسيح عيسى ابن مريم وانتحلوا فيهِ الالوهية. وقال الدكتور فان ديك الحكيم الاميركاني في جغرافيتهِ عند كلامهِ على القرامطة وقام من هذه الطائفة رجل يقال لهُ نُصَير الثمري وكان شيخاً كثير الصلوات والاصوام معدوداً عندهم من الاولياء فاختار من اصحابه اثني عشر رسولاً ينذرون بتعليمِه ولما شاع امرهُ قبض عليهِ الوالي والقاهُ في السجن وكان للسجان جارية اخذتها الشفقة على الشيخ حتى سكر السجان ذات يوم واستغرق في نومِه ففتحت السجن واطلقت الشيخ ثم ردَّت المفاتيح الى مكانها. فلما استيقظ السجان راى ان الشيخ قد هرب ولم يجد علامةً لفتح السجن فزعم ان ملاكاً اطلقهُ واذاع هذا الخبر لكي ينجو من غضب الوالي وبلغ الشيخ ايضاً فكان يؤكده للناس ويزداد اجتهاداً في اذاعة تعاليمهِ وكتب كتاباً يقول فيهِ انا فلان الذي يُظن بهِ انهُ ابن عثمان رايت المسيح الذي هو كلمة الله وهو احمد بن محمد بن حنفية من ولد علي وهو ايضاً جبرائيل الملاك فقال لي انت القاري انت الصادق انت الجمل الحافظ الغضب على الكافرين انت البقر الحامل خطايا المومنين انت الروح انت يوحنا بن زكريا فعلّم الناس ان يعملوا في صلواتهم اربع ركعاتٍ اثنتين قبل شروق الشمس واثنتين قبل غروبها متجهين الى جهة اورشليم وغير ذلك من التعاليم. وقيل انطلق هذا الرجل من ارض الكوفة الى برّ الشام واذاع تعاليمهُ هناك بين الناس الساذجين واخيراً اختفى ولم يُسمَع عنهُ بعد ذلك انتهى؛

وقال الشيخ سليمان الأَذني ان ابتداء الديانة النصيرية هو من محمد بن نُصَير ولعلهُ اراد بهِ انهُ ابن نُصَير الثمري المذكور. ثم قام بعدهُ رجل آخر اسمهُ محمد بن جندب.

ثم عبدالله الجنّان الجنبلان من بلد فارس. وبعدهُ قام الحسين بن حمدان الخصيبي. وهذا الرجل هو عندهم اعظم من كل من كان بعدهُ وهو الذي اكمل صلواتهم واذاع تعاليمهُ في البلدان ولما بلغ بغداد قبض عليهِ الوالي والقاهُ في السجن ولما لاحت لهُ الفرصة هرب واشهر بين اتباعهِ بان المسيح خلَّصهُ ليلاً. وهذا المسيح على زعمهم سوف ياتي الكلام عليهِ.

ثم ان النصيرية ينقسمون الى فرقتين شمالية وكلازية فالشمالية يمتازون بانهم لا يحلقون لحاهم ولا وجوههم وبعضهم يحرّمون اكل القرعِ الاصفر وشرب الدخان والباميا والفليفلة والبنادورة ويحرّمون ايضاً البنود ولبس الاحمر على الرجال واما الكلازيون فلا يعتقدون ذلك بل يحلقون لحاهم وان تركوها يحلقون وجوههم وحناجرهم وما حُرّم اكلهُ عند الشماليين فهو حلال عندهم وكذلك يمتازون عن الشماليين بكون ايمتهم يعني اكابر المتبحرين في الدين عندهم يلتزمون ان يقدموا نساءهم الى بعضهم بعضاً ويسمون هذا الاكرام فرضاً لازماً وحقًّا واجباً ويحكمون على من يخالفهُ بعدم الدخول الى الجنة.

وكلا الفريقين متفقان على تحريم الزنا الاَّ ما ذكرناهُ من هذه الخلة القبيحة الموجودة عند الكلازيين ويحرمان ايضاً لحم الانثى وهم بالاجمال يمتنعون من اكل لحم الجمل والخنزير والقنفذ وسمك الحنكليس وما كان اعور او اكتع او مخلوعاً من الحيوانات وبعضهم لا يأكل لحم الدابة الحائلة اما مشايخهم فلا يأكلون عند الأمم الغريبة عن جنسهم ولا من عِند الحكام حتى ولا من عند حكامهم انفسهم اذا تحققوا انهم يختلسون اموال الناس.

ويختلفون في العبادة بحسب تفاسيرهم كلام الحسين بن حمدان الخصيبي المذكور وغيرهِ من مؤلفي كتبهم الى اربعة انواع ترجع الى اصل واحد وهو علي بن ابي طالب فان الكلازية تعبد القمر وترى ان السواد الذي يظهر فيهِ هو علي المشار اليهِ وان لهُ يدين ورجلين وبدناً وعلى البدن راس وعلى الراس تاج وبيدِه سيف هو ذو الفقار ولذلك يُقال ان الكلازية تقرُّ بربوبية علي المرتضى والشمالية تقرُّ بربوبية محمد المصطفى ومنهم من يعبد السماء ومن يعبد الشفق ويتوجه وقت صلاتهِ نحو الشمس عند شروقها وغروبها ومنهم من يعبد الهواء ويستدل على ذلك بقول احد مشايخهم ياهو ياهو فيقرا هذه اللفظة بفتح الهاء والواو لتاتي على وفق مرادِه.

ويزعمون ان الالوهية لها اسم ومعنى اي ظاهر وباطن فالظاهر هو احرف معدودة تشير الى اشخاص معلومة لان الله اسم والاسم يحتوي على ثلاثة احرف وهي الالف

والسين والميم ويبتدئون باحرف الاسم من آخرهِ ويجعلون الميم محمد بن عبدالله وهو الذي تقر بربوبيتهِ الشمالية على ما ذكرنا ويسمونهُ السيد الميم اليهِ التسليم وحرف السين سلمان الفارسي وهو الباب والحجاب وحرف الالف هو المقداد بن ابي الاسود ويسمونهُ رب الناس واما المعنوية فهي التي استقرت اخيراً في علي بن ابي طالب الى ان تردَّى بالحلة الزرقاء وسكن في الشمس ولهذا يسجد بعضهم للشمس عند شروقها ومغيبها.

ويعتقدون ان محمداً متصل بعليٍّ ليلاً ومنفصل عنهُ نهاراً ويعنون ان الشمس هي محمد وان محمداً خلق السيد سلمان الفارسي وان هولاء الثلثة هم الثالوث الاقدس فعلي عندهم هو الآب ومحمد الابن وسلمان الروح القدس وقال بعضهم ان سلمان خلق المقداد والمقداد خلق الناس ولذلك يدعونهُ رب الناس واما الشيخ سليمان الأذني فيقول بانهم يزعمون بان سلمان المذكور خلق الايتام الخمسة الذين منهم المقداد الذي ذكرٍ والايتام الخمسة خلقوا كل العالم وان كل ترتيب السموات والارض بيدهم فالمقداد موكَّل بالرعود والصواعق والزلازل. وابو الدرّ موكل بدوران الكواكب والنجوم. وعبدالله بن رواحة موكَّل بالرياح وبقبض ارواح البشر ويعتقدون بانهُ عزرائيل. وعثمان موكَّل بالمَعِدَة وحرارة الجسد وامراض الانسان. وقنبر فهو الذي يدخل الارواح في الاجسام.

ويزعمون ان الالوهية التي استقرَّت اخيراً في علي بن ابي طالب على ما ذكرنا حلَّت اولاً في هابيل ثم شيت ثم يوشع واصاف وشمعون الصفا وارسطاليس وهرماس وكلب اصحاب الكهف وناقة صالح والبقرة التي امر موسى بذبحها على ما هو مذكور في سورة البقرة.

وان النبوة التي يشيرون اليها باسم المسيح قد استقرت اولاً في آدم ثم في انوش وقينان ومهللئيل وهود وصالح ولقمان ولوط وابرهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والعزيز وهو فرعون يوسف وهرون وكالب وحزقيل وشمويل وداود وسليمان وايوب والخضر (الذي يزعمونهُ مار جرجس) والاسكندر وطالوت ودانيال ومحمد وبالاجمال كل نبي ظهر في هذا العالم هو المسيح وكذلك بعض حكماء اليونانيين مثل افلاطون وجالينوس وسقراط ونيرون ومن حكماء الفرس وعرب الجاهلية كازدشير وسابور ولؤي ومرَّة وكلاب وهاشم وعبد مناف وغيرهم.

واما التوفيق بين حلول الالوهية ووجود النبوة فهو هكذا لما كانت الالوهية في شيت بعد هابيل.كان آدم هو النبي العظيم ثم انتقلت الالوهية الى سام والنبوة الى نوح وبعدهُ انتقلت الالوهية الى اسماعيل والنبوة الى ابرهيم ولما كانت الالوهية في هرون كانت النبوة

في موسى ثم لما صارت الالوهية الى شمعون الصفا صارت النبوة الى عيسى ثم استقرت الالوهية في علي بن ابي طالب والنبوة في محمد بن عبدالله. ولهم كلام في حالة الالوهية والنبوة وموسى وعيسى ومحمد يخالف ما تعتقد بهِ اليهود والنصارى والاسلام.

واما السبب الذي يعتقدونهُ في مثل هذه الظهورات فهو انهم يزعمون بانهم كانوا في البدء قبل كون العالم انواراً مضيئة وكواكب نورانية وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية لا ياكلون ولا يشربون ولا يغيطون وكانوا يشاهدون عليًّا بن ابي طالب بالنظرة الصفراء وذلك لان المعبود عندهم يُرى ولكن ليس هو محدوداً بكليتهِ والشماليون الذين يعنون بذلك السماء لكونها ظاهرة ولا احد يقدر ان يحدَّها بصورتها الاصلية يزعمون ان الاسم وقد مرَّ ذكرهُ يراها حمرا والباب الذي يزعمونهُ سلمان الفارسي يراها بيضا والملائكة الذين هم عندهم الكواكب ودرب التبان الذي هو انفس مؤمنيهم يرونها صفرا والبشر يرونها زرقا ولذلك كانوا يشاهدون عليًّا وهم في تلك السعادة بالنظرة الصفراء على ما ذكرنا وداموا على ذلك سبعة الاف وسبعاً وسبعين سنة وسبع ساعات ثم فكروا في ذواتهم انهُ لم يخلق خلقاً اكرم منهم فكان هذا الفكر اول خطيةٍ ارتكبوها ولذلك خلق لهم حجاباً (الضمير في ذلك جميعهِ عائد على علي) يمسكهم سبعة الاف سنة وبعدها ظهر لهم وقال ألست بربكم قالوا بلى بعدما اظهر لهم القدرة فظنوا انهم يرونهُ بكليتِهِ لظنهم انهُ مثلهم فاخطأُوا بذلك مرةً ثانيةً فاراهم الحجاب فطافوا بهِ سبعة الاف وسبعاً وسبعين سنة وسبع ساعات ثم ظهر لهم بصورة شيخ كبير ابيض الراس واللحية وتلك الصورة هي التي امتحن بها اهل النور العالم العلوي النوراني فظنوا انهُ على تلك الهيئة التي ظهر لهم بها ولما قال لهم من انا اجابوهُ لا ندري فظهر لهم بصورة الشاب المفتول السيال راكباً على اسدٍ بصورة الغضب ثم ظهر لهم ايضاً بصورة الطفل الصغير ودعاهم وقال ألست بربكم وقد كرر عليهم القول في كل ظهور ومعهُ اسمهُ وبابهُ واهل مراتب قدسهِ الذين هم المراتب السبع الأَوَل العالم الكبير النوراني ولما دعاهم ظنوا بانهُ مثلهم فاحتاروا ولم يدروا بماذا يجيبون فخلق لهم من تأخرهم الشك والحيرة وقال لهم قد خلقت لكم داراً سُفلى واريد ان اهبطكم اليها واخلق لكم هياكل بشرية واظهر لكم في حجابٍ كجنسكم فمن عرفني منكم وعرف بابي وحجابي فاني اردُّهُ الى هنا ومن عصاني اخلق من معصيتهِ ضدًّا يقاومهُ ومن انكرني اغلق عليهِ في قمصان المسوخية فاجابوهُ قائلين يا رب دعنا هنا نسبح بحمدك ونعبدك ولا تهبطنا الى الدار السفلانية فقال عصيتموني فلو كنتم قلتم ربنا لا علم لنا الاَّ ما علمتنا انك انت علاَّم الغيوب فكنت اعفو عنكم ثم خلق من معصيتهم

الابالسة والشياطين ومن ذنوب الابالسة خلق النساء.

ثم بعد ذلك ظهر لهم في القبب السبع فالقبة الاولى اسمها الجِنّ وكان اسم المعنى فيها فقط والاسم شيت والباب جدَّاح والضدّ روبا. وظهر لهم بعدها في قبَّة البِنّ وكان اسم المعنى فيها هرمس الهرامسة والاسم اسمهُ مشهور والباب ادريا والضد عشكا. والقبة الثالثة اسمها الطمّ وكان المعنى فيها ازدشير (وهو احشوروش الملك) والاسم دوقنا والباب ذو فقه والضد عطرفان. والقبة الرابعة اسمها الرمّ كان اسم المعني فيها اخنوخ والاسم هندمه والباب شرامة والضدّ عزرائيل. والقبة الخامسة اسمها الجانّ كان اسم المعنى فيها درَّة الدرر والاسم ذات النور والباب اشاذيًّا والضد سوفصطا. والقبة السادسة اسمها الجنّ وكان اسم المعنى البرّ الرحيم والاسم يوسف ابن ماكان والباب أبو جاد وكانت خالية من الضد. والقبة السابعة اسمها اليونان وكان اسم المعنى فيها ارستطاليس الحكيم والاسم افلاطون والباب سقراط واسم الضد درميل وفي كل هذه القباب المذكورة كان الضد اي الشيطان فيها بثلاثة اقانيم وهم واحد وتلك الاقانيم هي ابو بكر وعمر وعثمان.

وبعد ذلك ظهر لهم في السبع قباب، الذاتية التي هي من هابيل الى علي بن ابي طالب وقد سبق الكلام على ذلك فلا لزوم لاعادتِه. وقد اصطلحوا على اسماء سبع نساء لهدة القباب المذكورة هنا يسمونها عرائس الديوان وينوهون بها في الاشعار الدينية التي يمدحونها بها وهي سعدا ومّي والرباب وزينب وعليا ولبنا وليلى.

وبناءً على ما ذكر في السبب الذي يعتقدونهُ لتلك الظهورات الالهية عندهم يزعمون ان المومنين منهم اذا خلصوا من تلك الهياكل التي وعدهم الههم بها وهي القمصان البشرية ينتقلون الى درب التبان. والكواكب في السماء هم الملائكة ولعلهم انفس الصالحين منهم ويعبّرون عن هولاء الملائكة بالنحل ولذلك يسمون عليًّا امير النحل العظيم ويحترمون الكواكب ويلتمسون في رسائلهم الخيرات من علي الاعلى بحرمة الكواكب الزاهرة.

واما المسوخية التي هددهم بها اذا انكروهُ فهي سبعة اشكال ولكل شكل منها اجزاءٌ اما الاشكال فهي تحوي جميع الانعام والوحوش وغيرها من الحيوانات ويزعمون بانها هي سبع طبقات جهنم المذكورة في سورة الحجر بقولهِ ولها سبعة ابواب ولكل باب منها جزءٌ مقسوم ولذلك يعتقدون تناسخ الارواح محصوراً فالروح الشقيَّة مثلاً تدخل في خنزير او كلب او ذيب واما الروح الطاهرة التي تطعم الخبز وتضيف الغرباء فتدخل

في اجسامٍ بشرية ولا تزال كذلك الى ان ترتقي الى درب التبان كما ذكرنا ولهذا السبب كان لا بد لكل نصيري من فتح كوةٍ فوق باب بيتِهِ لكي اذا توقَّع ولودة انسان وموت آخر في وقت واحد لا تتزاحم الارواح في الدخول والخروج.

ولما كانت النصيرية كالدروز يوجد منهم عقَّال وجهَّال والعقال هم المعتبرون عندهم بانهم مومنون فلا يكون ادخال الجهال منهم في الديانة الاَّ بالتدريج عن يد استاذٍ يكرمونهُ اكثر من الوالد الطبيعي لان الوالد الطبيعي لم يكن لهُ قصد خير الاولاد وانما قصدهُ خير نفسِهِ ولذتها وما يعود لهُ من وجود الذرية وبالجملة فقد عرض اولادهُ لدار الشقاء ولذلك يحتقرون والديهم بخلاف الاستاذ فانهُ يقود التلميذ الى معرفة الحق ودار السعادة.

وهذا الاستاذ لا يكون طبعاً الاَّ من شيوخ العلم وهم يُقسمون الى ثلاث رتب الاولى رتبة الامام والثانية رتبة النقيب والثالثة رتبة النجيب ويعتقدون بهم انهم يعرفون المستقبلات ولذلك تشاورهم العامة في كل ما يريدون ان يعملوا ومتى حكم الشيخ على مقتضى شريعتهم فلا يمكن لاحدٍ ان يخالفهُ ان كان على هدىً ام على ضلال وقد بلغ من اعتقاد البعض بهم انهم لا يغيطون ايضاً.

واما طريقة تلك المعاهدة التدريجية لمن يرغب الدخول في الديانة على ما ذكرنا فتكون على قدحٍ من الخمر يشربهُ اولاً الداخل بسرّ الامام بعد ان يضع حذاءَ الامام على راسِهِ ويسمون ذلك اليوم المشورة ثم بعد اربعين يوماً يسقونهُ قدحاً اخر بسرّ ع م س اما العين فهي علي ويسمونهُ المعنى اي معنى الالوهية على ما ذكرنا والميم فهي محمد الذي هو الاسم والحجاب والسين فهي سلمان الفارسي وهو الباب ويامرونهُ بان يتلو هذا السر كل يومٍ خمس مئة مرة وهذه الجمعية الثانية يسمونها المليك وبعد سبعة اشهر يسقونهُ قدحاً ثالثاً ويقدمهُ وكيل من الجماعة ويكون النقيب عن يمينهِ والنجيب عن شمالهِ الى المرشد وهم ينشدون لهُ ترنيمة فيقوم حينئذٍ المرشد ويقرا سورة من صلواتهم ويتوجه بهِ نحو الامام فيسالهُ الامام عن حاجتِهِ وبعد اخذٍ ورد يطول شرحهُ بينهُ وبين المرشد يطلب اليهِ تاديب الداخل فيسالُه الامام من هو الذي دلهُ على ذلك فيقول لهُ المرشد المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم وهي لفظة عمس المذكورة ثم يقترب الداخل من الامام وفي كل مرة يدنو منهُ يمد لهُ الامام يديهِ ورجليهِ ليقبلهما والنقيب يعلمهُ ماذا يقول ثم ينظر اليهِ بعبوسة ويسالهُ ما الذي حملهُ ان يطلب منهُ هذا السر المكلل باللؤلؤ والدر ولم يحملهُ الاَّ كل ملاك مقرب او نبي مرسل او مومن ممتحن وهل يقبل قطع الراس واليدين ولا يبيح بالسرّ فيقول لهُ نعم فيطلب منهُ الامام حينئذٍ مئة كفيل الى ان ينتهي الحال على اثني عشر كفيلاً يكفلونهُ ويتعهدون

انهُ اذا باح بالسر ياتونهُ بهِ ليقطعوهُ قطعاً ويشربوا دمهُ ثم يكفل الكفلاء ايضاً كفيلان اخران على ذلك يترحب بهم الامام ويسميهم اهل البرش والكرش ثم عند ذلك يحلفهُ الامام بجميع الاجرام السماوية بعد ان يضع يدهُ على كتاب المجموع ويهددهُ بانهُ اذا باح بالسر لا تعود تقبلهُ الارض مدفوناً ولا يدخل القمصان البشرية بل حين وفاتِه يدخل قمصان المسوخية وعند ذلك تضع الكفلاء اياديهم على راسِه ويصلون ويسقونهُ كاس خمر ويعلمونهُ ان يقول بسم الله وبالله وسر السيد عبدالله (وهو الحسين بن حمدان الخصيبي الذي سبق ذكرهُ) العارف بمعرفة الله.

ومن ثم ياخذهُ المرشد الى بيتِه ليعلمهُ قواعد دينهِ واول ما يعلمهُ التبرُّؤ وهو سورة الشتائِم التي يبتدئون بها في صلوات اعيادهم وبعدها يطلعهُ على ست عشرة صورة اخرى يتلونها في الصلوات ايضاً ويسمون كل واحدة منها قداساً وكلها تنطوي على عبادة علي بن ابي طالب.

والذي الف لهم صورة الشتائِم المذكورة يزعمون انهُ ابو سعيد الميمون بن قاسم الطبراني تلميذ الولي ابي الحسين محمد بن علي الجبلي تلميذ ابي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي وابو سعيد المذكور الف لهم كتباً عديدة منها مجموع الاعياد المشهور في هذه الشتائِم على ابي بكر وعمر وعثمان وبها يسمي ابا بكر الضد الاول وعمر الضد الثاني وعثمان الضد الثالث ويحسبهم النصيرية ذات الشيطان والَّف ايضاً كتاب الدلائل بمعرفة المسائل يقول فيهِ ان الذئب المتهم باكل يوسف هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي (الذي قتل عليًّا بن ابي طالب) ويعتقدون بانهُ سلمان الفارسي والف ايضاً كتاباً سماهُ الحاوي في واجبات التلاميذ وكتباً اخر ضد ديانة علي بن قرمط وعلي بن كشكه وغير ذلك والظاهر انهُ فسر الذئب المتهم باكل يوسف بانهُ هو عبد الرحمن بن ملجم لكون المسلمين يعتقدون بان عبد الرحمن المذكور قتل عليا بن ابي طالب كما ذكرنا واما النصيرية فلا يعتقدون موت علي بل ويلعنون من اعتقد ذلك كما في سورة الشتائِم الآتي ذكرها ويزعمون انهُ أُتهم بذلك من المسلمين تهمةً اشار اليها بتهمة الذئب باكل يوسف.

واما سورة الشتائم المنوهعنها فانهم يلعنون بها ابا بكر وعمر وعثمان بن عفان على ما تقدم وطلحة وسعد وسعيد وخالد بن الوليد. ومعاوية وابنهُ يزيد والحجاج بن يوسف التقفي وعبد الملك بن مروان وهرون الرشيد. واسحق الاحمر واسماعيل بن خلاد والشيخ احمد البدوي والشيخ احمد الرفاعي والشيخ ابرهيم الدسوقي والشيخ محمد المغربي والشبل والمرجان والشيخ عبد القادر الكيلاني وكل يهودي ونصراني ومذهب

الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والجلند بن كركر وعاقر الناقة قيدار وحبيب العطار ولعابي القرود ومساكي الحيَّات السود والنصارى واليهود وكل من اعتقد في علي بن ابي طالب آكلاً وشارباً او مولوداً او متزوجاً او مائتاً والبطريرك يوحنا مارون لاعتقادهم ان جميع هولاء ياكلون خيرات علي المشار اليهِ ويعبدون غيرهُ.

واما النساءُ فلا يعلمونهنَّ الصلوة لاعتقادهم فيهنَّ انهنَّ خُلِقنَ من ذنوب الابالسة ولا يشاركونهنَّ في شيءٍ غيرها من امور الدين ايضاً لاتفاقهم مع سائر عبدة الاوثان في تحقيرهنَّ قال بعض المؤلفين انهُ قد عُرف من معتقدات النصيرية بان التابعين منهم لتعليم احد مشايخهم المعروف بحمدان الخصيبي يفترقون عما عداهم بعقيدة بقاء انفس الاناث منهم وانها تُثاب وتُعاقَب لان ما عداهم يعتدُّهنَّ كالحيوانات مجردات عن النفس الناطقة والقدامسة يستبيحون السفاح ايضاً بنساء بعضهم بعضاً وان المرأة لا يكمل ايمانها الاَّ باباحة فرجها لاخيها المومن لكنهم اشترطوا ان لا يُباح بذلك للاجنبي ولا لمن هو غير متبحرٍ في دينهِ منهم. انتهى. والدروز يشنّعون على النصيرية بسبب ذلك كثيراً في كتبهم وخلاصة ما تجود بهِ هذه الطائفة على نسائها من التعاليم هي سورة رفع الجنابة فقط لاعتقادهم انهنَّ لا يتطهرنَ بدونها وكذلك يتلوها الرجال ايضاً ولا يليق ذكرها هنا لِمَا فيها من الفحش وسوء الادب.

ويعتقدون ان الجهاد المذكور في القرآن هو على نوعين الاوَّل الشتائِم على ابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم حسبما ذكرنا في سورة الشتائِم وعلى جميع الطوائف المعتقدين بان عليًّا بن ابي طالب او الانبياء اكلوا وشربوا او تزوجوا او وُلدوا من نساءٍ لانهم يعتقدون بهم انهم نزلوا من السماء بدون اجسامٍ وان الاجسام التي كانوا فيها انما هي اشباه وليست حقيقية. والثاني هو اخفاءُ مذهبهم عن غيرهم.

ويزعمون في قضية الحج ايضاً ان البيت المأمور في القرآن زيارتهُ مع اركانِه وسقفِه وحيطانِه هو كناية عن معرفة اولئك الاشخاص الذين يعتقدونهم فان البيت هو الحجاب السيد الميم (يعني محمد) وسقف البيت ابو طالب. وارض البيت فاطمة بنت اسد. واربعة اركان البيت هم محمد وفاطر (يعني فاطمة) والحسن والحسين. والزاوية الغامضة الخفية التي هي في نصف البيت هي محسن سرّ الخفي. وصاحب البيت العلوي الشريف الهاشمي. والصفا هو المقداد. والقبتان هما الحسن والحسين. وحلقة الباب هي معرفة جعفر الصادق. والمَرْوَة معرفة ابي الدر. والمشعر الحرم معرفة سلمان الفارسي. ثم انهم يختلفون في تفسير المعنى والباب وكلٌّ منهم يوفّق ذلك الى ما يوافق مذهبهُ وخلاصة

الامر انهم ينكرون على الحج وعلى ضريح صاحب الشريعة الاسلامية ويلعنون بجملة من يلعنونهم اهل الشام لكونهم لم يقبلوا دعوة الخصيبي لما ذهب اليهم ليدعوهم واما لعنهم الحجاج فهو لِمَا ذكرهُ الشيخ محمد الكلازي بكتاب التأبيد استناداً على كتاب الهفّة الذي يزعمون انهُ تاليف جعفر الصادق ان ذهاب المسلمين الى هذه البناية التي يزعمون انها بيت الله هو راس الكفر وآلة الاصنام.

واما إعتقادهم في الصلوة ويسمونها الخمسة المصطفية لكون فروض اوقات الصلوات هي خمسة فهي الفرض الاول صلوة الظهر لمحمد. والثاني صلوة العصر لفاطر (وهي فاطمة). والثالثة صلوة المغرب للحسن بن علي بن ابي طالب. والرابع صلوة العشا لاخيهِ الحسين. والخامس صلوة الصبح لمحسن السر الخفي. ومن لا يعرف اسماء هولاء الاشخاص الخمسة فصلواتهُ باطلة. وينهون عن الضحك والقهقهة مع الجهال في وقت الصلوة وعن الاخذ والعطاء والبيع والشراء والحديث والشوشرة ايضاً وان من كانت علي رأسهِ عمامة سوداء او باصبعهِ كشتبان او في وسطهِ سكين ذات حدَّين فصلاتهُ كذلك غير جائزة. وقال بعض المؤلفين انهُ اذا كان احد النصيرية في الصلاة ومرَّ عليهِ عبد اسود او مسلم او نصراني او جمل فتنقطع صلاتهُ ويلزمهُ ان يبدأ من جديد وفي اوقات الصلوات يحرقون البخور ويتطيبون ويوقدون الشموع ويتلون تلك السور التي مر ذكرها في الكلام على ما يعلّمهُ المرشد الى المبتدي ويشربون الخمر ويكنون عنهُ بعبد النور ويختمون الصلاة بقولهم ارحمنا يا علي يا امير النحل يا عظيم (واظن ان ادخالهم من كان في اصبعهِ كشتبان بجملة الذين لا تجوز صلاتهم عندهم هو مسبب عن بغضهم في الدروز حيث كان اوَّل داعٍ دعا الى ديانتهم رجلاً خياطاً يقال لهُ محمد بن اسماعيل الدرزي كما سياتي الكلام على ذلك).

وكما يعبّرون عن اوقات الصلوات بالخمسة المصطفية كذلك يعبرون بالستة النجلية عن الستة الاكوان وهم سلمان الفارسي والايتام الخمسة وقيل هي الستة الايام التي كوَّن الله بها السموات والارض. وقيل هي ظهور الله لابرهيم وموسى وغيرهما من الانبياء.

واما السبعة الكواكب الدرية فهي النجوم السبعة السيارات.

والثمانية الحمالة العرش القوية فهي الالفاظ الثمانية الابجدية ابجد هوز حطي الخ. والايتام الخمسة هم طالب وعقيل وجعفر الطيّار.

والتسعة المحمدية هم اسماء سطر الامامية من محمد بن عبدالله الى محمد الجواد.

والعشر الدجاجات الزكية فهي الخمسة الايتام. نوفل. وابو الحارث. ومحمد بن الحنفية. وابو برزة. وعبدالله بن نضلة. ويعتقدون بانهم اعظم الكواكب وكل كوكب منها يحكم على فيئةٍ من بقية الكواكب وكل الكواكب في الباطن صيصان السماء ما خلا العشرة المذكورة فهي الدجاجات وديكها سلمان الفارسي الذي هو امهات الانبياء ونساؤهم ما عدا امراة نوح وامراة لوط وهو ايضاً الاحد عشر الآتي ذكرهم وملكة سبا وامراة فوطيفار ومن الجمادات والوحوش كالذئب المتهم باكل يوسف ومن الطيور كالهدهد والغراب والنمل وغير ذلك واما عند الشماليين في كتبهم الباطنة ككتاب اليونان وغيرهِ فيذكر ان الديك هو محمد بن عبدالله.

واما الاحد عشر الذين مرَّ ذكرهم فهم مطلَع البابية وهم روزبة بن المرزبان وابو العلاء رشيد الهجري وكنكر بن ابي خالد الكابلي ويحيى بن معمَّر وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن ابي زينب الكاهلي والمفضل بن عمر وعمر بن المفضل. ومحمد بن نُصَير البكري. ودحية بن خليفة الكلبي. والسيدة ام سلمة.

والاثنا عشر سطر الامامية فهم محمد المُصطفى. والحسن المجتبى. والحسين الشهيد بكر كربلا وعلي زين العابدين. ومحمد الباقر. وجعفر الصادق. وموسى الكاظم. وعلي الرضا. ومحمد الجواد. وعلي الهادي. والحسن الآخر العسكري. ومحمد بن الحسن الحجة.

واما محمد بن سنان الزاهري الذي يذكرونهُ في صلواتهم فهو عندهم نقيب النقباء ونجيب النجباء. والشيخ علي الصويري فهو من الاولياء. والنائِم فهو احد خدام محمد الباقر بن علي زين العابدين.

ولما انهم يعتقدون بان شرفاء المسلمين الراسخين في العلم متى ماتوا تحلُّ ارواحهم في هياكل الحمير. وعلماء النصارى في ارواح الخنازير. وعلماء اليهود في هياكل القرود. واما الاشرار من طائفتهم فتحلُّ ارواحهم في المواشي التي تُؤكَل ولكن الخاصَّة الشاكون في الديانة فبعد موتهم يصيرون قروداً والممتزجون ذوو الخير والشر يتقمصون الى هياكل بشرية عند الطوائف الخارجة عنهم. اعتقدوا كذلك بانهُ اذا كان احد من غير مذهبهم يصير نصيريًّا فيكون في الاجيال الماضية كان منهم ولسبب خطاياهُ وُلد في ذلك المذهب الذي خرج عنهُ. ولا يقبلون احداً من الطوائف الغريبة الاَّ ان كان من العَجم لان اهل العجم (هم مصدر التشيع ولا سيما الغلاة منهم) يعتقدون بالوهية علي بن ابي طالب واما ان كان احد من ابناء ديانتهم يرتد الى دينٍ آخر غيرها فيحكمون عليهِ بانهُ ابن زناءٍ وان امَّهُ زنت من ذلك المذهب الذي دخل فيهِ.

ويتظاهرون بمذاهب جميع الطوائف فاذا لقوا مسلماً مثلاً يحلفون لهُ بانهم مثلهُ يصومون ويصلّون ويوجهون الصوم على الرضاعة واذا دخلوا معهُ المسجد للصلاة يخفضون ويرفعون مع المسلمين بدون ان يتلوا شيئاً غير الشتائم التي ذكرناها ويسمون هذا التظاهر بمثلٍ معناهُ انهم هم الجسد وباقي الطوائف لباس فاي نوع لبسهُ الانسان لا يضرهُ ومن لا يتظاهر هكذا فهو مجنون لانهُ ليس لعاقلٍ ان يمشي عرياناً في السوق وانما يخرج من مذهبهِ متى قال انهُ بريءٌ من ان يعبد عليًّا بن ابي طالب او باح بصلاتِه فقط.

واما العلامة التي بها يعرفون بعضهم فهي ان الغريب منهم اذا اتى محلاً يسأل اولاً عن قريبٍ لهُ هل يعرفونهُ فيقولون لهُ ما اسمهُ فيقول لهم الحسين فيجاوبونهُ حينئذٍ بن حمدان فيقول لهم الخصيبي. والثانية انهم يقولون للغريب شاش عمك كم دور فان اجاب ستة عشر يقبلونهُ. الثالثة ان عطش عمك من اين تسقيهِ الجواب من عين العلوية. الرابعة ان غاط عمك فماذا تهديهِ. الجواب. لحية معاوية. الخامسة. ان ضاع عمك فاين تلاقيهِ. الجواب. بالنسبة. السادسة. اربعة واربعتين وثلاثة واثنين وقدرهم مرتين في دينك اين. الجواب. بالمسافرة. سؤال اقسم لي اياهم. الجواب. سبعة عشر عراقي وسبعة عشر شامي وسبعة عشر مخفي. سؤال. اين يوجدون. جواب على باب مدينة حرَّان. سؤال. ما يعملون. جواب. ياخذون بالحق ويعطون بالحق.

اما اليمين الثابتة عند النصيرية كافةً فهي ان تضع يدك في يدهِ وتقول احلفك بامانتك عقد علي امير المومنين وبعقد ع م س فلا يمكنهُ بعد هذا اليمين ان يكذب.

وكل غني من النصيرية ملتزم ان يعمل عيداً او عيدين او ثلاثة حسب طاعتهِ لمذهبهِ واكبر اعيادهم عيد الغدير يقع في ١٨ ذي الحجة. وعيد الاضحية في العاشر منهُ ايضاً تذكاراً لاسماعيل بن هاجر. وعيد المهرجان في ١٦ تشرين الاول. وعيد البربارة في ٤ تشرين الثاني. وعيد ميلاد المسيح في ١٥ كانون الاول. وراس السنة في اول كانون الثاني. وعيد الغطاس في ٦ منهُ. واعياد أُخر كعيد يوحنا المعمدان. ويوحنا فم الذهب. والشعانين. والعنصرة. ومريم المجدلية. وهناك اعياد أُخر لا يُعلم لمن يكرسونها. منها عيد بعد سبعة ايام من عيد البربارة. وعيد آخر بعدهُ بسبعة ايام ايضاً. وعيد في ١٧ اذار وفي اول نيسان. ثم يوم النيروز في الرابع منهُ. وعيد آخر في الخامس عشر منهُ. وفي التاسع من ربيع الأول ويسمونهُ الغدير الثاني. ومن الليالي ليلة النصف من شعبان. وليلة اول رمضان وليلة (١٧) و(١٩) و(٢١) و(٢٣) و(٢٧) منهُ واما اهل القرى فلا يبالون ويعملون اعياد الفرح في رمضان كالمسلمين.

وبما ان فرق القرامطة على اختلاف مذاهبهم هم في الاصل فرع من غلاة الشيعة اصحاب علي كانت اعيادهم غالباً من مصدر واحد لا ريب بانهُ فارسيّ بل ويستمد من اصلٍ مانويّ ايضاً فان الاسماعيلية الذين منهم الخلفاءُ الفاطميون بمصر كانوا يعتبرون يوم النيروز كقدماء الفرس وكانوا يوقدون فيهِ النيران ويتراشُّ الناس بالماء والخمر وكان اول من اتخذ هذا اليوم هو جمشيد احد ملوك الفرس ومعناهُ بلغتهم اليوم الجديد اذ فيهِ يبتدي فصل الربيع. ويعتبرون ايضاً يوم عيد ميلاد المسيح ويتهادون بجامات الحلاويات. وكذلك يوم الغطاس فان امراءهم كانوا يوقدون فيهِ المشاعل والشموع ويكثرون من الاكل والشرب وانواع الملاهي والقصف على شاطي النيل وتتهادى اهل الدولة فيهِ بالترنج والنارنج والليمون وغير ذلك. ويوم خميس العهد كان من رسوم الدولة المذكورة ان تضرب فيهِ خمس مئة دينار ذهب عشرة آلاف خرّوبه وتفرقها على جميع ارباب الرسوم.

قال بعض المؤلفين الذين لخصنا من كتبهم ما ذكرناهُ هنا ان النصيرية يشابهون الدروز في قضية التناسخ ولكنهم لا يحصرونها كالدروز في البشر والاديان بل يعتقدون انتقال الروح البشرية الى البهائم والحشرات والمعادن لكي تُقاصَّ بالحي في النار والتطرق بالمرازب على السدَّان ويشبهونهم في قضية العقَّال والجهَّال ولا يسلّمون الجهال الديانة الاَّ بالتدريج ويشبهونهم في استباحة وقتل وسلب من يخالف معتقدهم ويقيد منهُ زمان ايجاد العالم على ما هو عليهِ الآن بدون زيادةٍ ولا نقص وبقضية الادوار والايمة والناطق والاساس والسابق والتالي ولكنهم يختلفون في صفات اصحاب الادوار. وفي كونهم يكرمون بعض الاشخاص الممقوتين من الدروز كمحمد وعلي وعيسى وبطرس وموسى ويوشع وابرهيم واسمعيل ونوح وسام وآدم وهابيل وشيت. ويحلُّ عندهم انكار دينهم والتبرؤ منهُ عند من يسالهم عنهُ.

ويشبهون المجوس في عبادة الشمس والكواكب.

ويشبهون النصارى بتعظيم المسيح وبطرس واستعمالهم الخمر في الامور الدينية واستباحة شربهِ في غير ذلك وكون لهم اعياد معهم انتهى.

اقول ويشبهون المسلمين لاعترافهم بالقرآن واعتقادهم باسماء مطابقة بالتمام لاسم صاحب الشريعة الاسلامية واهل بيتهِ وغيرهم من الاشخاص المعتبرين عندهم وان كان لهم في ذلك معتقدات زائغة لا توافق الدين الاسلامي ولا غيرهُ بل ان مباديها هي واعتقادات الدروز الآتي ذكرهم مع ما بينهما من الاختلاف واحدة وكلتاهما متفرعتان

عن دعوة القدَّاح التي سبقت تفاصيلها ومن اراد التوسع في معتقدات هذه الطائفة النصيرية واخبارها فعليهِ بمؤلَّف الشيخ سليمان الأذني الذي مرَّ ذكرهُ فانهُ مشهور الآن بسبب طبعهِ ونشرهِ اكثر من غيرهِ من التعاليق الموجودة في اللغة العربية على هذا المذهب.

الفصل الثالث

في ما اشتهر من ديانة الدروز ومعتقداتهم الخفيَّة

لما رأى بعض مؤلفي الافرنج ان للدروز اعتقادات من اعتقادات الفلاسفة الاقدمين كالقول بتناسخ الارواح وتعظيم العجل زعم ان هذه العقائد التي توافق دين السمرة القديم وبعض مذاهب من مذاهب فرق اليهود تؤيد ما ظنهُ بعضهم وهو ان اجتماع الدروز بهذا الاجتماع السياسي قديم سابق على وجود الحاكم بامر الله ووجود حمزة رئيس دينهم وانهم هم الامة المذكورة في كتب العبرانيين باسم ايطوريس وقد مدحها اليونان والرومان بانها امة متعاصية تُسمى ايطورية صاحبة جبل لبنان من بيروت الى دمشق وكذلك شهد سائح افرنجي من المتأخرين محققاً ان اسم الدروز الحقيقي هو دورزية او تورزية وهو قريب من لفظة ايطورية وعلى هذا يكون مذهب الحاكم لم يفدها في محبة الحرية الاَّ حماساً جديداً او غيرة حادثة واجتماعاً كان سابقاً حاصلاً انتهى.

هذا ما كان من امر قدمية وجود اسلافهم في الامكنة التي هم متوطنون فيها واما ديانتهم فهي وان وُجد فيها ما يغاير مقاصد تعاليم القرامطة الاَّ انها صادرة عنها ومبنية عليها كما يتضح ذلك من التفصيلات الآتية وما استدل بهِ هذا المؤلف مما هو ماخوذ عن تعاليم الفلاسفة وغيرهم فلا يخفى ان تعاليم القرامطة تنتهي الى هذه الغاية كما يستبين من الدعوة التاسعة لاحمد بن ميمون القدَّاح ويؤيد ذلك ما ياتي.

وهو انهُ من بعد ان وُلد لاحمد بن عبدالله بن ميمون القداح المذكور ولدان احدهما يقال لهُ الحسين والثاني محمد ويُعرف بابي الشلعلع مات وخلفهُ ابنهُ الحسين ثم مات الحسين وخلفهُ اخوهُ ابو الشلعلع وبعث بداعيين الى المغرب وهما ابو عبدالله واخوهُ ابو العباس فنزلا في البربر ودعوهما فجذب ابو عبدالله قلوب اهل المغرب بواسطة انذارهِ بفضائل اهل البيت بدون ان يتعرض لذكر ابي محمد عبيدالله الذي كان محبوساً يومئذٍ بسلجماسة احدى مدن المغرب بامر الخليفة المعتضد العباسي في بغداد ثم لما صار لهُ حزبٍ كافٍ من الذين جذبهم اليهِ على الوجه الذي ذكرناهُ جنَّد الجنود وشرع في محاربة

نواب الخلفاء العباسيين ببلاد المغرب وبعد حروب كثيرة انتصر فيها عليهم وكان يقول للناس الذين حولهُ المهدي يخرج في هذه الايام فيا طوبى لمن هاجر اليَّ واطاعني ثم لما امتلك القيروان اخرج عبيدالله المذكور من حبس اليسع صاحب سلجماسة وكان عبيدالله هذا من ذرية الحسين بن علي بن ابي طالب ومشى في ركابهِ بجميع روساء القَبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم المهدي ويبكي من شدة الفرح فامتلك حينئذٍ عبيدالله المذكور افريقية وتلقب بالمهدي امير المؤمنين وانشأ هناك دولةً تلقبت بالفاطمية نسبةً الى فاطمة بنت صاحب الشريعة الاسلامية وبالعلوية نسبةً الى الامام علي بن ابي طالب وبالعبيدية نسبةً الى عبيدالله المذكور وهي من الفرقة الاسماعيلية التي سبقت الاشارة اليها ثم من بعد ان افتتح حفيدهُ المعزّ لدين الله ابو تميم معدّ بلاد مصر وبنى القاهرة وجعلها دار خلافتهِ مات وتولى مكانهُ العزيز بالله ابي النصر نزار ابن المعز المذكور ثم توفي وقام مقامهُ ابنهُ الحاكم بامر الله ابو علي منصور وكان ذلك في سنة ٣٨٦ للهجرة (سنة ٩٩٦م).

وكان هذا الخليفة الجديد عندما جلس على تخت الخلافة العلوية في سن احدى عشرة سنةً ومن احاديثهِ انهُ كان تارةً يتظاهر بغيرةٍ شديدة على المسلمين وتارةً يقتلهم ويقطع الحج ويظلم الناس ظلماً عنيفاً ولهُ في مثل ذلك من الاخبار ما هو فوق المستغرب حتى انهُ منع الناس من اكل الملوخيا لانهُ كان يحبها معاوية بن ابي سفيان ومن اكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة لعايشة ومن اكل المتوكلية لنسبتها الى المتوكل العباسي وامثال ذلك كثيرة ويُقال بانهُ كان يدَّعي علم الغيب وقد استخدم بعض العواهر يرسلهنَّ الى منازل الناس فيتجسسنَ اخبارهم ثم يخبرنهُ بها فيدعو اربأب تلك المنازل ويخبرهم بما جرى في منازلهم كانهُ عرف ذلك بسريرةٍ فيهِ.

وفي سنة ٣٩٥ للهجرة (سنة ١٠٠٤م) قام رجل يُعرف بابي ركوة ودعا الناس الى نفسهِ وكان يدَّعي انهُ من بني أُميَّة فاجابَ الناس دعوتهُ لضجرهم من دولة الحاكم المذكور وكان عند الحاكم قائد يقال لهُ الفضل بن عبدالله فخرج لقتال ابي ركوة وظفر بهِ بعد ان كان قد استظهر على جيوشِ الحاكم واتى بهِ الى القاهرة اسيراً فامر الحاكم بقتلهِ وحسب ذلك معجزةً لهُ فعلها بقدرتهِ الالهية وَمن ثمَّ امر الناس بالسجود اذا قرع اسمهُ الاسماع وذُكر في الخطبة وغيرها وانعم على الفضل وقرَّبهُ ثم قتلهُ اخيراً لاطلاعهِ منهُ على امرٍ كره الحاكم ان يطّلع عليهِ هذا القائد.

وفي آخر سنة ٤٠٧ للهجرة (سنة ١٠١٦م) قدم الى مصر رجل يقال لهُ محمد

بن اسمعيل الدرزي الذي سبق ذكرهُ في الكلام على ديانة النصيرية وكان في ما قيل اعجميًا وداعياً من دعاة الطائفة الباطنية وهو المسمى في كتب الدروز نشتكين الدرزي ونشتكين بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء والكاف وبعدها ياءٌ ساكنة ثم نون لفظ اعجمي تُسمى بهِ المماليك فدخل هذا الرجل في خدمة الحاكم ووافقهُ على اثبات دعوتهِ بالالوهية ثم شرع بهذا التعليم جهراً وكتب كتاباً يقول فيهِ ان نفس آدم جازت الى علي بن ابي طالب ومنهُ الى اسلاف الحاكم متقمصةً من واحدٍ الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وهو خالق الكون الى آخرهِ ولما قرأ كتابهُ هذا في احد الجوامع هجم عليهِ الناس ليقتلوهُ ففرَّ منهم وحدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت الدرزي المذكور وقتلوا كثيرين من اصحابهِ فارسلهُ الحاكم سرًّا الى بر الشام فنزل في وادي التيم بالقرب من جبل الشيخ ونادى هناك بالوهية الحاكم وكان الامراء التنوخيون الذين قدموا من العراق الى بر الشام من الطائفة الباطنية ولوجود هذه الدخيلة في انفسهم كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي المذكور فانقادوا اليها ومن ذلك تسمت طائفة الدروز ثم قُتل الدرزي في وقعةٍ مع التتر سنة ٤١٠ للهجرة (سنة ١٠١٩م) وفي حاشية كتاب من كتب الدروز انهُ قُتل في السنة التي بعدها.

وكان عند الحاكم رجل آخر اسمهُ حمزة بن علي بن احمد وهو رجل اعجمي ايضاً ويُلقَّب عندهم بالهادي فوقع الخلاف بينهُ وبين الدرزي حتى ارسلهُ الحاكم الى الديار الشامية فتقدم حمزة مكانهُ وعلَّم بالوهية الحاكم وجعل نفسهُ ثانياً لهُ والدروز يكرمونهُ جدًّا ويلعنون الدرزي ويكرهون التسمية باسمِه فيسمون انفسهم موحدين اي قائمين بتوحيد الحاكم.

وفي سنة ٤١١ للهجرة (سنة ١٠٢٠م) احتالت على الحاكم اختهُ سيدة الملك وقتلتهُ عن يد رجل يقال لهُ ابن دوَّاس كان متهماً بها وكانت تخاف من اخيها ان يقتلهما جميعاً فسبقتهُ وبعد موت الحاكم كتب حمزة المذكور الرسالة المسماة بالسجلّ المعلَّق وعلقها على باب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين.

هذا اصل طائفة الدروز وكيفية امتدادهم في بر الشام وكانت ديانتهم مستترة وكيفية اعتقاداتهم لا يعرفها احد حتى حاربهم ابرهيم باشا رئيس العساكر المصرية وقهرهم في محلٍّ يقال لهُ شبعة وفتح معابدهم المعروفة بخلوات البياضة الكائنة على ذروة جبل حاصبيا ووجد فيها كتباً كثيرة فاخذتها العساكر ولا سيما عساكر الامير بشير حاكم جبل لبنان وقتئذٍ فظهرت ديانتهم وانتشرت كتبهم في جميع اقطار العالم حتى انهُ ترجم بعضها الى اللغة الفرنساوية والانكليزية.

واما كتبهم فهي رسائل الحاكم وحمزة وتعليقات أُخر للشيخ بهاء الدين الصابري والشيخ زين الدين معاضد من فلجين والشيخ يوسف الكفرقوقي من وادي التيم وقد كتب شروحاً على هذه الرسائل الامير عبدالله التنوخي الملقَّب عندهم بالسيد من قرية عبيه وهو من اوليائهم ولهُ مقامٌ في القرية المذكورة يزورونهُ بالهدايا والنذور. ولنذكر هنا نبذة من معتقداتهم ملخصةً من ذلك فنقول.

كان منصور العبيدي الخليفة الثالث من الفاطميين بمصر يُلقَّب بالحاكم بامر الله كما ذكرنا فلما ادَّعى الالوهية لقَّب نفسهُ الحاكم بامرهِ وامر الخطباء ان يقولوا على المنابر بسم الحاكم المحيي المميت وجماعتهُ الآن ينكرون وجود الله والانبياء وينسبون الالوهية الى الحاكم المذكور فقط فيقولون ليس في السماء اله موجود ولا على الارض رب معبود الاَّ الحاكم بامرهِ.

وهم رجالاً ونساءً ينقسمون الى طبقتين عقال وجهال. والعقال ينقسمون كذلك الى طبقتين احدهما خاصة وهي ممن حقَّت الثقة بهِ وعرف دينهُ حق المعرفة والثانية عامة وهي من حسن الظن بهِ فعرف شيئاً من دينهِ ومن العقَّال طبقة اخرى تُعرَف بالمنزّهين واصحاب هذه الطبقة في اشدّ العبادة والورع منهم من لا يتزوج ويموت بتولاً ومنهم من يصوم كل يومٍ الى المساء ومنهم من لا ياكل لحماً جميع ايام حياتِه ومنذ نحو مئتي سنة تظاهر عقالهم بعدم شرب المسكرات بارشاد الامير عبدالله التنوخي الذي مرَّ ذكرهُ واما قبل زمن المذكور فما كانوا يتحاشونهُ ويستحرمون مال الحكام فلا ياكلون من دارِ الحاكم ولا من دارِ خادمهِ ولا مما يحمل على دابةٍ شُرِيَت بمالِه ولا مما يُعمَل بحانوتٍ أُقيم من مالهِ ولا يطحنون تحت رحاهُ ولا يعصرون زيتونهم في معاصرهِ.

ولهم ميثاق يكتبونهُ على من يصير منهم عاقلاً يقولون فيهِ هذا من ميثاق ولي الزمن اي حمزة بن علي ويعترف العاقل فيهِ بايمانِه بالحاكم وتبرُّئِه من جميع المذاهب غير ذلك وانهُ لا يعرف غير طاعة الحاكم ولا يشرك في عبادتِه احداً وانهُ قد سلَّم روحهُ وجسمهُ ومالهُ لهُ ورضي بجميع احكامِه وانهُ اذا رجع عن ذلك استحق العقوبة من البار العلي وان من اقرَّ انهُ ليس في السماء اله معبود ولا في الارضِ امام موجود الاَّ مولاهُ الحاكم جل ذكرهُ كان من الموحدين الفائزين.

ومن تعاليمهم انهُ يجب على النساء المؤمنات ان لا يشغلنَ قلوبهنَّ بغير توحيد الحاكم ولا يكنَّ كالفاسقين وان الفاسق هو النصيري لقولهِ ان المؤمنة لا تمنع اخاها فرجها ثم اذا خرج الرجل عن دين الدروز بالكلية يجب على امرأتِه ان تعمل جميع الوسائط لطلاقِه واذا لم يمكنها ذلك لا بحيلة ولا بغيرها فلا تمكنهُ ان يدنو منها.

ويجوز عندهم انكار الاعتقاد ولا يخلُّ ذلك عندهم بشيءٍ من صحة الدين اذ ان الدين في الباطن اما ظاهرهُ فكالثوب يجوز خلعهُ عند الضرورة وقد كتب لهم الشيخ المغتني في رسالة الغيبة وهذا الشيخ عندهم احد الحدود الخمسة وهم بمنزلة الرسل المعصومين اذا طُلب منكم سبُّ هذا الداعي فسبُّوهُ وتبرأُوا منهُ والعنوهُ ومولاكم يعلم ما تظهرونهُ وتكتمونهُ.

ويعتقدون التقميص والمراد بهِ انتقال نفس الميت الى نفس المولود عند موتهِ ويسمون الجسد قميصاً فلا تزال الارواح عندهم على عددٍ واحد لا تزيد ولا تنقص وهذا خلاف التناسخ الذي تعتقدهُ اليهود والنصيرية الذين لا ينحصر عندهم ذلك بين الناس فقط بل يكون احياناً بينهُم وبين البهائمِ وغيرها وبناءً على ما ذُكر يعتقد الدروز انهُ لِا يخلق ولد موحد عند كافر ولا كافر عند موحد.

ويعتقدون انهُ ماضٍ من الخليقة عوالم كعالم الجنّ وعالم الحن وعالم البن وعالم الانس الذي نحن فيهِ وانهُ مضى سبعون دوراً كل دور اربعة الاف الف وتسع مئة الف سنةٍ وذلك لحين ظهور الحاكم بامرهِ فتكون مدة العالم ثلاث مئة وثلاثة واربعين مليوناً من السنين.

ويعتقدون ان الاله ظهر في هذا الدور عندهم مراتٍ كثيرة لا يعرفون منها غير عشرة اشخاص اولهم العلي وثانيهم البار وهكذا الى المرة العاشرة ظهر في الحاكم بامرهِ وانهُ من اعظم المنن وجود الحاكم المذكور في الصورة الناسوتية وان اللاهوت لا يغيب عن الناسوت طرفة عين وهو على حالةٍ واحدة لا يتغير وانما يتغير عليهم بما فيهِ صلاح شانهم وهو تغيير الاسم والصفة لانهُ في مقام القائمِ ظهر في صورةٍ باسمٍ وصفة لذلك ظهر في مقام المنصور اي الحاكم وهو في مقام المعز وفي مقام العزيز (العزيز والمعز هما اب وجد الحاكم وقد مرَّ ذكر ذلك) فهو القائم والمنصور والمعز.

وهم ينتظرون حضور ياجوج وماجوج من داخل الصين ويسمونهم القوم الكرام ليتجلى الحاكم صبيحة وصولهم على الركن اليماني من البيت (بمكة) ويدفع الى حمزة سيفهُ المذهَّب فيقتل فيهِ الكلب والخنزير يريدون فيهما الناطق والاساس وهما عندهم ابليس والشيطان لان جميع المبدعات نطقاءُ وايمة واسس وحجج ولواحق بهم كلهم قاعدة الكفر والشرك. وحينئذٍ يهدمون الكعبة ويفتكون بالنصارى والمسلمين ويستولون على جميع جهات الارض الى الابد ويجعل حمزة لكل طائفة غير اصحابهِ الموحدين سمةً في جبينهِ او في يدهِ عذاباً يتأذى بهِ وجزيةً يؤديها كل عام.

ويعتقدون ان ابليس المذكور هنا قد ظهر في جسم آدم ثم انتقل الى نوح ثم الى ابرهيم ثم الى موسى ثم الى عيسى ثم الى محمد ثم الى سعيد. واما الشيطان فظهر اولاً في جسم شيت ابن آدم ثم انتقل الى سام ثم الى اسماعيل ثم الى يشوع بن نون بعد هرون ثم في شمعون الصفا ثم في علي بن ابي طالب ثم في قدَّاح (والقدَّاح هو صاحب الدعوة القرمطية وقد مرَّ ذكرهُ).

ولذلك يكتبون الصادق بالسين المهملة. ويسمون الحدود والدعاة والنقباء والمكاسرين عندهم حروف السدق التي هي بحروف الجمَّل (١٦٤) فلو كتبوها بالصاد لزادت عن السين (٣٠) فلذلك يكتبونها بالسين ليسقطوا هذه الثلاثين لانهم يسمون محمداً بن عبدالله وزوجاتهِ واولادهُ حروف الكدب بالدال المهملة ليكون ذلك بحروف الجمَّل (٢٦) فاذا اضافوا اليها الايمة الاربعة وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي صارت (٣٠) فيطرحونها من حرف الصاد الذي هو (٩٠) يبقى (٦٠) وهو حرف السين ولذلك صار الصدق سدقاً ليكون حينئذٍ صدقاً خالصاً من شوائب الكذب على زعمهم ولذلك يقولون ان سدق اللسان وحفظ الاخوان هما فريضتان عندهم بدلاً من الصوم والصلاة الاَّ انهُ يُشترَط السدق حسب اصطلاحهم لمن كان منهم متمسكاً بدينهِ ويجزم لغيرهِ ويحلفون بالصدق كذباً على ما ينكرونهُ ولهم خرافات كثيرة كهذه يبنون فيها عقائدهم على حساب الجمل وعلى اشكال الحروف وما شابه ذلك.

ويقذفون بكامل الانبياء اولي العزم ويسمون محمداً باسماءٍ رديئة ويقولون ان الفحشاء والمنكر هما ابو بكر وعمر وقولهُ في القرآن انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان يُراد بذلك الايمة الاربع: وانهم من عمل محمد بن عبدالله لان الدروز وان يكونوا بالجملة يكرهون باطناً جميع اهل الملل الخارجية عنهم ويستبيحون اموالهم ودماءهم عندما يمتلكون فرصة عدم المحذور على انفسهم ويعتقدون ان العقَّال منهم هم الملائكة وان الشياطين هم باقي الملل الاَّ ان اكثر كراهيتهم هي متجهة بالاكثر نحو المسلمين وتوجد في كتبهم خرافات وبدع كثيرة تشمئز النفوس منها والاضراب عنها خير من ذكرها.

ويعتقدون نظير ذلك بكل ما تكفر بهِ بقية الملل فان عندهم سلمان الفارسي هو حمزة وهو مسيح الحق وهو سليمان بن داود وقارون وشعيب وفيثاغورس الفيلسوف وهو النبي الكريم وان هؤلاء جميعهم استقرت فيهم روح سَطَانائيل وبالجملة هو المسمَّى عند النصارى والمسلمين ابليس الرجيم.

ويعتقدون بالانجيل والقرآن فيختارون منهما ما يمكنهم تأويلهُ لمعتقداتهم وينكرون ما عداهُ ويقولون ان القرآن هو كلام سلمان الفارسي وحي أُنزل عليهِ فاخذهُ محمد أبن عبدالله ونسبهُ لهُ ويسمونهُ في كتبهم المسطور المبين وان بسم الله الرحمن الرحيم هي تسعة عشر حرفاً تشير الى حدود حمزة التي هي تسعة عشر رجلاً ولذلك عندما يكتبون بسم الله الرحمن الرحيم يلحقونها بقولهم حدود عبدهِ الامام.

ولا يجوز ان يُقال لجبريل القائِم بالالف واللام ولكن يقال قائِم بدونهما ليكون اربعة احرف على عدد حروف اسم الله والله هو القائِم والقائِم هو المهدي. ثم ان الله والقائِم والمهدي كلهم عبيد لمولاهم الحاكم لان اسم الله عندهم يقع على حمزة واما معنى الله فيقع على الحاكم بامرهِ.

والسبب في ذلك هو ان الحاكم بامرهِ جعل حمزة بن علي المذكور هاديهُ وامامهُ واوصلهُ الى توحيد باريهِ وحلل لهُ الطيّبات وحرَّم عليهِ الخبائث وانهُ مميز عن الحدود الروحانيين بعشرة احوال هي انهُ ابدعهُ من النور المحض واوجد فيهِ الاشياء بالقوة وأيدهُ بالتأييد الكلي وجعلهُ علَّة العلل وجعلهُ امام الخلائق جميعها واطلعهُ على سرائر العالم من مبتدا الدنيا الى ما لا نهاية لهُ وجعلهُ صاحب الكشفات الالهية وهي اثنتان وسبعون كشفة وجعل على يدهِ الثواب والعقاب يوم القيامة وجعلهُ موقت مقادير الاعصار على بنايتها وتكرارها وجعلهُ كامل الجسم وان الطبيعة ما اعتدلت في جسمٍ غير جسمٍ واحد الذي هو حمزة وانهُ اجتمعت فيهِ خمسة منازل حدّ الجسمانيين وحدّ الجرمانيين وحدّ الروحانيين وحدّ النفسانيين وحدّ النورانيين. والحدُّ هو غاية الشيء ونهايتهُ.

وقد اسقط الحاكم عنهم سبع دعائِم تكليفية ناموسية وفرض عليهم سبع خصال توحيدية دينية فالسبع دعائِم التكليفية اولها الشهادتان لان العبادة للمعدوم تكليف وما احد قط تصحُّ لهُ عبادة معدوم وكذلك لا تصح رسولية كافر (والمعنى في ذلك ظاهر) وثانيها دعامة الصلاة في خمسةُ اوقات ودعامة الزكاة وهي الثالثة. والرابعة دعامة الصوم في رمضان والخامسة دعامة الحج والسادسة دعامة الجهاد والسابعة دعامة الولاية وقد اسقط ذلك عنهم الحاكم بعد ان كان اهل الحق عاملين بهِ في السر لما تجلّى في اول سنة ٤٠٨ للهجرة (سنة ١٠١٧م) واقام لهم السبع خصال التوحيدية المذكورة عوضها ومنها سدق اللسان وحفظ الاخوان الى غير ذلك.

وليكن هذا كافياً في هذا الباب ومن اراد ان يتوسع باكثر من ذلك فعليهِ بالوقوف على كتاب كشف ديانة الدروز المطبوع في باريس وكتاب مختصر البيان في مجرى الزمان.

يقول مؤلفهُ الفقير المحتاج الى رحمة القدير الازل. نوفل بن نعمةالله بن جرجس نوفل. هذا آخر ما وصلت يدي الى جمعهِ في كتاب زبدة الصحائف. في اصول المعارف. ويليهِ الكتاب الثاني المسمَّى بزبدة الصحائف.
في سياحة المعارف. والله الهادي الى
الصواب. واليهِ المرجع
والمآب.
م

وكان الفراغ من تسويدهِ بقلم مؤلفه يوم السبت في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٨٧٢ مسيحية

فهرس الأسماء والأعلام

أ

ث

ج

ز

س

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

هـ

و

ي

فهرس الأمكنة والبلدان

ق

ك

ل

م

فهرس الأديان

فهرس الكنائس

فهرس المذاهب

فهرس الفرق

ح

خ

د

ذ

ر

ز

ن

هـ

و

ي

فهرس المجامع

فهرس الأعياد

فهرس الحيوانات والحشرات

فهرس النبات

فهرس الكواكب

فهرس الآلهة والأصنام

فهرس الكتب

أ

ب

ت

ح

د

فهرس السور

فهرس المفردات ذات المدلول الخاص

ب

ح

خ

د

ص

ض

ط

ظ

فهرس المفردات الغريبة المفسَّرة

فهرس المضامين

